

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية العلوم السياسية

المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية

البحوث والدراسات

التراجم

العروض

السنة الاولى   العدد الاول   خريف ٢٠٠٥

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية العلوم السياسية



المجلة السياسية والدولية

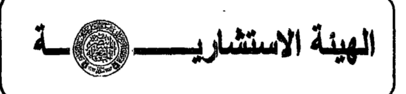
مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسة –الجامعة المستنصرية

السنة الاولى | العدد الاول | خريف ٢٠٠٥

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ١١٣ في ١٨ كانون الثاني ٢٠٠٥

المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية



قواعد النشر

ترحب المجلة السياسية والدولية والتي تصدرها كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية بإسهامات الكتاب والمفكرين من الكليات والمختصة بالقضايا السياسية والعلاقات العربية-الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع السياسي والحضاري والنهضوي العربي وتحيطكم علماً بشروط النشر فيها:

١. ان تعالج القضايا باسلوب علمي موثق.
٢. ان يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع باسلوب اكاديمي، يتضمن الكتب والمجلات.
٣. معيار النشر هو الموضوعية والدقة ودرجة التوثيق.
٤. ترسل البحوث بنسختين مع قرص مرن.
٥. ان لا يزيد حجم الدراسة او البحث عن اربعة عشر صفحة A4.
٦. يشترط ان لا تكون البحوث او الدراسات قد نشرت في مجلات اخرى.
٧. تخضع البحوث او الدراسات المرسلة الى التحكيم العلمي من جانب اللجنة الاستشارية في المجلة.
٨. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.
٩. لا تدفع المجلة او الكلية أي مكافات مالية عما تقبله من النشر فيها ويعتبر النشر اسهاماً معنوياً من الكاتب.

أن الآراء الواردة في البحوث والدراسات المنشورة لاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة او الكلية

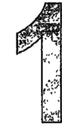
الاشتراك في المجلة تراجع كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية
بغداد– باب المعظم – صندوق بريد ٤٦١٥٩
هاتف ٤١٤٠٨٥١ ، ٤١٤٠٨٥٢ ، ٠٧٩٠١٩٢٣١٥٤
البريد الالكتروني : aljassour_8@yahoo.com

المحتويات

كلية العلوم السياسية
الجامعة المستنصرية

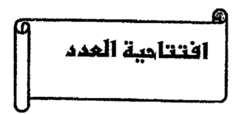


المجلة السياسية والدولية



خريف ٢٠٠٥





والكلية اذ تخطو خطواتها في سنتها الدراسية الاولى ٢٠٠٥/٢٠٠٦ بعد قرار استحداثها، ولاول مرة في الجامعة المستنصرية منذ تأسيسها عام ١٩٦٣، فأنها تؤكد حضورها العلمي والاكاديمي من خلال اصدراها العدد الاول من مجلتها العلمية الفصلية "المجلة السياسية الدولية"، والتي تمثل باكورة نشاطها واسهامها الفعال في سجل البحث العلمي الرصين، حيث الدراسات والبحوث التي تتناول مختلف القضايا والمواضيع، من خلال منهجية علمية اختطتها لنفسها، وتحليل موضوعي يؤشر ويحدد مسارات الاحداث وقضايا الساعة في اطارها الوطني، الاقليمي والدولي، وتاثيراتها الايجابية والسلبية، ليقدمها الى القارئ العزيز، والمختص، وصاحب القرار السياسي، وطالب العلم والبحث، لعلها تشكل المرجع الذي يعتمد عليه، وعدداً جديداً مضافاً الى ما تصدره كليات الجامعة المستنصرية من مجلات، ودوريات. كما انها تشكل مع نظيراتها من المجلات التي تختص بالعلوم السياسية والقضايا الدولية، اطاراً مرجعياً لطلبة العلوم السياسية في البحث والتقصي، وتأكيد هوية علم السياسة، ومجال اختصاصه، ونطاق عمله.

واذ يستهل العدد بداية عن الشرق اوسطية والشراكة المتوسطية، حيث التطابق والتقاطع والافاق المستقبلية لموقع العراق بين الدائرتين، فأن لهذا الموضوع اهميته الحيوية، لكونه حديث الساعة وخصوصاً بعد ان تم الاعلان عن تشييد الشرق الاوسط الكبير الذي انبثق في شباط عام ٢٠٠٤ في قمة الدول الصناعية الثمانية، والمشروع الذي سبق وان طرح بعد حرب الخليج الثانية، ولكن الظروف الاقليمية والدولية في ذلك الوقت لم تكن مهيأة لتقبل هذا المشروع الذي يواجه الان معارضة قوية. واذ يقدم العدد ايضاً دراسات ذات طابع تاريخي، فان دراسة الاحداث التاريخية من خلال منطقي وسياسي، فأنه ليؤشر ذلك الترابط الكبير ما بين الماضي والحاضر، حيث الدروس التي يمكن استخلاصها لبناء المستقبل.

وقد شكلت العولمة وحقوق الانسان من المواضيع التي كرست لها المجلة العدد الاكبر من صفحاتها، وذلك لما طرحته من اشكاليات معقدة ليس فقط في اطار التعامل الدولي، وانما في اطار الفكر السياسي العربي.

ما بين مؤيد ومعارض، وخصوصاً ان تداعياتها على حقوق الانسان والديمقراطية تبدو شاخصة اكثر من الميادين الاخرى. واضافة الى ذلك فقد تضمن

العدد دراسة مترجمة عن حلف الناتو ومهماته المستقبلية في ظروف دولية واقليمية جديدة، وعرضا عن احد الكتب المهمة الذي يركز على قصف العقول، وكيفية اقترافها بالوسائل الاعلامية، ولغة الخطاب السياسي.

ونحن نضع هذه الخطوة الاولى، فأنها بالتأكيد ستستمر الى الف ميل، من البحث العلمي والاكاديمي.

ومن الله التوفيق

الأستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

المشرف العام

الشرق اوسطية والشراكة المتوسطية

التطابق والتقاطع والافاق المستقبلية لموقع العراق في هاتين الدائرتين

الاستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

في الوقت الذي خفت فيه بريق مشروع الشرق اوسطية وبدأ ينتقل من محطات وعواصم عربية وغربية لا تعير اهمية لما يطرحه من تصورات وافكار عارضتها حتى الدول الاوروبية وبعض الدول العربية وخصوصاً الخليجية التي امتنعت عن تمويل صندوقه الذي لا يهدف الا الى انعاش الاقتصاد الاسرائيلي، وان ادارة الرئيس بوش الاب التي كانت وراء هذا المشروع قد غادرت البيت الابيض وتوقفت مسارات التسوية السياسية التي بدأت في مدريد ١٩٩١، وعبر مفاوضات متعددة الاطراف في عواصم عدة، فقد خرج من مياه المتوسط مشروع اخر جديد بأبعاده السياسية والامنية والاقتصادية، واقتصر تجمعه على دول حوض البحر الابيض المتوسط اضافة الى الدول الاوروبية الاخرى الاعضاء في الاتحاد الاوروبي بهدف وأد المشروع الامريكي، وتأكيد حضور اوروبي فعال في سياسات المنطقة بعد ماستريخيت، ولاسيما وان بعض الدول الاوروبية الكبرى قد شعرت بالخسارة الكبيرة لمواقعها واسواقها التقليدية في الشمال الافريقي بالتحديد. واذا كانت الشراكة المتوسطية قد انطلقت من قمة برشلونة الاسبانية (في نهاية تشرين الاول ١٩٩٥) للدول المتشاطئة على ضفتي الاطلسي، وما يرتبط بالاتحاد الاوروبي من اعضاء خارج هذه المنطقة، فأن الشرق اوسطية بقيت تراوح مكانها متعثرة في خطواتها وقممها السنوية، ومما يؤكد من الجانب الاخر بأن هناك مسار جديد ارتسم في العلاقات العربية-الاوروبية بدلاً من المسار الذي اتخذته العلاقات العربية-الامريكية، وان كانت واشنطن في ادارة الرئيس بيل كلنتون انشغلت بأمور اخرى، وخصوصاً في وسط وشرق اوروبا ومشاكل الداخل الامريكية الخاصة. وقد عادت الشرق اوسطية من جديد في ظل ولاية جورج بوش الابن وبعد احتلال العراق، حيث استكملت الهيمنة الامريكية-الاطلسية على قوسي الازمات الشمالي والجنوبي وغدت المنطقة محكومة بقواعد عسكرية واستراتيجية

امريكية شاملة وفارضة قيمها ومعاييرها في المنظومة العالمية لحقوق الانسان وبناء الديمقراطية واجراء الاصلاحات السياسية وبالشكل الذي ينسجم مع متطلبات الوجود الامريكي في المنطقة.

فالاستجابة العربية لركوب قطار برشلونة رغم وجود مسافر مزعج (اسرائيل) في احدى عرباته، كانت استجابة سريعة ولم يمنع الدول العربية (ما عدا ليبيا) الثمانية من التفاعل الايجابي مع قمم الشراكة المتوسطية على امل تلبية طموحاتها السياسية وتقليل الاثار السلبية لعملية التوسع الاوروبي شرقاً، مما جعلها تحضر بانتظام اجتماعاته السنوية، واسماع الجانب الاوراوبي هموم ومشاغل الامة العربية، ومحاولة التأثير على المواقف الاوروبية بشكل متوازن بصدد القضايا الخاصة بالمنطقة، وبالشكل الذي يجعلها مختلفة عن السياسات الامريكية التي حاولت توظيف الشرق اوسطية لدعم الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً، بدون اعارة أي اهتمام لكل المطالب السياسية العربية.

وتأسيساً على ما تقدم، فان دراستنا سوف تنصب على القراءة السياسية للمشرعين من خلال منهجية مقارنة لتحديد التطابق والافتراق، ثم تحديد الافاق المستقبلية لهما وموقع العراق في الدائرتين، حيث غدا بعد الحرب محور الاستقطاب والتنافر بين المشروعين، او بين السياستين الاوروبية والامريكية، وخصوصاً ان لكل طرف رؤيته الخاصة في الاصلاح السياسي واعادة رسم المنطقة وعلى وفق مصالحه الاستراتيجية.

الشرق اوسطية رؤية امريكية للمنطقة ما بعد حرب الخليج الثانية:

في نهاية كل حرب تخرج منها المنطقة، هناك رؤية امريكية تتجسد في السياسة والامن والدفاع. فاذا كانت حرب الخليج الاولى افرزت تصورات وافكار غربية عما يطلق عليه "بأمن الخليج العربي" وما يستقر عليه من اسس ومرتكزات تختلف عما افرزته حرب ١٩٧٣، فان حرب الخليج الثانية قد فتحت الباب على مصراعيه لوجود غربي (امريكي بالتحديد)، مثل في القواعد العسكرية الارضية المنتشرة في حفر الباطن والكويت وقطر وبعض دول المنطقة الاخرى، اضافة الى حاملات الطائرات والبوارج الحربية التي تعوم على مياه الخليج والبحر الاحمر ومداخلهما، ناهيك عن الاسطول السادس في حوض المتوسط والاسطول الخامس في المحيط الهندي وبحر العرب. وبدون شك، فان هذه المنطقة التي استقرت الادبيات السياسية والاستراتيجية الغربية على تسميتها بالشرق الاوسط، ليس الهدف منها فقط شطب الهوية القومية للوطن العربي من الخارطة السياسية، واحلال هذه التسمية بدلاً منها، وانما امتداد مسرح العمليات العسكرية الامريكية على قوس الازمات الثاني الذي يمتد من الرباط حتى افغانستان مقابل قوس الازمات الاول الذي يمتد من وسط وشرق

اوربا الوسطى مروراً بالقوقاز واسيا الوسطى، حيث الثروات البترولية الهائلة ليلتقي مع خط الازمات الثاني وفي الاخير مطبقاً على المنطقة كلها، كما حدد هذه لاقواس زبيغينو بريجنسكي الامن القومي في حكومة الرئيس كارتر[١].

وفي الواقع، اذا كانت مقولة الشرق الاوسط في ادبيات السياسة البريطانية والفرنسية تجسد بعض التعبير لجو-سياسة، استراتيجية وحملت مشاغل وحلول مخططات الدول الكبرى تجاه شرقها بالمعنى الجغرافي، ومن ضمن استراتيجياتها اقتسام مناطق نفوذ فان هذا التعبير اخذ يكتسي دلالات ومعان جديدة في ظل لظروف الدولية، والسياسات التي خلفتها تداعيات انهيار المعسكر الاشتراكي، واختفاء الاتحاد السوفيتي، والنتائج الكبيرة لحرب الخليج الثانية، والتي تمثلت في عقد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، ومن ثم التوصل الى اتفاقيات اوسلو، وما ترتب عليها من انحسار كبير في دور النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية وتقويض اسس العمل العربي المشترك. وعلى ضوء هذه التداعيات، جاءت الافكار والتصورات الغربية للمنطقة راسمة حدودها، وتوجهاتها السياسية. اذ اشار المفكر والكاتب البريطاني الاصل برنارد لويس في ثقافته المشهورة "اعادة التفكير في الشرق الاوسط" موضحاً بان مفهوم الشرق الاوسط في الماضي قد توسع في جميع الاتجاهات فيما عدا الشمل حيث كان ينظر الى الاتحاد السوفيتي على اساس انه حده الشمالي، وبأختفاء هذا الحد، فان المساحة الجغرافية امتدت لتشمل جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية[٢]. واذ يشير لويس بالتحديد الى ان الشرق الاوسط كونه ايضاً "موزائيك" من القوميات والاثنيات والاديان، وبما ان اسلامية العرب تمنعهم من اقامة دولة قومية عصرية علمانية تمارس قطيعة مع الاسلام وتاريخه، على غرار ما فعلت الدولة الكمالية، فان الشرق الاوسط ولاسيما في قسمه العربي، يصبح مكاناً لتعايش جماعات اثنية ودينية لا يمكن ان ينتظم التعايش فيها الا في اطار مصالح تديرها سلطة من خارج هذا المكان، او تضبطها سلطة رادعة من المكان نفسه، أي انه في النهاية يصل الى ان اسرائيل او الولايات المتحدة، هما القوتان القادرتان على ضبط ايقاعات هذه المنطقة من خلال "النظام الشرق اوسطي كأطار اقليمي" بدلاً من الانظمة الاقليمية او الفرعية[٣].

---

[١] ينظر بحثنا حول توسيع حلف الناتو شرقاً والاستراتيجية الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد١١ لسنة ٢٠٠١ مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

[٢] صراع القوى في اسيا الوسطى، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، العدد ٢١٣، في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٤، ص٢٢.

[٣] وجيه كوثراني، بالشرق الاوسط والتطبيع الثقافي، مجلة دراسات فلسطينية، بيروت، العدد ١٩٩٥/٢٣، ص١١.

فهذا المدلول الجغرافي الواسع اختزل الى مدلول سياسي بحت يترتب عليه ادخال دول غير عربية في المنطقة، واخراج دول عربية ان امكن، اضافة الى اضفاء صفة التعدد والتنوع وليس الوحدة والتماثل[٤]، أي خليط من الاديان والقوميات التي تسهل تفتيتها وتجزئتها، من اجل السيطرة والهيمنة عليها وفقاً لما تطلبه استراتيجية القوة العظمى ومصالحها الحيوية ولاسيما في الوطن العربي الذي تحاول تمزيقه الى اجزاء ومناطق، ولا تعامله على انه وحدة متميزة، في الوقت الذي تدور حوله كل الافلاك "العربية"، ويجب ان يكون هذا القطب عنصراً فعالاً في تقرير ترتيباته الامنية ورسم فضاءاته الاقتصادية وسوقه الواسعة، وقد اعاد تأكيد ذلك مساعد وزير الدفاع الامريكي بول ولفويتز وقبل اشهر من شن الحرب على العراق، عندما قال: (ان الدولة العبرية هي حالة مركزية، بل انها الحالة المركزية الوحيدة في الشرق الاوسط، وحيال التفاعلات المحتملة في المنطقة يفترض من ان تكون دورها اكثر فاعلية واكثر وضوحاً في العقود اللاحقة)[٥].

وعلى هذا الاساس فان المشروع الشرق اوسطي يبدو في ظاهره "اقتصادي تنموي" الا ان جوهره يهدف الى رفض القومية العربية كفكرة وحركة سياسية نمت في الشعور الوجداني للانسان العربي، ويحطم كل ما تبقى من مقومات يمكن ان تشيد عليها مستقبلاً اسس الدولة العربية الواحدة، كما انه لا يعترف بوجود اقتصاد عربي او بنية اقتصادية، ناهيك عن انه ينسف من الاساس الاطار الاقليمي للنظام العربي المتمثل في جامعة الدول العربية.

ومن القراءة المتأنية للادبيات السياسية الامريكية والاسرائيلية يتضح انهما يغرفان من مصدر واحد في التفكير والآليات المحددة لهذا المشروع، وهذا ما كشفه شمعون بيرز في كتابه (الشرق الاوسط الجديد) الذي رسم معالم هذا النظام، وذلك بالعلاقات التعامدية بين دول المنطقة، اساسها الاقتصاد وحيث الدور الاساسي في ذلك هو ما يسند الى اسرائيل من دور كبير في الهيمنة والتفوق على دول المنطقة من خلال قيام (هيكل اقليمي منظم)[٦]. وفي الاطار نفسه، فقد حدد بيرز الامن الاقليمي للشرق الاوسط الجديد من خلال:

- ☐ نزع اسلحة التدمير الشامل في المنطقة.
- ☐ تفكيك هياكل القوة للدول العربية.
- ☐ فرض الرقابة وضبط التسلح.

---

(٤) جميل مطر، علي الدين هلال، النظام الاقليمي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٩.

(٥) صحيفة الاتحاد الاماراتية ١١ تشرين الاول ٢٠٠٢، ص٢٧.

(٦) شمعون بيرز، الشرق الاوسط الجديد، اصدار دار الجليل، عمان ١٩٩٤، ص١٩٣.

- جمع المعلومات عن النشاطات لدول المنطقة، ويستثنى من كل ذلك اسرائيل على اعتبار ان الظروف المحيطة بها لا تسمح لها بـ"تفكيك اسلحتنا واعادة جنودنا الى بيوتهم"[٧].

وفي الاطار نفسه فقد سبق وان طرح شمعون بيرز في مقالة له نشرت تحت عنوان "ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط"[٨]، لم يوضح فيه فقط مستقبل مدينة القدس التي يمكن تقسيمها الى شقين: سياسي وديني، حيث سياسياً تكون القدس اورشليم (عاصمة اسرائيل)، او دينيا مفتوحة لكل الاديان، وانما حاول طرح تصورات وصيغ لاشكال وانماط العلاقات الاقليمية بمختلف جوانبها، وابعادها: المحلية والاقليمية والدولية. اذ دعا مثل كل دعواته السابقة، وما حاول ان يطرحه الامريكيون انفسهم في جولاتهم الدبلوماسية في المنطقة الى اقامة:

- سوق شرق اوسطية مشتركة على اساس التكامل بين التكنولوجيا الاسرائيلية والمياه التركية والاموال الخليجية السعودية والعمالة المصرية.
- ان السلام في الشرق الاوسط يشكل اولاً وقبل كل شيء هندسة معمارية وتاريخية ضخمة لبناء شرق اوسط جديد متحرر من الصراعات ومستعد اخذ مكانه في العصر الجديد.
- المبادرة الى انتاج المياه وتوفير. فالماء والسلام يجب ان ينسايا معاً.
- انشا مجلس يضم وزراء الزراعة في كل دول المنطقة لكي يشرع في تخطيط حل مشكلة المياه وتزويد سكان المنطقة بالغذاء.
- ضرورة المساعدات الاوروبية الامريكية واليابانية[٩].

وفي الواقع، فان المشروع الشرق اوسطي الذي يمثل خلاصة التفكير الاستراتيجي لادارة الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الاب في صياغة اليات "التعاون" او "الاندماج" بين دول المنطقة في اطار نظام اقليمي واسع، قد شخص بعض المرتكزات الاساسية التي من خلالها يمكن ان يشيد هذا المشروع، وهي:

- للولايات المتحدة وحدها القرار النهائي.
- تكثيف الوجود العسكري الامريكي في المنطقة من خلال احتلال دول المنطقة وتقويتها بمعسكرات ومطارات دائمة، اضافة الى تخصيص الموانئ المحددة للبوارج الحربية الامريكية.

---

[٧] المصدر نفسه، ص١٩٤.

[٨] شمعون بيرز، ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط، جمعية الاهرام القاهرية ٩ كانون الثاني ١٩٩٢.

[٩] المصدر نفسه، ص١١٢.

- تطوير التعاون العسكري الثنائي بين الولايات المتحدة من طرف وحلفاؤها الجدد من طرف اخر.
- تعزيز التعاون المدني والامني، الاقتصادي والسياسي والثقافي بين دول الشرق الاوسط والولايات المتحدة.
- بناء منظومة اقليمية نسيجية من التعاون بين الشرق الاوسط كافة.
- فصل الشرق العربي عن مغربه، ورفض اي تكامل عري، او أي التقاء اقليمي بين الدول العربية نفسها.
- احلال الهويات الفرعية: الطائفية، العرقية، الاثنية بدلاً من الهوية العربية القومية الحاضنة للامة العربية وشعبها[١٠].

وبهذا الصدد، يؤكد الاستاذ محمود عبد الفضيل بان المشروع الشرق اوسطي هو في الاساس صياغة اسرائيلية بدعم امريكي يهدف الى بناء نظام اقليمي تكون فيه المحور الرئيسي القيادي، وتكون بمثابة الوسيط المعتمد بين المراكز الراسمالية المتقدمة في الغرب واسيا من ناحية، وبلدان المشرق والخليج العربي من ناحية اخرى[١١]. فذا كانت هذه الهندسة المعمارية الجديدة للمنطقة تسعى في الاول والاخر لجعل اسرائيل (الدولة) الطبيعية في المنطقة، ومحورها الاساسي، فان الرؤية الاسرائيلية لمجمل ما خطط له (وما يعاد التأكيد عليه مرة اخرى بعد الحرب واحتلال العراق) هو:

- ☐ اقامة علاقات مشتركة وطبيعية بين اسرائيل والدول العربية.
- ☐ امكانية اسرائيل في اختراق المجتمعات العربة.
- ☐ الاقرار بشرعية الوجود الصهيوني على ارض فلسطين، وشطب التاريخ وتمزيق وثائقه، وكتبه المقدسة.
- ☐ تبقى اسرائيل (الدولة) القوية ولها الحق وحدها امتلاك اسلحة التدمير الشامل.
- ☐ الحصول على نصيب وافر من الثروة العربية، والسيطرة على آليات التنمية العربية ومداخل ومخارج وارداتها وصادراتها وحسابات ميزانها التجاري.
- ☐ السيطرة الاسرائيلية المباشرة على المياه العربية والتحكم بمصادرها.

---

(١٠) سيار الجميل، المجال الحيوي للشرق الاوسط ازاء النظام الدولي القادم، من مثلث الازمات الى مربع الازمات، تحديات مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٨٤، (٦) ١٩٩٤، ص٢٢.

(١١) ينظر محمود عبد الفضيل، الشرق اوسطية ومستقبل التعاون والتكامل الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٠ (٦) ١٩٩٧، ص٨٨.

- اقامة حوض اقتصادي واسع يضع الدورة الاقتصادية والعربية تحت رحمة رؤوس الاموال الاسرائيلية والامريكية، ولا مجال لاي تعاون عربي–عربي.
- الغاء القدرة العربية كقوة يمكن ان تفرض على المنطقة نظاماً اقليمياً عربياً.
- منح الاقليات العرقية والطائفية والاثنية حق الانفصال والتكتل لتفتيت الامة العربية، وتغليب هذه الهويات الفرعية على الهوية المركزية العربية[١٢].

واذا كان الاستاذ غسان سلامة يرى في الابعاد السياسية للتحديات شرق اوسطية متجسمة في: الالحاق، والافتراق، الاختناق، الانسحاق والانشقاق في الجسم العربي المتشظي[١٣]، فان الاستاذ ناصيف حتي وضع ثلاث مشاهد امام مستقبل النظام العربي:

الاول: مزيد من الانهيار وغياب اية بلورة لسياسة الحد الادنى للنظام العربي، وبالتالي يصبح طرفاً متلقياً، وليس طرفاً فاعلاً في النظام الشرق الاوسطي الجديد.

الثاني: انتهاء النظام العربي في شكله الحالي وتفككه الى انظمة فرعية مندمجة في انظمة اقليمية تحتوي دولاً في المحيط العربي ودولاً من غير المحيط العربي، مع اقامة نظام شرق–اوسطي كإطار اوسع لتلك الانظمة الفرعية.

الثالث: اعادة احياء للنظام العربي عبر بلورة قيادة لهذا النظام تؤسس على بعض الاطراف الرئيسية الفاعلة[١٤].

سيتم مناقشة هذه السيناريوهات (المشاهد) الثلاث في النقطة الاخيرة من الدراسة، وكيف تجسمت بعد المشهد العراقي على اثر الاحتلال الامريكي.

الشراكة المتوسطية: مشروع بديل ام مسار متواز

اذا كانت هذه هي الصورة التي اطلت من خلالها الشرق الاوسطية، بكل تداعياتها، وتأثيرها على الامة العربية وكيف انتهت بعد اربع مؤتمرات كان اخرها مؤتمر الدوحة[١٥]، الذي عجز فيه المشاركون من الاتفاق على تحديد مكان عقد المؤتمر القادم فكان دليلاً واضحاً على التدهور السريع الذي اصاب الفكرة والمشروع من اساسه، فأن الاسئلة التي تطرح تشكل المحور الاساسي للاشكالية بحثنا وهي: هل ان الشراكة المتوسطية التي انطلقت بعدها في نهاية ١٩٩٥، تمثل مشروعاً اوروبياً

---

[١٢] ينظر كتابنا، الامة العربية ومشاريع التفتيت، الاهلية، عمان ١٩٩٨، ص٧٢-٧٤.

[١٣] غسان سلامة، افكار اولية عن السوق الاوسطية، نقلاً عن سيار الجميل، المجال الحيوي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

[١٤] ناصيف حتي، النظام الاقليمي العربي.. الى اين، الهلال، شباط ١٩٩٤، ص٤١-٤٢، نقلاً عن ندوة التحديات الشرق اوسطية والوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤، ص١٤٧.

[١٥] للمزيد من الاطلاع عن مؤتمر الدوحة ١٩٩٧، ينظر نيرمين السعدني، مؤتمر الدوحة الاقتصادي، مجلة السياسة الدولية، العدد١٣١، كانون الثاني ١٩٩٨.

بديلاً ام مسار متوازٍ؟ وما هي نقاط التطابق والافتراق بين المشروعيين؟ وما هي الافاق المستقبلية للمنطقة بعد الحرب التي شنت ما اعقبها من احتلال امريكي للعراق؟

بدون شك، ان القراءة السياسية للمشروع المتوسطي تبين بأن هذا المشروع لم يكن الا احد اركان السياسة الاوروبية التي انطلقت بعد ماستريخت (شباط ١٩٩٢) وامتداداً للسياسات الاوروبية السابقة التي تبنتها المجموعة الاوروبية في اطار علاقاتها مع دول الجنوب، وتستند الى علاقات حضارية وتاريخية في حوض المتوسط بين جهاته كافة. ولكن، فان هذا المشروع بقدر ما يعبر عن رغبة الدول الاوروبية في تعزيز نفوذها مقابل النفوذ الامريكي المتعاظم بعد حرب الخليج الثانية، ومؤتمر مدريد. فهذا المسار الذي انطلق من برشلونة، حيث شكل محطته الرئيسية، فان سكة طريق طولية قطعها قبل ان يصل الى هذا المستوى من الانتظام في قممه السنوية والحضور المستمر لاعضاءه رغم الخلافات الناشبة بينهم.

في الواقع فان هذا المشروع، لم يكن الا منافسة للمشروعات الشرق-اوسطية، وابراز ادور الاوروبي الفعال في تقرير مستقبل المنطقة الحيوية للأمن الاوروبي، وخلق مجال كبير لنفوذ فرنسي في حوض المتوسط قد يعادل المجال الالماني في وسط وشرق اوروا، اضافة الى الادراك الاوروبي الجمعي بان المخاطر المحتملة التي تواجه حوض المتوسط لا يمكن مواجهتها بمفردها ضمن اطار الاتحاد الاوروبي، انما بشراكة فعالة مع دول الجنوب، الذي شخص في السنوات الاخيرة بانه مصدر الازمات، ولاسيما بعد اختفاء المواجهة ما بين الشرق والغرب.

وبدن شك، فان المجموعة الاوروبية راهنت منذ بروزها كقوة اقتصادية على ارساء سياسة اوروبية متوسطة قائمة على المصالح المشتركة بين الدول الاوروبية الغربية اولاً، ومن ثم بين ضفتي المتوسط وخصوصاً في الأمن والتعاون ثانياً. واستمرت هذه المراهنة سنيين طويلة وكانت تتقدم وتتراجع حسب الظروف الدولية ومتغيراتها، ومن بينها ان السوق الاوروبية لم تبلور سياسة متجانسة بصدد الصراع ما بين الشرق والغرب، وحتى التعاون بين ضفتي المتوسط حيث السياسات الانتقائية في التعامل، بسبب الارتباطات الاطلسية لقسم من دول المجموعة، والدفاع عن هذه الرابطة (المقدسة)، والمناهضة الواضحة التي ابدتها فرنسا الديغولية، وما زالت، ضد الهيمنة الامريكية. وما بين مسيرة الحوار العربي-الاوروبي منذ عام ١٩٧٣، وما تجسد في مؤتمر هلنسكي عام ١٩٧٥ للأمن والتعاون الاوروبي، مروراً بالمبادرات التي طرحت من هذا الجانب او ذاك[١٦]، وحتى قمة مؤتمر الاتحاد الاوروبي في لشبونة عام ١٩٩٢ بعد ثلاثة اشهر على معاهدة ماستريخت، التي اكدت على قرار

---

(١٦) عماد جواد، الامن والسلام في البحر المتوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٩١ كانون الثاني ١٩٨٨، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

حظي بالاجماع من "ان الضفة الجنوبية والشرقية للبحر الابيض المتوسط منطقتان تنطويان على اهمية قصوى لمجموعة الاوروبية من حيث الآمن والاستقرار الاجتماعي)[١٧]. وبغية استكمال هذا المسعى فقد صادق المجلس الاوروبي على قرار الشراكة في الاجتماع الذي عده في مدينة آسن الالمانية في كانون الاول/ديسمبر ١٩٩٤، مؤكداً من "اسس الشراكة الجديدة بين دول معاهدة ماستريخت والبلدان المتوسطية الثالثة) تهدف الى اضافة استراتيجية تعاون سياسي واقتصادي شامل[١٨]، بين دول الاتحاد الاوروبي نفسها على سياسة موحدة، وثانياً، امكانية تفاهم الاتحاد مع دول الجنوب الاخر من المتوسط[١٩]. ولكن يبدو ان هذين الشرطين لا يمكن تحقيقهما بشكل كامل، ولاسيما ان التفاهم بين دول الاتحاد الاوروبي بعيد المنال وهذا ما اكدته احداث يوغسلافيا والمنافسة القوية بين دول الاتحاد نفسها حول الاسواق الخارجية، ناهيك عن ان دول المتوسط الجنوبية تمر بظروف صعبة نتيجة الحروب والصراعات التي لم تصل الى تسويتها بالطرق التي تؤدي الى الاستقرار السياسي الذي تبحث عنه الدول المتوسطية.

وفي حقيقة الامر، اذا كانت الشراكة الجديدة التي تمخضت عن مؤتمر برشلونة (٢٧-٢٨/تشرين الاول ١٩٩٥) خضعت لمفهوم ومنطق معاهدة ماستريخت وتوازن علاقة اوروبا مع المتوسط واوروبا الشرقية والوسطى، فان اهدافها تنحصر في ان تكون متركزة على الاستقرار والآمن والحريات والتنمية، ولاسيما وان اوروبا الغنية والمتطورة تنظر بتوجس كبير الى ما يجري في دول جنوب المتوسط وخصوصاً العربية منها التي تحتل مساحة واسعة من حوض المتوسط، اضافة الى امتدادها الشرق اوسطي، لذلك فان المجموعة الاوروبية بدولها التي تعدت الخمسة وعشرون دولة ادركت بانه لا آمن بدون استقرار سياسي مرتكز على تماسك اجتماعي ينعم بوضع اقتصادي جيد لكي تكون صورة المستقبل ايجابية وتعطي الشراكة ثمارها، وهذا ما طرحته المجلة آلايطالية (الاسبكتيتور) في عددها الصادر في خريف عام ١٩٩٤ (حول الشراكة المقترحة بين المجموعة الاوروبية ودول البحر المتوسط الجنوبية الشرقية)، والذي اشارت فيه الى آن نقطة الضعف التي يتميز بها هذا الاقليم هي (حالات عدم الاستقرار التي كثيراً ما تسود هذا الاقليم بالذات.. والتي تتطلب

---

(١٧) الشذالي العياري، افاق التكامل في البحر الابيض المتوسط، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤، اذار/ مارس ١٩٩٥، ص٦.

(١٨) مصطفى اليحياوي، المغاربة حريصون على تطوير التعاون، والاتحاد الاوروبي يطالب باستراتيجية واحدة، مجلة المجلة، بيروت، العدد ٧٧١، ٢٠-٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٤، ص٥. وينظر كذلك الشادلي العياري، مصدر سابق ذكره، ص٦.

(١٩) حوار مع الاستاذ غسان سلامة، صحيفة الدستور الاردنية، عمان، ٢ تموز ١٩٩٥، ص٢٧.

معالجتها قدراً اكبر من التعاون، والا فليس اسهل من ان تتحول المنطقة الى مصدر للاحتكاك والتنازع، ناهيك عن العداوة والاضرار بالآمن الدولي كله))[٢٠].

واكدت المجلة الايطالية على ان "الاوضاع الاقتصادية اللا متوازنة يضاف اليها عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ودينية من شأنها إثارة انعكاسات على الآمن والاستقرار في حوض البحر المتوسط كله، ويبدو ان الحل لا يكمن في مجرد ان يكسب جانب من خسارة الجانب الاخر، ويضاعف من استدامة وتفاقم الازمة اضافة الى سياسات الحماية والضغوط الخارجية مما يجر الحكومات ناحية خيارات عدائية لانه ما من دولة تستطيع ان تحل منفردة ازمة اكبر منها تشمل هذا الاتساع والحجم الضخمة"[٢١].

وهذا هو بالتحديد ما دفع الاوروبيين الى عقد مؤتمر برشلونة، حيث احتل هاجس الامن والاستقرار صلب البيان الختامي الذي جاء فيه: يعبر المشاركون عن قناعتهم بان السلام والاستقرار والامن في منطقة البحر المتوسط تشكل مكسبا مشتركاً يتعهدون بتشجيعه وتوطيده بكل الوسائل التي في حوزتهم. من اجل هذا يوافق المشاركون على اجراء جوار سياسي مكثف ومنتظم يرتكز على احترام المبادئ الجوهرية للتعاون الدولي ويعاودون التاكيد على عدد من الاهداف المشتركة في مجال الاستقرار الداخلي والخارجي[٢٢].

ومما يلاحظ في اعلان برشلونة الذي اقرته الدول(٢٧ دولة) ممثلة بوزراء خارجيتها، انه استند الى ثلاثة مبادئ اساسية: سياسية، اجتماعية واقتصادية، حيث شغل الشق الامني والسياسي صلب المحادثات على مدى يوميين متتالين، حيث الصعوبات الكبيرة التي نجمت عن الاختلاف بين وجهات النظر حول العديد من النقاط ولاسيما الارهاب، فيما الهدف كان مواجهة (التيار الاسلامي) بحد ذاته، وكذلك حق تقرير المصير، وخطر الانتشار النووي، وهي النقطة التي عارضتها اسرائيل، وكذلك وجهة النظر السورية التي كانت تؤكد على حق الدفاع عن النفس[٢٣].

في الواقع، فاذا كان للمجموعة الاوربية اهدافها العلنية من انعقاد مؤتمر برشلونة ومن بينها البحث عن دور اوروبا السياسي، وايجاد الحلول للمشاكل التي تواجهها من خلال شركاء جدد وان لتركيا ايضاً نواياها الخاصة في ذلك واقناع الاتحاد على حسن سلوكها، فان لاسرائيل اهدافها العلنية والسرية وهي بالتاكيد كانت الرابح

(٢٠) التعاون والاستقرار في البحر المتوسط، بنود هامة في الشراكة المقترحة، مجلة الاسبكتيتور الايطالية، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤ اذار ١٩٩٤، ص ص ١٦-١٨.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٧.

(٢٢) صحيفة بابل البغدادية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٥، ص٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٣.

الاول والاخير من تلك الشراكة، لان الدول العربية حضرت ولم تحصد غير الوعود. لقد كان مؤتمر برشلونة الطريق المفتوح امام اسرائيل للاندماج الطبيعي في المنطقة، بعد مؤتمر عمان الاقتصادي تشرين الاول١٩٩٥ وسبقه مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٩٤ حيث المشاريع التي لم تأت الا دعم الاقتصاد الاسرائيلي. لقد اشار الاستاذ جميل مطر في مقالته الى تلك المخاطر الجسيمة المتاتية من تلك المشاريع التي انهالت على المنطقة، وترتيباتها الاقتصادية والامنية كانت الشرق اوسطية، او المتوسطية، مؤكداً على ان كلا من هذه الترتيبات يقوم على (تجزئة العرب الى اجزاء اخرى جغرافية منفصلة ومتشابكة مع اجزاء اخرى من الاقتصاد العالمي... جزء كبير في الاقليم الشرق الاوسطي، وبعض هذا الجزء مع جزء اخر في الاقليم المتوسطي)[٢٤] ومن جانبه فان المفكر والباحث اللبناني خليل احمد، ذهب الى اتجاه المقارنة بين المشروعين، ويؤكد على التقاطع بينهما في نقطتين استراتيجيتين تحكمان سلوك الغرب العسكري والاقتصادي، وتوطدان علاقته المستديمة بالكيان الصهيوني على حساب العرب ومصالحهم:

- ☐ توسيع حلف الاطلسي شرقاً، ليشمل منطقة الشرق الاوسط من ضمنها المشرق العربي وتركيا وايران والكيان الصهيوني. هذا ما طرحه مستشار الامن القومي السابق بريجينسكي، تم الاشارة الى ذلك في الصفحات الماضية.
- ☐ تثبين النهب الاقتصادي الاستراتيجي لهذه المنطقة الغنية بالنفط من جهة والثروات المائية من جهة اخرى، وجعلها جزءاً من سوق اقتصادية راسمالية عالمية (هي اقطاعية جديدة) يسودها الراسمال اليهودي وغير اليهودي، ويكون فيها العرب والمسلمون هم الطرف الرسمالي الاضعف بعد استنزاف مواردهم وثرواتهم في حروبهم الداخلية والحدودية[٢٥]. ثم يضيف بان (المتوسطية مشروع رديف مواز ومساعد لمشروع الشرق الاوسطية). والواقع في شراك احدهما سيجد نفسه حكما في شراك ثانيهما[٢٦].

لقد وصف الاستاذ برهان الدجاني اعلان برشلونة بانه (عبارة عن قارب صغير وسط انواء متلاطمة وعواصف مضطربة فالبحر الابيض المتوسط بحر هائج

---

[٢٤] جميل مطر، وثائق المنظومة الاقليمية الاعظم في الشرق الاوسط، صحيفة الحياة ١٠ كانون الاول، ذكر في محمود عبد الفضيل الشرق اوسطية ومستقبل التعاون، مصدر سبق ذكره، ص٩١.
[٢٥] خليل احمد خليل، المشرق العربي، بين المتوسطية والمشرق اوسطية، مجلة دراسات عربية، بيروت، العدد ٩-١٠اب ١٩٩٦، ص٤.
[٢٦] المصدر نفسه، ص٥.

فكلما تباعدت عاصفة مهيجة له ابتدعت عاصفة جديدة)[٢٧]. ومن هنا، فان حالة اللاتكافئ بين ضفتي المتوسط، وخصوصا العرب، وعدم تعامل الاتحاد الاوربي والتزامه بمعيار واحد في جميع الامور والعلاقات بين شطري المتوسط اضافة الى فرضه الشروط السياسية في تعاملاته التجارية ادى الى اتساع الفجوات بين الطرفين، وحولهم الى شركاء اباعد على الرغم من تقاربهم، ومواجهتهم لمشاكل مشتركة، في الوقت الذي شهدت فيه علاقات الاتحاد الاوروبي مع اسرائيل (علاقات شراكة وتعاون) متقدمة قياساً مع الدول العربية الاعضاء في هذه الشراكة[٢٨].

وفي الواقع، اذا كان البعض يرى في المشروع المتوسطي وانجذاب العرب بانه يمكن ان يسمى بتنويع الشركاء وهي الحالة التي تشهدها المرحلة الحالية في تاريخ العلاقات العربية مع القوى الدولية نتيجة للظروف الدولية والاقليمية وغدت بعض الدول العربية اكثر تفاعلاً مع المشروع الاوروبي المتوسطي على مشروع الولايات المتحدة واسرائيل الشرق الاوسط اوسطي[٢٩]، فان المشروعين يسعيان الى دمج اسرائيل في المنطقة، واحدهما يكمل الاخر في تنفيذ الستراتيجية الصهيونية وفي مساراتها المتعددة، وان انعكاسات ذلك لا بد وان تفضي الى:

- ان اية محاولة تطبيع العلاقات مع اسرائيل سوف لن تودي الا الى وضع الامة العربية في دوامة الاضطرابات والعنف والحرب الاهلية والطائفية .
- وتحت ذريعة مواجهة الارهاب لن يتم الا بتصفية القوى الوطنية والقومية التقدمية، واقامة نظم موغلة بالتبعية وتشويه الثقافة العربية الاسلامية من خلال غزو ثقافي مدروس عبر قنوات مختلفة لاحتواء المنطقة بصيغ جديدة من بينها الشراكة والتعاون وترتيبات اقليمية امنية وتقويض كل مقومات الامن القومي العربي وازالة مؤسسات العمل العربي.
- احكام ربط السوق العربية بالسوق العربية ، وتقويض كل المكتسبات التي حققتها الجماهير العربية على مدى السنين الماضية في بناء قطاع عام يلبي الحاجات الاساسية للشعب العربي.
- خلق علاقة اقتصادية ثلاثية الاضلاع ما بين اوروبا واسرائيل والعرب، الامر الذي يترتب عليه:

---

[٢٧] برهان الدجاني، النواحي الاقتصادية والمالية لاعلان برشلونة، مجلة اوراق اقتصادية، اصدار الامانة العامة للاتحاد لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، بيروت، العدد١٢، كانون الاول ١٩٩٦، ص٢٢.

[٢٨] انصات اذاعة مونت كارلو الساعة الثامنة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٥.

[٢٩] عمادة قدورة، الاوروبيون والامريكيون في التوازنات العربية الراهنة، مجلة قضايا دولية، العدد ٣٧٠-٣ شباط ١٩٩٧، ص٣١.

- انهاء الحالة العدائية مع اسرائيل واقامة علاقات تجارية واقتصادية وثقافية وفي المجالات كافة.
- اعادة التكوين السياسي للمنطقة بحيث تكرس تفكيك الوطن العربي ومشرقه عن مغربه، والاسلامي عن العربي ويحدث مزيد من الطمس والتغيب للهوية العربية الى درجة يمكن ان نرى معها دول المغرب العربي تسيز في-الفلك الاسرائيلي-الامريكي.

وعلى الرغم من ان قطار برشلونة استمر في مسيرته ومن خلال مؤتمراته السنوية التي انعقدت بانتظام (ويحضرها العرب بدون غياب او تحفظ) وفي محطات متعرجة في المدن الاوربية (٣٠)، اخرها في نابولي (كانون الاول٢٠٠٣) تحت ظل الرئاسة الايطالية، والتي شهدت انسحاب امين عام الجامعة العربية احتجاجاً على تصريحات رئيس الوزراء الايطالي برلسكوني، وامتناع سوريا ولبنان التوقيع على بيانها الختامي احتجاجاً على السياسة الاسرائيلية، فان الشواغل الاوربية مازالت شاخصة، حيث يقف على راسها موجات الهجرة السرية، والتطرف الاسلامي، ناهيك عن غياب الديمقراطية، وظواهر عدم الاستقرار في الضفة الجنوبية للمتوسط، وعدم ارساء حل عادل للقضية الفلسطينية بالشكل الذي ينهي حالة الصراع، ويجنب المنطقة مشاكل اضافية. وهذه هي بالتاكيد الملفات التي تنتقل من مؤتمر الى مؤتمر اخر، ماعدا التوصل الى بعض اتفاقيات الشراكة مع عدد من الدول العربية املتها ظروف الوضع الدولي والاقليمي.

العراق بين الدائرتين : الشرق اوسطية ام المتوسطية:

كثرت النقاشات حول الصيغة التي تركب منها المشروع المتوسطي، ولاسيما ان هناك بعض الدول الاوروبية لا تقع ضمن الدائرة المتوسطية، وليس لها اهتمامات سياسية بالمنطقة بقدر ماهي اعضاء في تنظيمات اقليمية. وهذا ما انسحب على اشتراك السويد والمانيا، ودول البينلوكس البعيدة عن المنطقة. الا ان هذا النقاش اغلق لكون هذه الدول اعضاء في الاتحاد الاوروبي، ومن الوزن السياسي والاقتصادي الذي يعتمد عليه في اطلاق قاطرة الشراكة، ومنطقة التجارة الحرة الموعودة لدول المنطقة. وقد طرحت بعض الافكار التي تبلورت في الاروقة السياسية الاوروبية والعربية بهدف اشراك العراق في هذه الشراكة المتوسطية، وذلك لما يتمتع به من علاقات اقتصادية وتجارية مع الاعضاء الرئيسين في الاتحاد الاوروبي، اضافة الى علاقاته السياسية والدبلوماسية المتطورة مع دول الحوض ولاسيما قبل حرب الخليج الثانية ولما يتوقع من عودة العراق الى وضعه الطبيعي بعد رفع الحصار. كما ان الافكار نفسها قد اعيد طرحها فيما يتعلق بانتماء العراق الى الشرق اوسطية بعد رحيل النظام السابق، وهي الفكرة التي ظهرت الى السطح بشكل واضح خلال الاعلان عن سياسة

الاحتواء المزدوج للعراق وايران من قبل مارتن انديك مسؤول الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي السابق في حكومة كلنتون. واذا كانت هذه مجرد افكار فهل يمكنها الان ان تترجم الى فعل ملموس على ارض الواقع الجديد بعد الحرب والاحتلال الامريكي للعراق؟

يبدو بعد الان ان سقطت التفاحة العراقية في السلة الامريكية، من الصعب ان يكون للعراق مكاناً في الدائرة المتوسطية، او حتى علاقات اقتصادية وتجارية مع الاتحاد الاوروبي بذلك المستوى الذي كانت عليه سابقاً، الا ما عدا الدول التي ساهمت في المجهود العسكري الامريكي، وساندت القوات الامريكية في احتلال العراق ضمن (قوات التحالف) مثل بريطانيا واسبانيا وايطاليا وبقية الدول الاخرى في شرق اوروبا. وحتى هذه العلاقات سوف لاتكون باكثر ما تمن به اليد الامريكية من فتات على حلفاؤها. اما ما هو متوقع، فان العراق سيكون قلب الدائرة الشرق اوسطية الجديدة والذي من خلال دوره (السياسي والاقتصادي) سيتم اعادة رسم المنطقة، وبالشكل الذي يمكن فيه اقامة (الولايات المتحدة الشرق اوسطية) التي وضع هندستها الجو-سياسي مساعد وزير الدفاع الامريكي السابق بول ولفوويتز ومدير البنك الدولي حالياً عندما راى ان خريطة الشرق الاوسط هي خريطة اوروبية تعكس على الاقل النزاع الاستراتيجي المتقادم بين بريطانيا وفرنسا(*). الا ان الولايات المتحدة، وحسب افكاره، وهي التي ترسم الخرائط، ومن مفهوم مستقبلي محدد، مما يقتضي معه اعادة النظر بتلك الخريطة. ثم يضيف موضحاً الخطة الامريكية التي تقضي بتفكيك الدول العربية، مؤكداً على ان العرب مارسوا عقدهم التاريخية بمنتها السوء حيال الاقليات العرقية الدينية، وعلى هذا الاساس يفترض اعادة النظر بالدول بطريقة تركيبها وبطريقة بناء السلطة، لا مشكلة اذا تطلب الامر تفكيك دولة او ارساء صيغة فيدرالية او كونفدرالية في دول اخرى). وقد سبق وان طرح ولفوويتز فكرة قيام دولة كونفدرالية موسعة في الشرق الاوسط يكون مستوحي من تسمية الولايات المتحدة الامريكية، هل تكون الولايات المتحدة الشرق اوسطية ؟ اما اسرائيل فيرى ولفوويتز يجب ان تكون جزءاً عضوياً من تلك الكونفدرالية التي تربط فيما بينها باحكام دستورية بالغة الدقة بحيث تحفظ لكل ولاية شخصيتها العرقية او المذهبية، حتى هنري

(*) لقد كانت اوروبا من بين اكثر الاطراف الدولية معارضة لقرار تعيين بول جاكوب (ياكوف) ولفوويتز رئيساً جديداً للبنك الدولي، حيث مواقفه اليمينية المتطرفة وانعكاساتها السلبية على المؤسسة المالية الدولية، حيث انه كان من اخطر منظري العنف الامريكيين، والحرب على افغانستان والعراق، حيث حرض ادارة بوش الابن بشن الحرب على العراق بعد ساعات قلائل من هجمات ١١/سبتمبر، حيث الاسس التي وضعها للحرب الوقائية و"مكافحة الارهاب" من خلال اسقاط الانظمة "المارقة" ومحاصرتها.

كيسنجر قد اعلن صراحة (لماذا لاتكون اورشليم عاصمة الشرق الاوسط)[٣٠]. وتاكيداً لهذه، الطروحات الغربية، واستمرار لهذا النهج والمخطط المرسوم، فقد صرح وزير الدفاع الاسرائيلي شاوؤل موفاز((بانه لا يوجد الا ن عالم عربي، بل شرق اوسط))[٣١].

ويبدو ان من بين الاهداف الاخرى التي سعت اليها واشنطن من عقد مؤتمر مدريد للدول المانحة لاعمار العراق (حيث اغلبية عقود الاعمار اعطيت الى الشركات الامريكية ذات رؤوس الاموال الاسرائيلية هو اعادة طرح من جديد مشروع الشرق اوسطية[٣٢]، ولكن بصيغة جديدة، اهمها خروج العراق كمصدر للتهديد الاستراتيجي لاسرائيل، وان احتلال العراق، كما افصح كولن باول بانه سيتيح للولايات المتحدة فرصة "اعادة ترتيب المنطقة بما يخدم مصالحها)[٣٣]. والسؤال الذي يطرح ماهي صيغة مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي طرحته ادارة الرئيس بوش الابن من جديد في منتصف عام ٢٠٠٤؟ وهل هو نسخة معدلة من مشروع والده الذي انطلق بعد حرب الخليج الثانية؟ وما هي ردود الافعال الاوروبية تجاه هذا المشروع والتي كانت بالاساس معارضة للمشروع في صيغته الاولى؟ وما هي، دود الافعال العربية، وبالتحديد النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية؟

في الواقع، ان المشروع الشرق الاوسط الكبير لم يأت بشيء جديد مختلف عن الاهداف والمبادئ التي سطرها المشروع الاول، ما عدا التأكيد على عبارات الاصلاح السياسي والتنمية والديمقراطية على وفق المتغيرات الجديدة بعد الحادي عشر من سبتمبر وتداعيات الحرب الاستباقية في افغانستان والعراق. وقد اثار الرئيس الامريكي بوش الابن في فترة رئاسته الثانية اهداف سياسة (اعادة رسم المنطقة) في خطاب الاتحاد في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٤ في خطاب حالة الاتحاد مؤكداً بانه "طالما بقي الشرق الاوسط فريسة للاستبداد وفقدان الامل والعنف، فانه سيستمر في تفريغ الرجال والحركات التي تهدد امن الولايات المتحدة واصدقاؤها. ولذلك فان الولايات المتحدة ستتبع استراتيجية تحرير الشرق الاوسط. سنتحدى الاهداء بالاصلاح"[٣٤].

وان المحور الثاني في هذه الاستراتيجية ينصب في "تشييد مجتمعاً من المعرفة"، حيث الاهداف المحددة: تخفيض الى النصف معدلات الامية من هنا حتى

---

[٣٠] صيحفة الاتحاد الاماراتية في ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٢، ص٢٧.
[٣١] صحيفة الاتحاد الاماراتية في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٤.
[٣٢] نادر فرجاني، احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومطامع الاستعمار، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٣، ٢٠٠٣، ص٥.
[٣٣] المصدر نفسه، ص١١.
[٣٤] **Les objectifs definis par George Bush, Le monde 5 mars 2004, p.4.**

٢٠١٠، تأهيل ١٠٠ الف معلم من هنا حتى ٢٠٠٨. اضافة الى الاجراءات الاخرى في "اعادة اصلاح التعليم في الشرق الاوسط"، و"تحرير القطاع الخاص" لمعالجة التأخر الاقتصادي من خلال رصد الاموال الكافية التي تقدر ما بين ٤٠٠-٥٠٠ مليون خلال خمس سنوات والمساعدة حوالي ١,٧ مليون شخص بينهم ٧٥٠ الف امرأة للخروج من حالة الفقر. ويبدو ان البنك الذي اقترحه المشروع الاول الذي يجب ان يمول بأموال اوروبية وخليجية قد تم اعادة طرح تشكيله من جديد: بنك التنمية "للشرق الاوسط الكبير" على نموذج البنك الاوروبي لاعادة البناء والتنمية، يسمح بجمع الاموال من الدول الغنية في المنطقة ومجموعة الثماني. وبهدف معالجة الضعف في التجارة ما بين دول الاقليم (وخصوصاً ما بين اسرائيل وجيرانها)، يقترح المشروع الامريكي حلولاً عديدة، من بينها انشاء "منطقة التجارة" حيث تتمتع المنتجات بأحقية الوصول الحر الى اسواق دول مجموعة الثمانية[٣٥].

ومن قراءة ردود الافعال الدولية والاقليمية لهذا المشروع الامريكي، يتضح بأنها اكثر الردود انتقاداً جاءت من الضفة الاخرى من الاطلسي، حيث وصفه نيكول نيزوتي مديرة معهد الدراسات الاستراتيجية في الاتحاد الاوروبي بأنه جاء نتيجة للمشاكل التي تواجهها ادارة بوش ليس فقط في العراق، ولكن ايضاً في علاقة الولايات المتحدة مع بقية العالم. "لقد كان من المفروض على جورج بوش ان يبحث عن افكار مقنعة من تلك التي أثارها في غزوة العراق. كان يجب عليه في سنته الانتخابية ان يصالح امريكا مع حلفاءها وكذلك مع التيارات المختلفة في اداراته.."[٣٦]. ويبدو ان ادارة بوش قد اعترفت لاول مرة بأن التخلف والفقر والتأخي الاقتصادي تمثل في مجملها الجذور الاساسية للارهاب وعدم الاستقرار السياسي. وهي الافكار التي طالما دافعت عنها باستمرار الدول الاوروبية، والتي اكدت على اكثر من ذلك من ان أي التزام بالاستقرار والمساعدة في الاصلاح في هذه المنطقة يجب ان ينطلق من التسوية الجذرية للصراع بالفلسطيني-الاسرائيلي، وان الشراكة المتوسطية التي انطلقت ايضاً من مسار برشلونة في عام ١٩٩٥ هدفها ارساء علاقات التعاون مع الضفة الاخرى من المتوسط، ومساعدتها في التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي خصصت له مليارات من اليورو في الوقت الذي لم تقدم فيه الولايات المتحدة وهي تطرح مشروعها سوى ١٥٠ مليون دولار[٣٧]. وقد عبر الاوروبيون عن قلقهم من ان

---

(٣٥) Ibid.,

(٣٦) Claive Trean, Laure Zecchini, "Les Etats-unis lancent leur projet d'en "Grand Moyen-orient", Lemonade, 5 mars 2004, p.4.

(٣٧) Ibid.

الولايات المتحدة يمكن ان تجعل من المؤسسات الاوروبية هدفها لتقدم رؤيتها الجيوبوليتكية في منطقة الشرق الاوسط، وتطلب منا تمويل خططتها التكتيكية"[٣٨].

ومن يلاحظ عن المشروع الامريكي بانه يتخذ من المبادئ والاهداف التي سطرت في الشراكة المتوسطية وسيلة للتأكيد مرة اخرى على العلاقة مع دول المنطقة ولكن تحت العباءة الامريكية في ارساء الاصلاح السياسي، الذي كان من المفروض ان ينطلق من داخل دول المنطقة، على حد تعبير خافير سولانا منسق السياسة الخارجية والامنية الاوروبية.

وقد كان رد الفعل العربي مقتصراً في حدة انتقاده للمشروع الامريكي على وسائل الاعلام والاوساط الاكاديمية، والاحزاب السياسية في الوقت الذي لاذت فيه الانظمة بالتصريحات، على الرغم من ان الجماهير العربية تواقة الى التغيير والاصلاح السياسي وديمقراطية السلطة اكثر من الولايات المتحدة، الا ان طرح المشروع من قوة كانت الى الامس القريب، هي التي دعمت ورعت هذه الانظمة وعززت من سلطاتها الدكتاتورية والاستبدادية، ومدتها بكل وسائل القهر والتعذيب ضد شعوبها، فكيف بها الان تتقلب بين ليلة وضحاها لتطرح نفسها "رسول الديمقراطية والقيم العالمية لحقوق الانسان". واذا كانت بعض الاوساط الرسمية قد اعلنت عن عدم موافقتها على ما جاء في اهداف هذا المشروع فان الدكتور محمد سيد احمد في مركز الدراسات السياسية في الاهرام، قد اعلن بان تأييد مبادرة بوش يكشف عن انتماء سياسي" بالنسبة للانظمة العربية، حيث صرح وزير الخارجية المصري السابق احمد ماهر بأنه "لا ننتظر التوجيهات من أي شخص للقيام بالاصلاحات". وقد اعلن الامين العام لجامعة الدول العربية بان "تجاهل الملفات الساخنة مثل فلسطين والعراق تؤثر على الاستقرار في المنطقة. وفي بيان مشترك مصري–سعودي، اعلن على عدم موافقتهما على نموذج خاص للاصلاح بفرض من الخارج على الدول العربية والاسلامية"، مشدداً على ضرورة ايجاد الحلول العادلة للقضايا العربية والامة الاسلامية، وبشكل خاص للقضية الفلسطينية والعراقية"[٣٩].

وبعد الحرب على نفط العراق، وبقية نفوط المنطقة، ليس هناك من عوائق مالية تحول دون تنفيذ الادارة الامريكية لتنفيذ مشروع الشرق الاوسط طالما ان هناك من يمول هذا المشروع (وهو العراق)، تحت غطاء اعادة اعماره، ومن الصندوق العراقي الذي وعدت بعض الدول بالمساهمة فيه وهي نفسها الدول التي سبق وان رفضت تمويل "الشرق اوسطية" عندما طرحت في مطلع عقد التسعينات. وسيتم جمع

---

[٣٨] Ibid.

[٣٩] Sophie Shihab, "Les dirigeant arabes recusent les" recettes imposeses de lexrerier", lemonde, 5 mars, p.4.

اموال هذا الصندوق من خلال (تعهدات) على شكل مساعدات وقروض. كما ان العراق اضحى الباب المؤدية الى تغيير حاسم واعمق في خارطة المنطقة وتوزيع جديد لثرواتها البترولية وتركيبتها الاجتماعية، ومن خلاله سيتم رسم خارطة المبادرات النفطية الامريكية المستقبلية، حيث ما يأخذ في الحسبان هو ديمومة المصالح الاستراتيجية الحيوية لامريكا، وتأمينها من أي خطر محتمل في المنطقة، يستدعي اعادة رسم خريطة كيانية جديدة للعراق لا تقوم فيه دولة مركزية قوية، وتفصيل تلك الخريطة على مقياس اهلي عصبوي يمنع قيام نظام سياسي قوي على مقربة من آبار النفط واسرائيل[٤٠].

(٤٠) عبد الاله بلقزيز، المشروع الممتنع: في الغزوة الكولونيالية للعراق، مجلة المستقبل العربي، العدد٥/٢٠٠٣، ص ص٥٢-٥٣.

الشيخ بشارة الخوري من الرئاسة الى الاعتقال

"دراسة في الازمة اللبنانية-الفرنسية عام ١٩٤٣"

الاستاذ المساعد الدكتور

عبد الامير محسن جبار الاسدي

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

نالت دراسة الشخصيات السياسية في تاريخ الوطن العربي المعاصر بأهتمام عدد من الباحثين، واضحى هذا النمط من المنهج التاريخي اتجاها يحظى بالمتابعة، وينال قسطه من البحث والتمحيص، لما له من اهمية في كتابة وتوثيق المراحل المختلفة من التطورات السياسية من تاريخ الوطن العربي المعاصر، ولاشك ان هذا من الدراسات يعد من اصعب الانواع، بسبب غلبة الجانب الذاتي على الموضوعي منه في احداثها، لذا يجب توخي الحذر ومسايرة الامانة العلمية خشية من الانزلاق في طريق التحيز والمحاباة.

وبالرغم من ان العديد من الاقطار العربية قطعت شوطا في هذا النوع من الدراسة، فأن لبنان لازال في بدايته، وهذا ما دفعنا الى تسليط الضوء على الدور السياسي الذي مارسه رجل بارز من رجال لبنان في مرحلة تعد من اهم وادق واعقد المراحل التاريخية في حياة لبنان السياسية وهو الشيخ بشارة الخوري.

لقد اختط الشيخ بشارة الخوري لنفسه نهجا اداريا وسياسيا مستقلا وغير تابعة للسلطات الفرنسية، اذ انه في الوقت الذي يرفض سياسة الانتداب الفرنسي، الا انه قد تعامل معها على اساس انها امر واقع لابد منه، ولذا رأى ضرورة ان يتعامل الوطنيين اللبنانيين مع سياسة الانتداب بمواقف استقلالية وعقلانية لتخفيف وطأة الانتداب، والاستفادة من دولة قوية مثل فرنسا لها تقاليدها الادارية ليتعلم منها اصول الحكم، من اجل ان يصبح اللبنانيون قادرون على تحمل المسؤولية، وبذا فهو رفض المقاومة قبل الاعداد لها جيدا، وقد تجسدت افكاره الوطنية عندما تولى رئاسة الجمهورية عام ١٩٤٣ اذ اختط طريقا مستقلا لحكمه منع تغلغل الموظفين والمستشارين الفرنسيين في دوائر الدولة وكان من اكثر المسيحيين المارونيين نشاطا في مقاومة الاتجاهات

الطائفية في لبنان، اذ اكد على ضرورة تحالفه مع المسلمين والتعاون معهم في اطار كيان لبناني مستقل، مقاوما بذلك السياسة الفرنسية الطائفية في التدخل المباشر بتعين الحقائب الوزارية بل وحتى رئاسة الجمهورية، لاشك ان المواقف الوطنية للخوري التي هدفت الى جعل لبنان ذا سيادة واستقلال عرضته الى الاعتقال مع اعضاء الحكومة، فنشبت بذلك ازمة سياسية كبرى في المنطقة، ولعلها كانت سابقة ليس في تاريخ المنطقة فحسب، بل وربما في العالم، ان يتعرض رئيس دولة منتخب شرعيا الى الاعتقال مع اعضاء حكومته من قبل السلطات الفرنسية، هذه السياسة الوطنية دفعتنا لاختيار الشيخ بشارة الخوري والازمة اللبنانية-الفرنسية عام ١٩٤٣ موضوعا للبحث الذي درسناه على وفق الخطة التالية:

المبحث الاول

انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيسا للجمهورية عام ١٩٤٣

اخذت نتائج الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٤٢ تتحول لمصلحة الحلفاء، الامر الذي حمل حكومة فرنسا الحرة على التفكير بإعادة الحياة الدستورية الى لبنان وسوريا بدون ان يكون لذلك تأثير على مجرى الحرب، فقد اعلن الجنرال (ديغول)[١] في ٢٤ كانون الثاني قرارا بإعادة الحياة الدستورية الى لبنان وسوريا، مكلفا الجنرال (كاترو)[٢] اتخاذ التدابير التي يراها مناسبة لتنفيذ هذا القرار[٣].وفي التاسع

---

(١) شارل ديغول (١٨٩٠-١٩٧٠)، ولد في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٩٠، وهو احد خريجي مدرسة سان سير العسكرية لعام ١٩١١، وبعد ذلك اصبح استاذا في المدرسة المذكورة دخل كلية الحرب العليا عام ١٩٢٤، وشارك ديغول في الحرب العالمية الاولى ووقع اسير حرب، له اراء ومؤلفات حول بناء النظام العسكري منها (نسل السيف عام ١٩٣٢) و(من اجل جيش متمرس عام ١٩٣٤)، اصبح ديغول وكيل وزير الدولة للدفاع الوطني في حكومة بول رنيو، وبعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية امام المانيا، هرب الى بريطانيا وترأس اللجنة القومية الفرنسية المؤقتة، واصبح القائد العام لقوات فرنسا الحرة، وزعيما لحكومة فرنسا الحرة، ثم رئيسا للجنة الفرنسية للتحرر الوطني، عاد الى باريس في ٢٥ اب ١٩٤٤، واصبح رئيسا للجمهورية الخامسة ١٩٥٩-١٩٦٩ للتفاصيل ينظر، الجنرال ديغول، مذكرات حرب النفير ١٩٤٠-١٩٤٢، ترجمة عبد اللطيف شرارة، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٧، ص١٠٩؛

The Mc craw- Hill Encyclopedia of World Biography, Vol3, London1987, PP.324-325.

(٢) جورج كاترو، ولد عام ١٨٧٩، تخرج من كلية سان سير العسكرية، اشترك في الحرب العالمية الاولى واسر من قبل الالمان، تقلد عدة مناصب عسكرية وادارية، وعين حاكما لدمشق تحت رئاسة الجنرال فيجان، وتولى منصب حاكم عام للهند الصينية الفرنسية ١٩٣٩، رفض التعاون مع حكومة فيشي وانظم الى حركة فرنسا الحرة، عينه الجنرال ديغول عام ١٩٤٠ ممثلا لحكومته في الشرق

من شباط ١٩٤٣ وصل الجنرال كاترو الى بيروت وبدأ مشاوراته مع المسؤولين اللبنانيين من اجل اعادة العمل بالدستور المعطل بسبب اعلان الحرب العالمية الثانية، وتعيين حكومة انتقالية مهمتها الاعداد للانتخابات العامة[٤]. فتم تعيين الدكتور ايوب ثابت في ١٨ آذار ١٩٤٣ رئيسا للدولة والحكومة[٥]، ولاجل ادارة البلاد الى حين اجراء الانتخابات النيابية وانتخاب رئيس جديد في ٢٩ اب من العام نفسه[٦].

وهكذا اخذت انظار اللبنانيون تتركز منذ آذار ١٩٤٣ حول شيء مهم هو الانتخابات النيابية، والتي ينتظر منها حل الكثير من المشاكل العالقة، بمركز فرنسا في لبنان وعلاقتها بالسياسة البريطانية والدول الكبرى، فضلا عن اعتبارها امرا لابد منه من اجل تشكيل حكومة دستورية تمثل الشعب، وكان من اكثر الاحزاب والكتل اللبنانية خوظا للانتخابات هما الكتلة الدستورية بزعامة بشارة الخوري[٧]، والكتلة الوطنية[٨] بزعامة اميل أدة[٩].

الاوسط، ومفوظا ساميا في سوريا ولبنان، للمزيد ينظر احمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص٩٤٩-٩٥٠؛

Whos Who, 1944, P.519 General Catrout, Dahs La Battaille de Mediterranean 1940-1944, Julliard Sequana, Paris 1943, PP.137-139.

[٣] باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان وهل سقط، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨،ص٩٣

[٤] باسم الجسر، الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الاول، دار السياسة للصحافة، بيروت، ١٩٧٨، ص٥٣.

[٥] محمد رجائي ريان ، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، في ضوء الوثائق البريطانية، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٠، بغداد، ١٩٨٩، ص٧٥.

[٦] U.S.S.D.L.I And F-A- 1941-1944, Lebanon Telegran From The American Legation, Beirut, Lebanon, August, 2,1934, No:243, To The Secretry of State, Washington, Film,3, April, P.377.

[٧] ولد بشارة خليل بشارة الخوري في ١٠ اب ١٨٩٠ في اسرة لبنانية على الديانة المسيحية المارونية، وقد نشأ في اسرة ارستقراطية امتهنت العمل الاداري ومارست النشاط السياسي في العهد العثماني، اذ تولى جده الشيخ بشارة منصب قاضي للنصارى في قائمقامية الدروز، اما والده خليل بشارة الخوري فقد تولى منصب رئيسا للقلم العربي في متصرفية جبل لبنان، اما بشارة الخوري فقد تولى اولى علومه في مدرسة راهبات المحبة في بيروت تعلم فيها الدروس باللغتين العربية والفرنسية، وفي عام ١٩٠٩ درس الحقوق في باريس ونال شهادة منها في حزيران ١٩١٢ وباشر في مهامه الادارية عام ١٩١٩، عندنا عين عضوا في المحكمة الاستئنافية للنظر في قضايا متصرفية جبل لبنان، ومنذ البداية اختط الشيخ بشارة الخوري لنفسه نهجا اداريا وسياسيا مستقلا وغير تابعا، عندما عارض فكرة الادغام القضائي أي معارضته العلنية ادخال قضاة فرنسيين في المحاكم اللبنانية، وقد ترك موقفه هذا اثرا ايجابيا في نفوس الوطنيين اللبنانيين، فأرتفعت مكانته فيهم، تولى الخوري رئاسة الوزراء لثلاث مرات قبل انتخابه رئيسا للجمهورية عام ١٩٤٣، ولولاية ثانية استمرت حتى استقالته عام ١٩٥٢، للتفاصيل ينظر، بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، مذكرات، ج١-٣، بيروت، ١٩٦٠.

وعلى الرغم من اعلان الجنرال كاترو بأن "السلطات الفرنسية على اتم الحياد في الانتخابات"[١٠]. الا ان هذا القول يناقض الواقع تماما، وذلك لان الانتخابات تعد مؤشرا هاما من مؤشرات الصراع الفرنسي- البريطاني ، ومن مؤشرات الصراع بين دعاة العزلة (الكتلة الوطنية) ودعاة التعاون والاتحاد العربي (الكتلة الدستورية) [١١].

اذ كانت فرنسا تدعم الكتلة الوطنية برئاسة اميل أدة لانه ذو ميول فرنسية وهو القائل بأن "فرنسا في سوريا ولبنان خالدة الى الابد، لا يتغير معها شيء ولا يتبدل معها شيء"[١٢].بينما بريطانيا اخذت تدعم الكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري والسبب في ذلك هي منافسة الفرنسيين في المنطقة، واخضاعهم من خلال تولي السلطة في لبنان عناصر معادية للفرنسيين[١٣].

نالت قضية الانتخابات اهتمامات البريطانيين، لادراكهم ان حالة الهدوء والاستقرار في لبنان سيؤدي الى الاتجاه الكامل لكسب الحرب، وهذا الاهتمام جعلها تضغط على الرئيس ايوب ثابت لاجراء الانتخابات المبكرة، الامر الذي دفع بالاخير الى اعلان معارضته لترشيح بشارة الخوري، لاعتقاده حسب ما ذكرت المفوضية البريطانية في بيروت بأن اتفاقا سريا قد تم بين بشارة الخوري والسلطات البريطانية على اساس ان الخوري اذا اصبح رئيسا للجمهورية، فأنه سيعمل الى ضم لبنان في اتحاد فيدرالي مع دولة عربية اسلامية يشجعه البريطانيين[١٤].وهذا يعني ان السلطان

---

(٨) اسس هذه الكتلة النيابية اميل أدة، وقد تطورت هذه الكتلة الى حزب احتفظت بالطابع الشخصي المرتبط باميل أدة، وللكتلة الوطنية جريدة ناطقة باسمه هي جريدة الجمهورية، وقد تطورت الكتلة بعد ذلك واصبحت تعرف بأسم حزب الكتلة الوطنية، الذي اعلن مبادئه بأنه "حزب ديمقراطي جمهوري يقوم على شرعية حقوق الانسان ويعمل على تعزيز كيان لبنان والمحافظة على سيادته، وان جميع اللبنانيين امة واحدة". ويرى الحزب بوجوب اجراء انتخابات حرة نزيهة باعتبار الشعب مصدر للسلطات، للتفاصيل ينظر فضل شرور، الاحزاب والتنظيمات والقوى السياسية في لبنان، ١٩٣٠-١٩٨٠، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨١، ص٤٠١.

(٩) اميل ادة: ولد عام ١٨٨٤ في دمشق، درس اليسوعية في بيروت، كما درس الحقوق في باريس، ونال الشهادة فيها،وبعد عودته من باريس عين محاميا للقنصلية الفرنسية وكان هذا المنصب له شأن في اتجاه اميل ادة نحو العمل في السياسة والوصول الى مراكز حساسة، انتخب رئيسا للجمهورية اللبنانية الثالثة عام ١٩٣٦،وفي عهده وضعت الاتفاقية اللبنانية-الفرنسية، للتفاصيل ينظر الياس الديري،من يصنع الرئيس،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٨٢، ص٩١.

(١٠) نقلا عن بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج١، ص٢٥٥.

(١١) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٤٣، دار النهضة ، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٢٤.

(١٢) نقلا عن المصدر نفسه، ص٢٢٥.

(١٣) محمد رجائي ريان، المصدر السابق، ص٧٧.

(١٤)المصدر نفسه، ص٧٨.

البريطانية تدعم الخوري في الانتخابات وتشجعه بأتجاه ضم لبنان الى اتحاد فيدرالي عربي-اسلامي.

وهكذا اخذت تقارير المفوضية البريطانية في بيروت تشير الى الانطباع بأن الحكومة المؤقتة برئاسة ايوب ثابت ستقترح تأجيل الانتخابات لمدة ستة اشهر من موعدها، وزيادة عدد النواب، والتقليل من مناطق الانتخابات.

واشارت التقارير البريطانية الى تدخل اعضاء الحكومة والمستشارين الفرنسيين في الانتخابات اذ اخذوا في طرابلس رصيدا يتدخلون في محاولات تشكيل قوائم انتخابية مؤيدة للفرنسيين، وكانت جهودهم تتجه ضد المرشحين الاعضاء في الكتلة الدستورية التي يتزعمها بشارة الخوري لكبح نشاط الخوري وجماعته[١٥].

وبالفعل فقد اصدر رئيس الحكومة ايوب ثابت مرسومين تشريعيين في ١٧ حزيران ١٩٤٣، جاء الاول برقم (٤٩)حدد فيه زيادة مقاعد النواب الى (٥٤) نائبا منها (٣٢) مقعدا للمسيحيين و(٢٢) مقعدا للمسلمين[١٦]. ونص البند الرابع من المرسوم على ضرورة ادراج المهاجرين في السجلات الرسمية وهم من المغتربين اللبنانيين الموجودين في بلاد المهجر واكثريتهم مسيحية ماردنية، بينما حمل المرسوم التشريعي الثاني رقم (٥٠) والذي تناول توزيع زيادة عدد النواب على المناطق الانتخابية[١٧].

كان من الطبيعي ان يثير المرسومان (٤٩و٥٠) المسلمين في لبنان واحدثا احتجاجا صارخا، لان من اهدافهما صبغ لبنان بصيغة طائفية عن طريق تكريس التفوق العددي المسيحي، وعلى اثر ذلك عقد في ٢١ حزيران من العام نفسه مؤتمر عرف بمؤتمر (الطوائف الاسلامية) في نادي الشبيبة الاسلامية في بيروت، وطالب بتعديل ماجاء في المرسومين، والعمل على اجراء احصاء عام للسكان في لبنان، والا قاطع المسلمون الانتخابات، واعلنوا احتجاجهم على حكومة ايوب ثابت على اساس انها تجاوزت الصلاحيات التي تسلمتها من الجنرال كاترو عند تعينها، وتصرفت بطريقة غير شرعية، وطالبوا بعزل الحكومة[١٨].

---

(١٥) نقلا عن محمد رجائي ريان، المصدر السابق، ص٧٩.

(١٦) وزعت على النحو التالي: ١٨ للموارنة، ٦ للروم الارثوذكس، و٣للروم الكاثوليك، و٣للارمن الارثوذكس، و٢ للاقليات المسيحية، و١٠ للسنة، و٩للشيعة، ٣ للدروز، ينظر مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٧٧، ص١٣٧.

(١٧) كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٣٤.

(١٨) حول موقف الاسلاميين من المرسومين ينظر، باسم الجسر، الصراعات اللبنانية والوفاق ١٩٢٠-١٩٧٥، دار النهار النشر ، بيروت، ١٩٨١، ص٢٣٦-٢٣٧؛ باسم الجسر ميثاق ١٩٤٣، ص٩٤؛ محمد جميل بهيم، النزعات السياسية بلبنان، عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨-١٩٤٥، طبع في دار الاحد، بيروت ١٩٧٧، ص٦٣-٦٤.

كما اعلن المسلمون احتجاجهم ضد الجنرال كاترو الذي لم يستقبل أي زعيم مسلم، بينما اجتمع مع بشارة الخوري زعيم الكتلة الدستورية واميل أدة زعيم الكتلة الوطنية، ومع الرئيس ايوب ثابت[١٩]. وقد اشار بشارة الخوري الى الاجتماع بقوله "لقد دام ساعة ونصف ساعة عرضنا فيه جميع وجهات النظر فيما يتعلق بالوضع اللبناني، وكنت صريحا جدا في عزمنا الجازم على الاستمرار بالمطالبة بالحياة الدستورية والاستقلال"[٢٠].

ونظرا لاصرار ايوب ثابت على موقفه امام الانتخابات من جهة، ونتيجة لتردي الاوضاع السياسية، من جهة اخرى، قرر الفرنسيون اقالة الرئيس ايوب ثابت في ٢٠ تموز ١٩٤٣، وفي اليوم التالي اصدروا قرارا بتعيين النائب الارثوذكسي بترو طراد[٢١] رئيسا للدولة، ولم يعين احد من الدستوريين من جماعة بشارة الخوري بسبب مطالبتهم بالاستقلال التام، ويؤكد الخوري ذلك بمذكراته بالقول "حل كاترو في مصيفه في بحمدون، واخذ يستشير ذوي الرأي والعلاقة في مداولة الحالة، وقر رأيه على ابعاد ايوب ثابت عن الحكم، الا انه لم يفكر دقيقة واحدة بأسناد هذا الحكم الى دستوري، بسبب نزعة الدستوريين الى الاستقلال التام"[٢٢].

وكان بشارة الخوري وجماعته من الكتلة الدستورية يريدون اعتبار الاستقلال الذي اعلنه الحلفاء يوم دخولهم البلاد استقلالا صحيحا كاملا، فارادوا اجراء الانتخابات النيابية على هذا الاساس[٢٣].

بينما كانت المندوبية الفرنسية قد تدخلت في هذه الانتخابات بشدة، وذلك لضمان فوز اكثر انصارها تمهيدا للقبول بعقد معاهدة مع فرنسا تعطيها مركزا ممتازا ومواقع ستراتيجية في لبنان، وبذا اخذت فرنسا تدعم الكتلة الوطنية برئاسة اميل أدة[٢٤]. الذي اخذ هو الاخر يناور في طرح بعض الافكار العربية والوحدوية لايهام النواب الوحدويين واستمالتهم لانتخابه[٢٥].

---

[١٩] محمد رجالي ريان، المصدر السابق، ص٨٠.

[٢٠] بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج١، ص٢٤٦.

[٢١] بترو طراد (١٨٧٦-١٩٤٧) ولد في بيروت، درس في كلية القديس يوسف اليسوعية، وتخرج من جامعة باريس للحقوق عام ١٩٠٠، عين عام ١٩٣٧ نائبا عن الارثوكس في المجلس النيابي، وفي ٢١ تموز ١٩٤٣ رئيسا للحكومة ينظر، اسكندر الرياشي، رؤساء لبنان كما عرفتهم، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦١، ص٨٩.

[٢٢] بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج١، ص٢٥٢.

[٢٣] اسكندر الرياشي، المصدر السابق، ص٨٩.

[٢٤] Catrout, OP.Cit, P.295.

[٢٥] حسان حلاق، المصدر السابق، ص٢٢٥.

وفي المقابل كانت الحكومة البريطانية قد عينت الجنرال ادوار سبيرز (Edward Spears) [٢٦]. مفوضا لها في لبنان[٢٧]. وكلفته بالتنسيق مع مصطفى النحاس[٢٨]. رئيس وزراء مصر للتوفيق بين وجهات النظر واقناع المسلمين والمسيحيين من اجل تكوين جبهة قوية لمساندة بشارة الخوري[٢٩].

ومما يؤكد ذلك سامي الصلح في مذكراته بقوله :"وعندما فزت في الانتخابات طلب مني الجنرال سبيرز تأييد بشارة الخوري للرئاسة وقال :"ان الهدف من ذلك هو تحقيق سياسة الوحدة العربية، وان بشارة الخوري يسير في ركابها ومصطفى النحاس موافق على ذلك، فأجبته بأن ربط رئاسة لبنان بالحزبية تحت ستار سياسة الوحدة العربية، عمل في غير محله في الظروف الراهنة، اني اوافق كما تعلمون على السياسة العربية ولاارى علة في بشارة الخوري..."[٣٠].

وهكذا نشطت بريطانيا ومصر وشجعتا سوريا ايضا بدعم بشارة الخوري، وكان الرئيس السوري شكري القوتلي ورئيس وزرائه سعد الله الجابري (نسيب رياض الصلح) ووزير خارجيته جميل مردم قد اتفقوا على ارسال وفد خاص الى بيروت لتسوية الامور، وقد ترأس الوفد لطفي الحفار وعفيف الصلح، فأجتمعا برياض الصلح[٣١]، وعبد الحميد كرامي وصائب سلام وسامي الصلح، وبعد مشاورات مكثفة

---

(٢٦) ادوار سبيرز، ولد في ٧ اب ١٨٨٦، التحق بمدرسة (Kildare) العسكرية عام ١٩٠٣، واخذ يتدرج في الرتب العسكرية، ترأس البعثة العسكرية البريطانية في باريس من (١٩١٧-١٩٢٠) وتقاعد في عام ١٩٢٠ ثم شغل منصب ضابط بريطاني لدى رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الدفاع في حزيران ١٩٤٠ وترأس البعثة البريطانية لدى الجنرال ديغول في تموز ١٩٤٠، وترأس بعثة (Spears) الى كل من سوريا ولبنان في تموز ١٩٤٠، للتفاصيل ينظر ،

Whos Who, 1944, P.2584.

(٢٧)**Albert Hourani, Syria and Lebanon, Apolitical Essay, London, 1946, P,252.**

(٢٨) مصطفى النحاس (١٨٧٩-١٩٦٥) شيعي مصري وزعيم حزب الوفد، ولد في ١٨٧٩، واستغل قاضيا، اشترك في الحركة الوطنية وانظم للوفد عند انشائه برئاسة سعد زغلول انتخب سكرتيرا به وترأس الحزب بعد وفاة زغلول في ٢٣ اب ١٩٢٧، عين وزيرا للمواصلات في اول وزارة وفدية، وبعد استقلالها عاد الى المحاماة وكيلا لمجلس النواب، وترأس الحكومة المصرية في ١٩٢٨و١٩٣٠و١٩٣٦ وقع معاهدة ٢٨ اب ١٩٣٦، مع بريطانيا، قاد المعارضة ضد القصريين ١٩٣٦و ١٩٥٠ واعتزل الحياة السياسية عام ١٩٥٢، ينظر ، عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٤، ص٣-٤/٥-٥.

(٢٩) مسعود مظهر، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٣٠) سامي الصلح، احتكم الى التاريخ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص٦١.

(٣١) رياض الصلح (١٨٩٣-١٩٥١) هو رياض بن رضا بن احمد باشا الصلح ولد في صيدا عام ١٨٩٣، ولقبت اسرته بالصلح نسبة الى جدهم الشيخ الصلح، تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في الكلية العثمانية ، ثم اتمها في مدرسة عين طور للاباء العازاريين في بيروت، بدء حياته السياسية

انتهى الاجتماع على تكوين جبهة قوية لمساندة الشيخ بشارة الخوري، وكان رياض الصلح على رأس هذه الجبهة(٣٢).

والواقع ان رياض الصلح كان اقرب في تلك المرحلة الانتخابية الى أميل ادة منه الى بشارة الخوري، وان دخول رياض الصلح لائحة احمد الاسعد في الجنوب كان بناء على طلب اميل ادة، وانه لايجد فرقا كبيرا في الموقف السياسي بين بشارة الخوري واميل ادة(٣٣). وهذا ما اكده حبيب ابو شهلا عندما كلفه بشارة الخوري ان يسعى في كسب رياض الصلح الى جانبه، ظنا بأن وجوده الى جانبه ضمانة كبرى لفوزه، فأتصل ابو شهلا برياض الصلح ولكنه وجده متمسكا بأميل ادة ولن يتحول عنه لانه رشح نفسه عن الجنوب بالاتفاق معه، وعندما وضح ابي شهلا لرياض الصلح بأن اميل ادة يكره العرب والعروبة اجاب الصلح "ان المسألة متوقفة في الدرجة الاولى على استقلال البلاد وجلاء الفرنسيين، فأذا تم هذا وسيتم بأذن الله فأن اميل ادة لن يكون اقل ايمانا بالعروبة والتعاون العربي من بشارة الخوري"(٣٤).ويشير باسم الجسر الى ذلك بقوله: "ان قبول الصلح انتخاب الخوري جاء نتيجة لاقناع الزعماء السوريين له بذلك"(٣٥).

واخيرا تحالف رياض الصلح مع بشارة الخوري، فشهدت الانتخابات صراعا بين النفوذ الفرنسي مع الشعور الوطني، وتألفت جبهتان الاولى كانت تمثل اماني البلاد في الاستقلال التام وقد تزعمتها العناصر القومية وعلى رأسها رياض الصلح مضافا اليها الكتلة الدستورية وعلى رأسها بشارة الخوري، والثانية كانت تمثل الانعزالية التقليدية الموالية لفرنسا وقد تزعمتها الكتلة الوطنية وعلى رأسها اميل ادة يعاونها الامين العام الفرنسي ويمولها البنك السوري اللبناني(٣٦).

بأشتراكه في الاحزاب العربية المناوئة للاتحاديين ومنها حزبي الحر والائتلاف، نفي مع والده عام ١٩١٧ الى الاناضول بسبب معاداتهما للاتحاديين ، ترأس الوزارة الاولى في عهد الرئيس بشارة الخوري عام ١٩٤٣، ثم ترأس الوزارة ست مرات، واغتيل اثناء زيارته للاردن في عام ١٩٥١، للتفاصيل ينظر سعد محسن عبد العبيدي، رياض الصلح ودوره السياسي حتى عام ١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ٢٠٠١.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٤٧.

(٣٣) نجلاء عطية، التصور التاريخي للازمة اللبنانية، مجلة افاق عربية، العدد ٢٧،بغداد، ١٩٨٤، ص٦٩.

(٣٤) سعد محسن عبد العبيدي، المصدر السابق، ص٤٦٥-٤٧٠.

(٣٥) نقلا عن باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص١٠٨.

(٣٦) **U.S.S.D.L.I,and F.A. 1941-1944, Lebanon, Telgram From The American Legation, Beirut, Lebanan, August, 1943, No,255, To The Secretary of State, Wash, Film 3, P.394.**

وفي صباح الحادي والعشرين من ايلول ١٩٤٣ عقد مجلس النواب اللبناني جلسته الاولى، بحضور (٤٧) نائبا من اصل (٥٥) [٣٧]. وانتخب صبري حمادة رئيسا للمجلس[٣٨]. ووفقا للمادة (٧٥) من الدستور والتي تنص على "ان المجلس الملتئم لانتخاب رئيس الجمهورية يعد هيئة انتخابية لاهيئة تشريعية ، ويترتب عليه الشروع حالا في انتخاب رئيس الدولة من دون مناقشة أي عمل اخر[٣٩].باشر مجلس النواب بأنتخاب رئيس الجمهورية، وبعد فرز الاصوات كانت النتيجة فوز بشارة الخوري بأكثرية (٤٤) صوتا بعد ان وجدت ثلاثة ورقات بيضاء، فأعلن من المجلس عن انتخابه رئيسا للجمهورية اللبنانية[٤٠].

وفي الجلسة الثانية لمجلس النواب المنعقدة في ٢٣ ايلول من العام نفسه اذى الخوري اليمين الدستوري، وذلك عملا بالمادة (٥٠) من الدستور اللبناني، والتي تنص:"عندما يقبض رئيس الجمهورية على ازمة الحكم عليه ان يحلف امام البرلمان يمين الخلاص للامة والدستور بالنص الاتي: احلف بالله العظيم ان احترم دستور الامة

---

(٣٧) ان نسبة تمثيل المسيحين في المجلس النيابي اللبناني زائدة على نسبة تمثيل المسلمين بالسدس (٥/٦) جاء ذلك بناء على اقتراح جان هيللو (Hellew) سفير فرنسا ومندوبها العام في الشرق قدم للزعماء المسلمين والمسيحيين وحصلت الموافقة التوفيقية حوله وصدر في ٣١ تموز ١٩٤٣ على شكل مرسوم برقم (٣١٢) نصت المادة الاولى منه على ان مجلس النواب يتألف من (٥٥) عضوا وحددت المادة الثانية من توزيع المقاعد بنسبة (٢٥) للطوائف الاسلامية (٣٠) للطوائف المسيحية، للتفاصيل ينظر:

U.S.S.D.L.I,and F.A. 1941-1944, Lebanon, Telgram From The American Legation, Beirut, Lebanan, August, 1943, No,243, To The Secretary of State, Wash, Film 3, P.377.

وتغيب عن الجلسة كل من اميا ادة، جورج عقل، اسعد البستاني، جميل تلحوق، كمال جنبلاط، عبد الغني الخطيب، احمد الحسيني، ينظر بشارة الخوري، حقائق لبنان، ج٢، ١٩٦٠، ص١٠.

(٣٨) انتخب صبري حمادة بـ (٣٩) صوتا من اصل (٤٧) صوتا، وتعهد بكلمة له بعد فوزه برئاسة المجلس ان يكون لجميع النواب صادقا وميزانا بين مختلف الاحزاب ومراعاة نصوص القوانين والانظمة والحرص على تطبيقها ينظر، محاضر مجلس النواب اللبنانب ١٩٢٢-٢٠٠٠،الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، مركز الابحاث والدراسات في المعلوماتية والقانونية، بيروت، ٢٠٠٠، محضر الجلسة الاولى لمجلس النواب اللبناني في ٢١ ايلول ١٩٤٣.

(٣٩) حول نصر الفقرة من الدستور اللبناني ينظر ، د.ك.و، ٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير المفوضية العراقية في بيروت، الى وزارة الخارجية اللبناني، و٥٤، ص٩٤.

(٤٠) د.ك.و،٣١١/٢٦٤٨، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، الانتخابات في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، ش/٢٣٣/٢٣٣/٨/٨١٣٧ في ٢٢ايلول ١٩٤٣، و٤٠، ص٦٢؛ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص١٥.

اللبنانية وقوانينها واحفظ استقلال الوطن اللبناني وسلامة اراضيه"[٤١].وبعدها خطب شاكرا النواب والشعب على ثقتهم واعلن انه "سيكون للجميع دون ان يتحيز لاحد"، مؤكدا حرص لبنان على الالفة والاتحاد وتحقيق النظام والسلام والتوازن والوئام بين ابنائه، ومشيرا في خطابه الى علاقة لبنان بفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بقوله :"ان الصداقة الحقيقية لاتتعارض ابدا وحق لبنان في الاستقلال، واضاف الرئيس اللبناني المنتخب الى علاقات لبنان بالاقطار العربية بقوله :"ان الوطن اللبناني الذي نضع حبه فوق كل شيء، والذي يجب ان يظل للبلدان العربية الشقيقة المحيط به جارا امينا واخا صادقا تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص، وان لبنان فور بأن كان على مر العصور معقلا من معاقل الحريات والثقافة الخالصة، ولكل لبناني ان يعتز به اليوم"[٤٢].

ويضيف الشيخ الخوري في مذكراته مشاعره بعد اعلان نتيجة فوزه بقوله: "ومن الدقيقة الاولى تجلى امامي عظيم المسؤولية، ولم اشعر بنشوة الظفر، بقدر ما شعرت بالتبعات الجسام الملقاة على عاتقي، شأني في جميع الظروف السارة"[٤٣].

وهكذا كان نبأ انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيس للجمهورية قابلة ترحاب كبير من معظم الرأي العام اللبناني، لادراكهم بأن الرئيس المنتخب الخوري سيدشن سياسة وطنية مستقلة ومعتدلة بين جميع الاطراف اللبنانية، وقائمة على التحرير التدريجي من الهيمنة الفرنسية[٤٤]،لاشك ان وصول الشيخ بشارة الخوري لمنصب رئاسة الجمهورية يعكس ارادة اللبنانيين في الوصول الى الاستقلال، اذ ان وصوله قد اصاب الهيمنة الفرنسية بضربة عنيفة، وخيب ظنها، وافشل تدخلات مفوضيتها الواضحة لمصلحة مرشحها اميل ادة.

[٤١] حول نص الفقرة من الدستور ينظر، د.ك.و، ٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير المفوضية العراقية في بيروت، الى وزارة الخارجية، الدستور اللبناني، و٥٤، ص٩٥.

[٤٢] حول نص خطاب الرئيس بشارة الخوري في مجلس النواب ينظر، د.ك.و،٣١١/٢٦٤٨، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، الانتخابات في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي برقم :ش/٢٣٣/٢٣٣/٨/٨١٩٨، بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٤٣، و٤٣، ص٦٨.

[٤٣] بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص١٦.

[٤٤] اشارت الوثائق العراقية الى ردود افعال الشعب اللبناني تجاه فوز الرئيس الخوري في تقارير، على سبيل المثال ينظر ،د.ك.و، ٣١١/٢٦٤٩، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب المفوضية الى وزارة الخارجية، بتاريخ ٢٥ ايلول ١٩٤٣، و١٧، ص١٩-٢٠.

المبحث الثاني
دوره في وضع الميثاق الوطني

يعد شهر ايلول من عام ١٩٤٣ في لبنان، شهرا متميزا في حياته الوطنية فالبلاد شهدت شهرا مليئا بالاحداث والمناورات السياسية والاتفاقيات الوطنية، وخلال هذا الشهر عقدت اجتماعات عدة بين بشارة الخوري ورياض الصلح قبل ان يتفقا على البرنامج السياسي، وخلاله ايضا تمت اللقاءات والاتصالات بين الزعماء السياسيين اللبنانيين والسوريين والمصريين بتشجيع من الجنرال سبيرز رئيس البعثة البريطانية[٤٥].

كانت ظروف الانتخابات اللبنانية والمطالبة بعودة الحياة الدستورية وخطورة النظام السياسي الطائفي فضلا عن تأثير السياسة البريطانية، شكلت عوامل مهمة في التقرب بين السياسيين المسيحيين والمسلمين من ذوي النزعة اللبنانية وذوي النزعة القومية، كما ان سنوات الانتداب كانت قد خففت من حدة التناقضات الوطنية وقربت وجهات النظر المتناقضة وقربت الطريق نحو الوفاق[٤٦].

ويبدو ان البوادر الاولى لتنفيذ الميثاق الوطني تمت في الحوار الذي جرى بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح حيث خاطبه بشارة :"انا اعلم انك تجاهد في صفوف القوميين العرب منذ حوالي ثلاثين عاما بغية اقامة دولة عربية كبيرة واعلم ايضا انك تؤمن بلبنان ورسالته العربية، وانك مقتنع بأنه بوسع لبنان ان يكون امة عربية مستقلة حيث يجد المسيحيون كل الضمانات" فأجابه رياض الصلح :"ان ماضيَّ يبرهن ان ما فعلته في سبيل القضية العربية فعلته ايضا في مصلحة لبنان وتعلم ان البعض انتقدوا مواقفي واتهموني بأني اصبحت لبنانيا. وكنت اجيبهم ان من يناضل من اجل لبنان يناضل ايضا من اجل حرية العالم العربية كله، ومن يناضل من اجل القضية العربية يناضل من اجل القضية اللبنانية، واني صرحت في احدى خطبي بأنني افضل ان اعيش في قرية صغيرة مستقلة على ان اعيش في دولة عربية واسعة مرتبطة بمعاهدات يحكمها مستشارون اجانب، وانا لم ابدل سياستي ، وقال له بشارة ايضا :"هل تعتقد يا رياض ان جميع اخواننا المسلمين يتبنون اتفاقنا؟ أتعتقد انهم سيقبلون بلبنان كوطن نهائي لهم؟ ..." فما كان من رياض الصلح الا ان قاطعه مؤكدا :"ان المسلمين يقبلون بلبنان وطنا نهائيا شرط رفع الغبن عنهم واقامة العدالة مع سواهم" مما قاله :"اذا كان اتفاقنا صريحا وشريفا بدون غبن لاحد، وحافظا لكرامة المسلمين والمسيحيين، مراعيا شعور الفريقين ويوفر توزيعا منصفا بين حقوق الجميع، واخيرا

---

[٤٥] باسم الجسر، الاستقلال اللبناني والميثاق ماذا حدث بالضبط عام ١٩٤٣، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد١، بيروت ١٩٧٨، ص٥٣.
[٤٦] المصدر نفسه، ص١٠٦.

اذا كان العهد الجديد يدلل مرونة وعدالة تجاه المسلمين اني كفيل ليس فقط بالحصول على قبول المسلمين بل ايضا بأقناع السوريين والعرب على الاعتراف بأستقلال لبنان وضمان حدوده الحالية، فنقلب عندئذ صفحة قديمة مؤلمة من تاريخنا وتنتهي النغمة القائلة بالالتحاق بسوريا ونبتدي صفحة جديدة من تاريخنا"[(٤٧)].

ولعل هذا اللقاء كان في ١٩ ايلول ١٩٤٣،وذلك مايتضح من قول الخوري :"وكنا قد اجتمعنا يوم الاحد في ١٩ من ايلول أي قبل انتخاب الرئاسة بيومين، على اسس الميثاق الوطني[(٤٨)].

وبعد ان انتخب بشارة الخوري رئيسا للجمهورية اللبنانية، عقد اجتماع اخر مع رياض الصلح وخلال هذا الاجتماع تم الاتفاق على المبادئ الاساسية لما سمي فيما بعد بالميثاق الوطني[(٤٩)]. واهمها:

١. ان يتخلى المسيحيون اللبنانيون عن رغبتهم في طلب الحماية الفرنسية والخروج من العزلة وان يدخلوا ضمن المجموعة العربية، مقابل ذلك ان يتخلى المسلمون عن السعي لضم لبنان او أي جزء منه الى سوريا او الى أي وحدة عربية [(٥٠)].
٢. توزيع الطرفين على مناصب الدولة الرئيسية توزيعا دينيا، فضلا عن تقسيم الوظائف ذات المسؤولية في الدولة حسب الاهمية بالنسبة لكل طائفة[(٥١)].

شكلت الحركة الوطنية في سوريا الطرف الثالث في الميثاق، فالزعماء السوريون هم الذين اتصلوا ببشارة الخوري واكدوا له استعدادهم للاعتراف بالكيان اللبناني لقاء تحرره من الانتداب، وكذلك فأن الزعماء السوريين هم الذين اقنعوا الوحدويين في لبنان على رأسهم رياض الصلح بالاقلاع عن مطالبهم بالوحدة السورية، والتعاون مع الشيخ بشارة الخوري، والقبول بكيان لبناني منفتح على العرب والعروبة"[(٥٢)].

---

(٤٧) جوزيف مغيزل، لبنان والقضية العربية، منشورات عويدات، بيروت،ط١، ١٩٥٩، ص١٨٤؛ حسان حلاق، الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣، ميثاق مكتوب؟ مجلة تاريخ العربي والعالم، عدد٦، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٦.

(٤٨) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص١٧.

(٤٩) باسم الجسر، الاستقلال اللبناني والميثاق، عدد٢، ص٥١.

(٥٠) ادمون رباط، لبنان والميثاق الوطني، مجلة الاداب، عدد٣-٤، بيروت، ١٩٧٧؛ كمال جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، دار النشر العربية، بيروت، ١٩٥٩، ص١١١؛ نجلاء عطية، المصدر السابق، ص٦٩.

(٥١) حمدي الطاهري، سياسة الحكم في لبنان، المطبعة العالمية، القاهرة، د.ت، ط٢، ص١٢٩.

(٥٢) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣،لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص١٢٧.

ومن خلال استعراضنا لخطب رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، يمكننا القول بأن مبادئ ميثاق ١٩٤٣ الاساسية في نظره يمكن ايجازها بما يأتي:

١. اتفاق المسيحيين والمسلمين في لبنان على صيغة وطنية سياسية واحدة خلاصتها "ان لبنان جمهورية مستقلة استقلالا تاما في اطار كيانها الراهن، لامعاهدة ولااتفاق يربطها بدولة اخرى، وتلتزم هذه الدولة بالوقت ذاته بالنسبة لكل الدول العربية، دون تفضيل أي دولة على الاخرى".
٢. "ان لبنان دولة عربية سيدة، وهي عضوة في الاسرة العربية الكبرة، التي عرفت بكيانه وسيادته، على ان لبنان على عروبته، لايقطع علاقاته الثقافية والحضارية مع الغرب، وهذه العلاقات التي ساعدته على بلوغ درجة التقدم التي بلغها".
٣. الابقاء على الدستور اللبناني الذي ينص على التوازن بين الطوائف، وهذا التوازن الذي يمنع الطائفية العمياء من الاضرار بمصلحة الوطن، والذي يساعد على خلق جو من الالفة بين المواطنين، على ان يجري توزيع الوظائف العامة بين الطوائف مع مراعاة الكفاءة وحدها بالنسبة للوظائف الفنية[٥٣].

وبما ان الميثاق كرس الرئاسات الثلاث رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء للسنة ورئاسة المجلس النيابي للشيعة حيث الاتفاق الذي جرى في جلسة خاصة بين رياض الصلح وبشارة الخوري[٥٤]، الا انها كانت بشكل مؤقت، على ان يتبعها تعديلات على الغاء الطائفية، ويذكر بشارة الخوري بأن الميثاق هو: "اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاته في عقيدة واحدة استقلال لبنان الناجز دون الالتجاء الى حماية من الغرب ولا الى وحدة او اتحاد مع الشرق"[٥٥].

ويشير رياض الصلح انه قبل التعاون مع بشارة الخوري على اساس مارونية رئاسة الجمهورية اراد اعطاء الاطمئنان للمسيحيين على ان تكون الرئاسة الاولى لهم لفترة ست سنوات وقد تمتد لـ (١٢) عاما أي لعهدين، وهي حقبة كافية الالغاء الطائفية وللتأكيد بأن لبنان سيبقى مستقلا ولن يلتحق بأي اتحاد عربي[٥٦].ويشبه رياض

---

[٥٣] يوسف ابراهيم يزبك، قضية الميثاق الوطني ، مجلة الاسبوع العربي، بيروت، في ١٤ اب ١٩٥٨. وكان يوسف ابراهيم يزبك قد حرص قبل نشر هذا المقال عام ١٩٦٠ على أن يطلع الشيخ بشارة الخوري عليه، وكان معتزلا السياسة في داره بالمكسيك، فقرأه الرئيس الخوري، واكد صحة ماورد فيه من معلومات، نقلا عن باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص١٣٩.

[٥٤] حسان الحلاق، الميثاق الوطني اللبناني في ١٩٤٣ ميثاق مكتوب، ص٣٨.

[٥٥] بشارة الخوري، المصدر السابق، ج٢، ص٢١.

[٥٦] حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص٢٣٥؛ حسان حلاق، الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣، ميثاق مكتوب، ص٣٨.

الصلح الميثاق مثل الطير لا يطير الا بهما وهما المسلمون والمسيحيون(٥٧). أي انه لا يطير بجناح واحد.

وخلال هذا الشهر ايضا وبالاخص بعد انتخابات ١٩٤٣ كلف بشارة الخوري رئيس الحكومة رياض الصلح بالذهاب الى دمشق والاجتماع بالزعماء السوريين امثال سعد الله الجابري، وفارس الخوري وجميل مردم، اثار رياض في تلك الاجتماعات مشكلة (الاقضية الاربعة) (٥٨). مطالبا الزعماء السوريين التخلي عن المطالبة بها وذلك لطمأنة اللبنانيين، عارض فارس الخوري طلب رياض الصلح ولكن سعد الله الجابري وافق رياض وكانت حجة رياض الصلح "هي ما الضرر في ان يكون عدد الدول العربية ستا بدلا من اربع؟ وان المسيحيين في لبنان وسوريا لايفرقون بسهولة بين الاسلام والعروبة. ولذلك فأنه من الافضل لقطع الطريق على مناورات الاستعمار، ان يكون هنالك دولة لبنانية عربية تكرس الفكرة بأن العروبة لاتعني الاسلام"(٥٩).

واخيرا يصف صبري حمادة رئي المجلس النيابي، ورفيق الشيخ بشارة الخوري الظروف التي جرى فيها الاتفاق على مبادئ الميثاق قائلا :"هذا الميثاق الذي لم يدون أي بند منه والذي ادعى الكثيرون ابوته، قد وضع في منزل رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري بعد انتخابه، وكان يحضر الاجتماعات التي ابرزت مبادئه كل من الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وصبري حمادة ومن حيث لاخر كان صائب سلام يحضر بعض الاجتماعات. لقد كان علينا ان نجد صيغة جديدة تشكل حلا وسط وترضي كل المواطنين، فالذي كنا نسعى اليه هو التوفيق بين مختلف التيارات التي كانت تتنازع البلاد، وتعوق بلوغنا الاستقلال"(٦٠).

واخيرا لابد من القول ان الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح لم يكونا ممثلين للطائفتين المارونية والسينية في الحكم فحسب، بل كانا ايضا ممثلين التيارين الوطني اللبناني والوطن العربي اللذين تنازعا مصير لبنان منذ عام ١٩٢٠، ثم ان اتفاقهما لم يكن اتفاق سياسيين في المعارضة بل اتفاق مسؤولين في اعلى مراتب المسؤولية السياسية سوف يترجم الى التزامات واعمال لها تأثيرها ومضاعفاتها على الصعيدين الوطني والدولي ولاشك ان الخوري والصلح يدركان تماما ان اتفاقهما يعني الطريق بأتجاه الاستقلال لاقتسام الحكم بينهما.

---

(٥٧) صادق السوداني، نظام كميل شمعون (١٩٥٢-١٩٥٨) مجلة جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق، عدد٢، ١٩٨٢، ص٣٠٩-٣١٠؛ وجيه علم الدين، مراحل استقلال دولتي سوريا ولبنان (١٩٢٢-١٩٤٣) بيروت، ١٩٦٧، ص٢٩٥.

(٥٨) ويقصد بهما حاصبيا، وراشيا، بعلبك البقاع.

(٥٩) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان ؟ وهل سقط؟ ص١٠٩-١١٠.

(٦٠) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان ؟ وهل سقط؟ ص١١٢.

المبحث الثالث

بشارة الخوري والازمة اللبنانية -الفرنسية عام ١٩٤٣

اولا : البيان الوزاري وبداية الازمة

بدأ رئيس الجمهورية بشارة الخوري بعد تأدية اليمين الدستوري استشاراته لتأليف الوزارة وكان رياض الصلح اول من اتجهت اليه الانظار بالترشيح، اذ كانت رغبة اكثرية النواب متجهة اليه[٦١].فكلف رئيس الجمهورية رياض الصلح بتأليف الوزارة وكان لتكليف رياض بتأليف الوزارة دون استشارة المندوبية العامة الفرنسية كما كان يجري سابقا. ولعل هذا دليل على مظاهر السيادة والاستقلال. ويؤكد ذلك الخوري بمذكراته بالقول :"راجعني نواب كثيرون بشأن رئاسة الوزارة.. ومنذ الساعات الاولى صممت في نفسي ان اوليها رجلا له مكانته في لبنان ولدى الدول العربية، ووهبه الله ذكاء نيرا واقداما نادرا، عنيت رياض الصلح.." وحول الموقف الفرنسي من تعين الصلح قال بشارة "وغضبت السلطة الفرنسية التي لن تستشر في الامر مطلقا، وقد اوفد الي الفرنسيون اكثر من رسول، يندندون تخوفهم من ان يعرض لهعم رياض الصلح في بيانه الوزاري، فأكدت لهم ان رياض رجل دولة فهو لايسيء اليهم[٦٢].

وسعى رياض الصلح لجعلها وزارة ائتلافية من كتلتي اميل ادة وبشارة الخوري وبعض المحايدين، وكان ان يتم ذلك لولا ان النزاع وقع على توزيع الكراسي الوزارية وعلى وزارة الداخلية بالذات ففشلت فكرة الائتلاف[٦٣].

وعلى اية حال فقد تشكلت الوزارة اللبنانية الخامسة في الخامس والعشرين من ايلول ١٩٤٣ بأن تولى رياض الصلح حقيبتي الرئاسة والمالية[٦٤]. وبعد ان شكل

---

[٦١] د.ك.و،٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القنصلية العراقية لشهر اب وايلول لسنة ١٩٤٣، و٥٤، ص٩١.

[٦٢] نقلا عن بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص١٧-٢٠؛

U.S.S.D.L.I and F.A.1941-1944 Lebanon Telegram From The American Legation, Beirut, Lebanon, November 5. 1943, No208, To The Secretary of state, Washington, Film 4, P.28.

[٦٣] د.ك.و،٣١١/٥١١٣،تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القنصلية العراقية لشهر اب وايلول لسنة ١٩٤٣، و٥٤، ص٩١.

[٦٤] ضمت الوزارة:حبيب ابو شهر: نائب رئيس الوزراء ووزير العدلية والتربية الوطنية، سليم نقلا: وزير الخارجية والاشغال العامة، كميل شمعون: وزيرالداخلية والبرق والبريد، الامير مجيد ارسلان:وزير الدفاع والصحة والزراعة، عادل عسيران: وزير التموين والتجارة والصناعة، ينظر د.ك.و، ٣١١/٢٦٤٨، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، الموضوع: تأليف الوزارة اللبنانية، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم : ش ٨٣٢١/٨/٢٣٣/٢٣٣، بتاريخ ٢٩/ايلول/١٩٤٣، و٣٩، ص٦١؛

رياض الصلح وزارته الاولى لم يقم للعرف المتبع سابقا بزيارة المندوب العام اثر تأليف الحكومة، حيث انه لم يرى من هذه الزيارة مايليق ببلد مستقل، فتجاهل هذا التقليد معتبرا المندوب سفيرا كغيره من السفراء اذا زارها مهنئا ردت له الزيارة هكذا اوالت الحكومة الجديدة تقليدا كان اللبنانيون يتألمون منه لانهم يرون فيه رمزا لاستعمار مذل[٦٥]. ولعل ذلك مايؤكد لسياسة الحكومة متطابقة تماما مع سياسة رئيس الجمهورية الذي لم يستشر الفرنسيون بتشكيلها.

القى رياض الصلح في السابع من تشرين الاول ١٩٤٣ بيانه الوزاري في المجلس النيابي وعرف بأسم "وثيقة الاستقلال"[٦٦]. حيث شرح سياسة حكومته الداخلية والخارجية مؤكدا ان الاستقلال الحقيقي والسيادة الوطنية والحفاظ على الكيان اللبناني هي اهم القضايا التي تواجهها حكومته، واضاف"اننا نريد هذا الاستقلال استقلالا صحيحا ونريد سيادتنا الوطنية كاملة، نتصرف بمقدراتنا كما نشاء وكما تقتضي مصلحتنا الوطنية دون سواها، هذا هو عنوان سياسة هذه الحكومة، وهذه هي الغاية التي قبلت من اجلها هذه المهمة واضطلعت بأعبائها الجسيمة[٦٧]. وتناول في خطابه عن التعاون مع البلدان وان لبنان محتاج الى هذا التعاون حيث قال :"ان لبنان مدعو كغيره من بلدان العالم الى التعاون الدولي تعاونا يزداد وثوقا يوما فيوما والعصر يأبى العزلة التامة للدول كبيرها وصغيرها. ولبنان من احوج الدول الى هذا النوع من التعاون، وموقعه الجغرافي ولغة قومه، وثقافته وتاريخه وظروفه الاقتصادية تجعله يضع علاقاته بالدول العربية الشقيقة في طليعة اهتماماته، وستقبل الحكومة على اقامة هذه العلاقات على اسس متينة تكفل احترام الدول العربية لاستقلال لبنان وسيادته التامة وسلامة حدوده الحاضرة، فلبنان وطن ذو وجه عربي يستسيغ الخير النافع من حضارة العرب. ان اخواننا في الاقطار العربية لايريدون للبنان الا مايريده ابناؤه الاباة الوطنيون، ونحن لانريده للاستعمار مستقرا، وهم لايريدونه للاستعمار اليهم ممرا، فنحن وهم اذن نريده وطنا عزيزا مستقلا كريما"[٦٨].

U.S.S.D.L.I and F.A.1941-1944 Lebanon Telegram From The American Legation, Beirut, Lebanon, November 5. 1943, No208, To The Secretary of state, Washington, Film 4, P.28.

[٦٥] منير تقي الدين، ولادة استقلال ، مجلة العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٣، ص٣٦.

[٦٦] ادمون رباط، المصدر السابق، ص٥٢٤.

[٦٧] نقولاي هـ .هوفهانسيان، النضال التحرري الوطني في لبنان (١٩٣٩-١٩٥٨) تعريب:بسام اندويان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤، ص٧٤.

[٦٨] بدر الدين الخصوصي، القضية اللبنانية تاريخها الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٧٨، ص٧٤.

اما في حقل السياسة الخارجية والاقتصاد الوطني فقد اعلن رياض الصلح في بيانه بأن حكومته ستعمل على تطوير الصناعة الوطنية ورفع الانتاج الزراعي وسيادة الاراضي المزروعة ونظام الري واستخدام الالات الزراعية الضرورية[٦٩].

وتناول رياض الصلح في بيانه قضية الطائفية حيث ذكر ان من اسس الاصلاح هي معالجة الطائفية والقضاء على مساوئها لانها تقيد التقدم الوطني وتشوه سمعة لبنان فضلا عن انها تسمم روح العلاقات بين الجماعات المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني[٧٠]. ووصف رياض الصلح الطائفية بأنها :"وصمة عار على جبين لبنان يجب ازالتها"[٧١].

ولم يقتصر البيان الوزاري على هذه المواضيع والا ظل عاديا كسائر البيانات التي تلقيها الحكومات في جلسة الثقة في ظروف عادية، بل ان اهم ماجاء في البيانات هو تعديل الدستور حيث ان فيه مواد لايتفق وجودها وقيام الاستقلال وستعمل الحكومة على اجراء تعديلات فيه ليصبح دستور دولة مستقلة تمام الاستقلال[٧٢].

ومن الجدير بالذكر ان هذا البيان الوزاري الذي وضعه رياض الصلح قد عرضت نصوصه ومراجعاته اكثر من مرة مع رئيس الجمهورية بشارة الخوري، حتى استمرت كتابته هذه اسبوعا كاملا[٧٣].

واكد ذلك الخوري بمذكراته بالقول :"واتفقنا على طريقة اعداد البيان، بعد ان رسمنا خطوطه كلها، على ان اترك لرياض الوقت الكافي لكتابته، ثم يعرضه علىَ لابداء ملاحظات عليه وسكبه بقالبه النهائي، فكان ان اتفقنا على كل كلمة فيه"[٧٤].

ترك وقع البيان الوزاري ردود فعل عنيفة لدى الفرنسيين لانهم تعودوا صياغة تلك البيانات ولكن حكومة رياض الصلح لم تخاطبهم ولم تسألهم فيه رأيا، وعندما استفسر الفرنسيون من الحكومة عن مايتضمنه البيان فقالت :"ستعرفون مافيه حين يجب ان تعرفوا وستسمعونه في المجلس" وحتى ان بعضهم احصى كم مرة وردت لفظة الاستقلال فوجدوها (٣٧)مرة، لذا شعر الفرنسيون ان سلطانهم في تراجع مستمر فقاموا بعدة اجراءات تهديدية منها انزال فرقة من الحرس في قرية برالياس من منطقة البقاع، واشتد قلق الفرنسيين من مجرى الاحداث فبعد القاء البيان الوزاري بيومين

---

[٦٩] جريدة الاهرام، عدد ٢١١٥٠، بتاريخ ١٠/تشرين الاول/١٩٤٣؛ نقولاي هوفها نسيان، المصدر السابق، ص٧٤.

[٧٠] ابراهيم عبد العزيز، النظام الدستوري اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٧٩؛ ملحم قربان، تاريخ لبنان السياسي، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ص٣١١.

[٧١] مسعود ظاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤-١٩٢٦، بيروت، ١٩٧٤، ص٦٠.

[٧٢] بشارة الخوري، حضارة لبنان، ج٢، ص٢١-٢٢.

[٧٣] باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص١٢٦.

[٧٤] بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص٢١.

تلقى رئيس الوزراء رياض الصلح كتابا من السفير يقول فيه:" ان الحكومة اللبنانية تخالف نص الدستور اللبناني وان صك الانتداب لايخول لبنان حق تعديل الدستور منفردا"[٧٥].

فبدأت المناوشات بين الحكومة منذ تشكيلها مع السلطات الفرنسية، ففي حفلة العشاء التي اقامتها الحكومة اللبنانية للمندوب السامي ومستشاريه السياسيين، حدث نقاش حاد بين هيللو مع رياض الصلح رئيس الحكومة، الذي ذكر بأن الاستقلال قد تم اعلانه، فأجابه هيللو بأنه لن يتم تسليم السلطات للحكومة اللبنانية قبل انتهاء الحرب وعقد معاهدة وحدثت مجادلة بين الطرفين، وبدأ ان موضوع المعاهدة محور النقاش وانتهت المجادلة دون نتيجة[٧٦].

ثانيا: اعتقال الخوري واعضاء الحكومة وتصاعد الازمة اللبنانية

بدأت الحكومة اللبنانية بالعمل الفعلي، وكان اول عمل قامت به اعتماد اللغة العربية اساسا في ادارة شؤون الدولة فقد كانت تعلم ان اللغة العربية كانت مهملة وان اللغة الفرنسية كانت تحتل دواوين الحكومة اللبنانية اذ كان حوالي (٩٥%) من الاوراق التي تقدم اليه تكتب باللغة الفرنسية فبادر الى اصدار مذكرة[٧٧].الى جميع الدوائر يبلغهم بوجوب استعمال اللغة العربية في كل المعاملات التي تجري في دواوين الحكومة، وعد اللغة العربية لغة البلاد الرسمية[٧٨].

وعندما جاء مندوبو الدول الاجنبية الى السراي لتهنئة الرئيس بشارة الخوري واعضاء حكومته سمعوا ضباط الدرك والشرطة يصدرون اوامرهم لرجال الحرس لتحيتهم باللغة العربية، وكانت اول مرة سمعت فيها هذه الاوامر بلغة البلاد، من جملةمن سمعها المستشارون الفرنسيون[٧٩].

---

[٧٥]د.ك.و،٣٦٥/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، البيان الوزاري، كتاب المفوضية الى وزارة الخارجية، ش/١٠٣/١٠٣/٦٠٣/٨/١٠٠٠٠٥، في ١٥تشرين الاول ١٩٤٣، و٥٧، ص٦٣.

[٧٦]محمد رجائي، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، ص٨٤.

[٧٧]التعميم الذي اصدره رياض الصلح هو :"ارجوا من حضرتكم ان تحرروا التعليمات اللازمة الى جميع الدوائر التابعة لوزارتكم بأن جميع المخابرات والمعاملات بين الدوائر السرمية يجب ان تحرر منذ الان فصاعدا باللغة العربية التي هي لغة البلاد الرسمية، وذلك عملا بالعهد الذي قطعته الحكومة على نفسها في البيان الوزاري". الامضاء رياض الصلح بتاريخ ١٣/تشرين الاول/١٩٤٣. ينظر مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، ص٢٧٤؛ منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٣٦-٣٧.

[٧٨]يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١٠٩١.

[٧٩]اصدر رئيس الوزراء رياض الصلح اوامره بأستبدال الاوامر العسكرية منذ يوم السبت ١٦/تشرين الاول/١٩٤٣ باللغة العربية، فبوشر بأستخدام الاوامر باللغة العربية في القيادة وجميع المخافر منذ الساعة التاسعة، كما ان رئيس الوزراء رياض الصلح ازمع على فتح مدرسة ليلية لتعليم الموظفين الذين لايحسنون الكتابة بالعربية مبادئ هذه اللغة، وقد اذاع محافظ بيروت على

بدأت الحكومة في تنفيذ البيان الوزاري، وكان عليها ان تبدأ بمسألة المصالح المشتركة، والتي تخص سوريا ولبنان معا، وكانت السلطات الفرنسية تديرها ادارة مباشرة فطلبت لبنان من الفرنسيين بتسليم المصالح المشتركة(٨٠). ولكن الفرنسيين لم يلبوا الطلب الا بشرط عقد معاهدة مع فرنسا على اساس معاهدة١٩٣٦، ولكن حكومة لبنان لم ترض، وبينت انه يجب ان يستكمل لبنان سيادته اولا ليحق له عقد المعاهدات(٨١).

وعبثا حاول هيللوا اقناع الحكومة اللبنانية بعقد أي اتفاق مع اللجنة الفرنسية، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع في شتورا(٨٢).في الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٣،ضم مندوبين من الحكومة السورية واللبنانية حيث ترأس الوفد السوري جميل مردم وزير الخارجية بينما ترأس الجانب اللبناني الرئيس بشارة الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح(٨٣).وفيه اتفق الجانبان على تقديم رسالة مشتركة الى ممثل فرنسا العام هذا نصها:

"تطلب الحكومتان السورية واللبنانية فرنسا، مستندة الى الاستقلال والعودة الى العمل بالدستور وتحويل البعثة الفرنسية الى بعثة دبلوماسية والغاء كل صفات السلطة التي مازالت تتمتع بها"(٨٤).ويؤكد بشارة الخوري بأن المسيو هيللوا بدا مرتبكا لايختر جوابا ولم نكتمه تصميمنا على تعديل الدستور"(٨٥).

موظفي البلدية ان تنفيذا لرغبات الحكومة يحتم الاقتصار على الكتابة باللغة العربية ، ينظر منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٣٧.

(٨٠)د.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بالاعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠ بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٤؛

Eugenie Elie Abouchdid, Thirty Years of Lebanon & Syria 1917-1947, Beirut 1948, P.120.

(٨١)منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٤٢.

(٨٢)شتورا: بلدة في لبنان تقع على ملتقى الطرق بين بيروت ودمشق وبلعلبك ومرجعيون، ينظر لويس معلوف المنجد في اللغة والادب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٧، ١٩٦٠، ص٢٨٥.

(٨٣)بشارة الخوري، حقائق لبنان، ج٢، ص٢٢-٢٣؛ وليد المعلم، سوريا ١٩١٦-١٩٤٦، دمشق، ١٩٨٨، ص٣٩٣.

(٨٤)يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١٠٩٥.

(٨٥)بشارة الخوري، حقائق لبنان، ج٢، ص٢٣.

رفض هيللوا هذه الرسالة ورفض تسليم الحكومتين السورية واللبنانية المصالح المشتركة، لكنه وجد ان الوضع خطير ويتطلب المناقشة مع الجنرال ديغول شخصيا[٨٦].

فطلب هيللو من رياض الصلح رئيس الحكومة ان يمهله عشرة ايام او خمسة عشر يوما على الاكثر ريثما يسافر الى الجزائر حيث مقر رئيس الحكومة الفرنسية ديغول ليتباحث معه ويعود حاملا مايرضي اللبنانيين ويحفظ صلات المودة بين الفريقين[٨٧]. وعهد بجميع صلاحياته اثناء غيابه الى شاتينو[٨٨].

وعندما وصل هيللو الى الجزائر اجتمع مع لجنة مكونة من ديغول وماسيفلي وكاترو، وعندما طلب هيللو من اللجنة ان تحدد موقفها من شرعية تعديل الدستور اللبناني من طرف واحد وهو الحكومة اللبنانية والبرلمان اللبناني، اجابت اللجنة بأن التعديل لايتم الا عن طريق اتفاق مع ممثلين فرنسيين ولذلك فأن اللجنة لن تعترف بشرعية تلك التعديلات[٨٩].

وفي صباح الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٣ تلقى الصحفيون اللبنانيون دعوة من قبل المندوبية الفرنسية موعدها في الساعة الثانية عشر ظهرا من اجل سماع بلاغ ابرقته اللجنة الفرنسية في الجزائر يذكر على اللبنانيين الحق في تعديل الدستور منفردين وطلب من الصحفيين نشره دون مناقشة[٩٠].

وقد رفض رئيس الجمهورية بشارة الخوري تسلم البلاغ الفرنسي ودعا لعقد جلسة لمجلس الوزراء، فأجتمعوا في الساعة الواحدة من يوم الجمعة في الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٣. حيث اعد مجلس الوزراء ان تعديل الدستور حق من حقوق السلطات الدستورية اللبنانية وفقا لاحكام المادة (٧٦) وما يليها من الدستور[٩١].

---

[٨٦] وليد المعلم، المصدر السابق، ص٣٩٣.

[٨٧]جريدة الاهرام، عدد ٢١١٦٨ بتاريخ ١٩٤٣/١٠/٣١؛ منير تقي الدين،ولادة استقلال، ص٤٣.

[٨٨]يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١٠٩٥.

[٨٩]د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٤؛ محمد رجائي، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، ص٨٤.

[٩٠]د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم باعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٤؛ منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٤٥.

[٩١]جريدة الاهرام، عدد ٢١١٧٤ بتاريخ ١٩٤٣/١١/٧؛ يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١٠٩٨؛ نقولاي هوفهانسيان، المصدر السابق، ص٧٧. وقد اشار الخوري بمذكراته بالقول :"اما

وسعى رئيس المجلس النيابي لان يجمع النواب في اليوم الثاني فتعذر عليه الامر بسبب غياب معظمهم في مناطقهم، حيث دعاهم للاجتماع يوم الاثنين في الثامن من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣[٩٢]. وعندما علم هيللو بأن المجلس سيناقش لائحة التعديلات بعد ظهر يوم الثامن من تشرين الثاني اتصل بالحكومة اللبنانية عن طريق شاتينو واعلمها بأنه سيكون في بيروت ويطلب تأجيل الجلسة حتى يعود لانه يحمل مقترحات هامة من لجنة التحرير الوطني الفرنسية[٩٣].

عقد مجلس الوزراء جلسة مستعجلة تباحث فيها الموقف فقرر ان لاعلاقة للمقترحات التي يحملها السفير هيللو بقضية تعديل الدستور وان هذه قضية داخلية[٩٤].

وفي الساعة الثالثة والنصف من الثامن من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣ انعقد مجلس النواب بحضور اثنين وخمسين نائبا من اصل خمسة وخمسون[٩٥]. وعندما طرح مشروع التعديل على التصويت طلب بعض النواب[٩٦].احالة المشروع الى لجنة خاصة لمراجعته فرفضت الحكومة الاقتراح وايدها المجلس النيابي في ذلك فأنسحب اميل ادة من الجلسة ثم اقر المجلس بالاجماع وصدق على مشروع التعديل ثمانية واربعون عضوا[٩٧]. ونشرت التعديلات في اليوم التالي في الجريدة الرسمية واصبح معمولا به ابتداء من يوم الثلاثاء في التاسع من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣[٩٨].

البلاغ الذي سلمه الفرنسيون الى الصحافة ولم اقبل ان اتسلمه ، ينظر الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص٢٥-٢٦.

[٩٢] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٤؛ بشارة الخوري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٦.

[٩٣] اللايدي سبيرز، قصة الاستقلال في سوريا ولبنان، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٧، ص٧٩؛ بيار زيادة، المصدر السابق، ص٨٩.

[٩٤] يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١٠٩٩.

[٩٥] كان المتغيبون هم : ايوب ثابت، احمد الحسيني، موسى دركلوسيان: ينظر حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص١٤٠.

[٩٦] ومنهم :اميل ادة ، جورج عقل، اسعد البستاني، امين السعد، ينظر: منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٥٣.

[٩٧] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٤؛ يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١٠٩٩.

[٩٨] بشارة الخوري، المصدر السابق، ص٢٨ ؛

Gatraux, OP.Cit, PP417-418.

رحب الشعب اللبناني بجميع فئاته بقرار المجلس النيابي فأنطلقت التظاهرات العارمة في بيروت وغيرها من المدن[٩٩]. وكان يوم الثامن من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣ من اسعد ايام رياض الصلح الذي دخل التاريخ اللبناني من اوسع ابوابه[١٠٠].

عاد هيللو الى بيروت في التاسع من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ واجتمع مع معاونيه وتداول معهم الوضع وعدوا جميعا ان قرار الحكومة اللبنانية يشكل تحديا لفرنسا يقتضي الرد عليه، وسرت اشاعات قوية تؤكد ان الفرنسيين على وشك القيام بعملية اعتقال واسعة النطاق تتناول المسؤولين اللبنانيين[١٠١].

وفي هذه الاثناء وصل ملك يوغسلافيا بطرس الثاني الى بيروت ونزل ضيفا على السفير الفرنسي هيللو، واقام وزير بريطانيا سبيرز في العاشر من تشرين الثاني ١٩٤٣، مأدبة عشاء تكريما له، حيث اختلا بعد الحفل سبيرز مع هيللو واكد الثاني بأنه لن يقوم بأي عمل فيه مظهر من مظاهر العنف واقسم بشرفه انه لن يأخذ أي تدبير من شأنه ان يعكز الامن[١٠٢].

ولكن في الساعة الرابعة من صباح يوم الخميس المصادف الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ توجهت قوة من الجيش الفرنسي والجنود السنغاليين الى دار بشارة الخوري رئيس الجمهورية وانتزعوه من فراشه وكبلوه بالحديد وطلبوا اليه التوقيع على مرسوم بأقالة الحكومة وحل المجلس وتعطيل الدستور، وذهبت جماعة اخرى الى دار رئيس الوزراء رياض الصلح وفتشوا الدار كله ثم اقتادوه[١٠٣]. وتم ايضا اعتقال الوزراء كميل شمعون وعادل عسيران وسليم نقلا واعتقال النائب عبد

---

[٩٩] نقولاي هوفهانسيان، المصدر السابق، ص٧٨.

[١٠٠] بيار زيادة، المصدر السابق، ص٩١.

[١٠١] د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٤؛ بيار زيادة، المصدر السابق، ص٩٥.

[١٠٢] د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٥؛ وجيه علم الدين، المصدر السابق، ص٢١٩.

[١٠٣] د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٥؛ ديجول والعرب، العلاقات الفرنسية بين الماضي والحاضر والمستقبل، تحرير سعد الدين ابراهيم، منتدى الفكر العربي، عمان،ط١، ١٩٩٠، ص٦١.

الحميد كرامي (نائب مدينة طرابلس) وسيق المعتقلون الى قلعة راشيا في ضواحي لبنان[١٠٤].

وقد افلت من الاعتقال كل من الوزيرين حبيب ابي شهلا وزير العدل والامير مجيد ارسلان وزير الدفاع[١٠٥] .ورئيس المجلس النيابي صبري حمادة، لربما قصد الفرنسيون بعدم اعتقالهم وابقائهم احرارا للاتفاق معهم على تشكيل حكومة جديدة[١٠٦].

وفي الساعة الثامنة من صباح الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ اذاع هيللو بيانا بحل مجلس النواب وتعطيل الدستور وتعيين اميل ادة رئيسا للدولة والحكومة[١٠٧]. وقد حاول اميل ادة تأليف حكومة فلم يستطع اذ رفض الاشتراك كل الذين استدعاهم وفيهم كثيرون من الوزراء السابقين ولم يستطيع اميل ادة ولا السلطات الفرنسية التأثير عليهم وعرضت الوزارة على فريق اخر من الناس، لم يستوزرون قبل هذا فلم يرضوا[١٠٨].

ثالثا: المواقف المحلية والعربية والدولية من الازمة

١. الموقف المحلي

اثارت تصرفات السلطات الفرنسية ردود فعل عنيفة في الاوساط الدستورية والشعبية، فعلى الصعيد الدستوري، دعا صبري حمادة رئيس المجلس النيابي اثر سماعه بانباء الاعضاء الى الاجتماع فورا غير ان القوات الفرنسية حاصرت المجلس وحالت دون دخول النواب فيما عدى ستة منهم[١٠٩]. واجتمعوا داخل المجلس برئاسة صبري حمادة ورفعوا مذكرة الى سفيري بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وممثل مصر والعراق واحتجوا فيها على الاجراءات التي اتخذتها فرنسا[١١٠].واسفرت عن

---

[١٠٤] سامي الصلح، احتكم الى التاريخ، ص٦٣.

[١٠٥] لم يعتقل الامير مجيد ارسلان خشية اثارة انصاره الدروز، ينظر، كميل شمعون، مذكراتي، بيروت، ج١، ١٩٦٩، ص٣١.

[١٠٦] يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١١٣.

[١٠٧] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي برقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٨٥٧، بتاريخ ١٤/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٤٤، ص١٠٧؛ جاك كولان، المصدر السابق، ص٣١٤.

[١٠٨] د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص١٥؛ اللايدي سبيرز، المصدر السابق، ص٨٨؛ بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ص١٠٨.

[١٠٩] وهم: هنري فرعون، صائب سلام، رشيد بيضون، مارون كنعان، محمد الفضل، سعدي الملا، ينظر: ظاهر ، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٦٩.

[١١٠] بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ص١٠٩.

هذه الاجتماعات قرارات جاء فيها تغيير العلم اللبناني[١١١]. وتأليف حكومة اطلق عليها اسم (حكومة الثورة) برئاسة حبيب ابي شهلا ومنحوها الثقة باجماع الاصوات[١١٢].

ونتيجة للضغط الشديد وقوة السلاح من قبل الفرنسيين اخرج رئيس المجلس صبري حمادة والنواب من المجلس[١١٣]. وانتقلوا الى دار صائب سلام، ووضع محضر اول جلسة عقدها مجلس النواب ابان الثورة، واكد بأن ليس في الدستور نص يحول دون اجتماع المجلس في أي مكان ووقع على المحضر ثلاثة وثلاثون نائبا أي حاز الاكثرية[١١٤].

وانتقل اعضاء الوزارة ورئيس المجلس النيابي في مساء الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى قرية بشامون[١١٥]. حيث اتخذوها مركزا لهم وتجمعت لديهم قوة مسلحة تبلغ زهاء خمسمائة مقاتل[١١٦].

اما على الصعيد الشعبي فقد هاجمت الجماهير اللبنانية عند سماعها بأنباء اعتقال الرئيس الخوري واعضاء الوزارة وسماعها خطاب هيللو فأقفلت الحوانيت[١١٧]وخرجت الجماهير الى الساحات تتظاهر وتطالب بالافراج عن الرئيس

---

[١١١]اقترح احد النواب تغيير العلم اللبناني وتحريره من الوانه الفرنسية كما حرر الدستور وكانت فكرة تغيير العلم مختمرة في عقول اللبنانيين واخذ النائب سعدي المنلا مهمة رسم العلم الجديد والذي اصبح كالاتي جعل الارزة خضراء في بياض محفوف بالاحمر رمزا الى الدم الطاهر ووقع على العلم النواب الحاضرون: ينظر منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٨٨؛ سامي الصلح، احتكم الى التاريخ، ص٦٤.

[١١٢]فؤاد البدوي، الكتاب الاخضر في السياسة اللبنانية ١٩٤٣-١٩٥٠، منشورات جريدة الثقافة الوطنية، بيروت، ط١، ١٩٥٠، ص٤١؛ حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص١٤١؛ واصدر حبيب ابو شهلا قرار في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ يؤكد فيه بأن مجلس الوزراء يمارس مؤقتا الصلاحيات المعطاة لرئيس الجمهورية وفقا لاحكام الدستور" وان نائب رئيس مجلس الوزراء يقوم مؤقتا مقام رئيس الوزراء، لعبت هذه الحكومة دورا هاما على الصعيد الداخلي، فقد امنت استمرار الشرعية في البلاد ووحدت جهود المنظمات المختلفة، واصبحت الرأس المفكر لحركة المقاومة، ومركز تجمع المجاهدين، ينظر بيار زيادة، المصدر السابق، ص٩٩.

[١١٣]د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الدروان الملكي المرقم:ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٩١٤ بتاريخ ١٥/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٤٠، ص١٠٣.

[١١٤]منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٩٢.

[١١٥]بشامون: قرية لبنانية جبلية صغيرة تقع على مسافة بضعة وعشرين كيلومتر الى الجهة الجنوبية من بيروت، لايزيد عدد سكانها على (١٥٠٠) نسمة وبيوتها على (٢٠٠) بيت ينظر: بيار زيادة، المصدر السابق، ص١١٩.

[١١٦]د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب المفوضية العراقية في بيروت المرقم : س/٦/١٠/٢٠٤، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٤،ص١١.

[١١٧] لقد حاول اميل اده والسلطات الفرنسية حمل اصحاب المخاوف المغلقة على فتحها فلم يفلحوا بالرغم مما بذلوا من الجهود مستعملين الوعد تارة والوعيد تارة اخرى، حتى دفعوا مبلغ (٥٠٠)

وعن رفاقهم مرردة "بدنا بشارة بدنا رياض" واستمرت المظاهرات والاصطدامات حتى الساعة السادسة عندما اعلن حظر التجول في المدينة(١١٨).

وتناست الكتائب(١١٩). والنجادة(١٢٠) خلافاتهما ووحدت صفوفها واتفقت على تنظيم الاضراب والتظاهرات وتقديم المساعدات للوطنيين، وتأمين الاتصال بحكومة بشامون فأعتقل رئيس الكتائب بيار الجميل بعد ان تعرض للقتل(١٢١).

واسهمت النساء بدور كبير في المظاهرات، وانطلقت اولى مظاهراتهن بقيادة زوجة كميل شمعون (زلفا) وتوجهن حيث يقيم الوزير البريطاني (سبيرز) والوزير الامريكي (ودسورث) ومن ثم الى قناصلمصر والعراق وانتهت وفودهن عند البطريرك الماروني، محتجات على عمل الفرنسيين ومطالبات بعودة الحكومة والحياة الدستورية على ماكانت عليه(١٢٢).

وكان للصحافة دور مهم اذ تضامنت مع الحكمة الوطنية فور اعتقال بشارة الخوري ورياض الصلح ورفاقهما فأعلنت الاضراب الى اجل غير مسمى حتى يتم الافراج عن المعتقلين وعودة الحياة الدستورية(١٢٣).

في هذه الفترة كان لابد من صحافة سرية للبلاد تنطق بأسم الحركة الوطنية، لذا جاءت جريدة (علامة استفهام) (؟) التي لعبت دورا بارزا في نشر خط المعارضة

ليرة لكل حانوت يفتح وتعهدوا بالتعويض واستطاعوا ان يؤثروا على بضعة مخازن في الاحياء الارمنية ففتحت بضع ساعات ثم عادت فأغلقت. للمزيد من التفاصيل ينظر د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب المفوضية العراقية في بيروت المرقم:س/٦/١٠/٢٠٤، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٤، ص١١.

(١١٨) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠/١٠٠١٠ بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٥، ص١٥-١٦؛ بيار زيادة، المصدر السابق، ص١٠٢.

(١١٩) حزب الكتائب: هي حركة سياسية لبنانية تأسست في عام ١٩٣٦ تحت شعار(الله-الوطن-العائلة)، ومعارضة لوحدة لبنان مع الاقطار العربية والمناداة بتقوية العلاقات بين لبنان والغرب، ويعتبر بيار الجميل الذي ولد عام ١٩٠٥ مؤسس الحزب وزعيمه، وكان لها دور في حركة الاستقلال الوطني عام ١٩٤٣، واخذت طابعا مارونيا ينظر: منشورات مصلحة الدعاية في الكتائب اللبنانية، الكتائب اللبنانية، بيروت، ١٩٥٨، ص١٨ ومابعدها.

(١٢٠) حزب النجادة: هي منظمة للشباب تألفت في لبنان سنة ١٩٣٦ واخذت طابعا اسلاميا وتفتقر النجادة الى برنامج واضح فيما عدا المطالبات الطائفية والمحلية وتأسست مقابل حركة الكتائب، وتلاقت مع الكتائب ابان حركة الاستقلال رئيسها الحالي عدنان الحكيم: ينظر عدنان الحكيم ورمضان لاوند، القومية العربية واحداث لبنان، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢، ص٤٧-٤٨.

(١٢١) الكتائب اللبنانية، المصدر السابق، ص١٨-١٩؛ سامي الصلح، احتكم الى التاريخ،ص٦٤.

(١٢٢) اللايدي سبيرز، المصدر السابق، ص٩١-٩٢.

(١٢٣) بيار زيادة، المصدر السابق، ص١٠٢.

الوطنية، الا ان السلطات الفرنسية قد زورت الجريدة لذا لجأت الجريدة الاصلية الى وضع شعار جديد هو "ليسقط الخائن اده"[١٢٤].

واستمرت الجريدة تنشر قرارات حكومة بشامون والمجلس النيابي على الرغم من الرقابة المشددة عليها[١٢٥]. وانشأ رياض الصلح منذ اليوم الاول لاعتقاله مكتب استخبارات في غرفته وبدأ بجمع معلومات ويرسلها الى بشارة الخوري، حيث ذكر رياض بأن "اول اهدافي عند وصولي راشيا هي ان نتصل بالخارج، لنرى ونسمع كل شيء ويجب ان اعرف شيئا عن وقع النبأ في الرأي العام"، لذا استطاع رياض ان ينشىء هيئة للاستعلامات السرية في قلب الجنود الخفراء فأذا بأنباء المظاهرات الدامية في شوارع بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها تتسرب الي فأنقلها الى مسامع رفاقي المعتقلين"[١٢٦].

ويعلق الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية المعتقل على تلك الاحداث بقوله :"ما ان انتشر خبر الاعتقال في بيروت وانحاء لبنان، حتى خفت الاهالي الى ساحات المدينة العمومية وشارعها الرئيسية وقلبت السيارات العسكرية ظهرا على عقب واضرمت فيها النار، وقصدت قصر الرئاسة العرف وهي تتظاهر احتجاجا على اعتقالنا، فأخذ العساكر السنغاليون من ثكنة في جوار القصر، يطلقون النار ارهابا، واصابت بعض الطلقات جدرانه، ولكن قريتي لم تغادر واصرت على البقاء فيه احتجاجا واقسم التجار ايمانا مغلظة انهم لايمونون الجيش الفرنسي لابكثير ولابقليل، حتى يعود المعتقلون الى مناصبهم[١٢٧].

ويصف الشيخ منير تقي الدين، الذي عايش تلك الاحداث في كتابه "ولادة الاستقلال" بقوله :"عندما بلغ اللبنانيين خبر اعتقال رئيس الجمهورية والوزراء خرجوا الى الشوارع قاصدين منازل المعتقلين، فزار المطران مبارك منزل رياض الصلح، وقام المفتي الشيخ توفيق خالد بزيارة القصر الجمهوري، وطافت وفود شعبية على القنصليات الاجنبية، والعربية معربة عن استنكارها. ثم اخذت الجماهير تهاجم قاطرات الترافواي، وتمزق صور القادة الفرنسيين التي كانت قد الصقت في الشوارع ، وتصدت الجماهير للسيارات الفرنسية، ووقعت عدة اشتباكات بينها وبين القوات العسكرية الفرنسية...[١٢٨]".

---

[١٢٤] مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٧١.

[١٢٥] حسين حمد الصولاغ، المصدر السابق، ص٥٢.

[١٢٦] مجلة العالم العربي، (مصرية) العدد١، ١٩٤٧، ص٤-٥.

[١٢٧] بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص٣٨.

[١٢٨] منير تقي الدين، ولاد استقلال، دار العلم للملايين، ١٩٥٣، ص١٧٥.

اما المؤرخ الفرنسي بيار راندو، فقد وصف الانتفاضة الشعبية اللبنانية عام ١٩٤٣ بقوله :"ان هذه الانتفاضة الشعبية كانت موجهة ضد العمل الطائش الذي اقدم عليه المندوب الفرنسي ، ومؤيدة للاستقلال، وان حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ وحدت بين المسلمين والمسيحين في فريق وطني واحد، وكان هذا الاتحاد موجها ضد الانتداب لاضد فرنسا[١٢٩].

وهكذا يمكننا القول بأن الميثاق الوطني الذي اتفق عليه الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح القاضي بتحقيق الاستقلال اللبناني التام، والكيان الوطني الموحد والذي تضمنه البيان الوزاري الاول للجمهورية التي ترأسها بشارة الخوري قد وحد اللبنانيين على مختلف طوائفهم وميولهم واتجاهاتهم، ولذا عبرت انتفاضتهم اثر اعتقال رئيس الجمهورية والوزراء لانهم اعتبروا ذلك الاعتقال اعتداء على الاستقلال والدستور.

٢. الموقف العربي

أ . موقف العراق

اعترفت الحكومة العراقية بالدولة اللبنانية دولة مستقلة ذات سيادة في الرابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٣ وتقرر انشاء علاقات دبلوماسية معها[١٣٠].

وادى القائم بالاعمال العراقية تحسين قدري دورا مهما، ففي اثناء تقديم اوراق اعتماده الى وزارة الخارجية اللبنانية فوجئ بأن العلاقات بين الحكومة اللبنانية والفرنسية قد اعتراها اختلاف جوهري حول تعديل الدستور، فأتصل بالمندوبية الفرنسية وقابل بوغنر وعرض عليه وساطته لحل الخلاف وحذر القائم بالاعمال من أي عمل يقوم به الفرنسيون اتجاه لبنان واكد له بأن شيئا من هذا لن يحصل، ولكنه فوجئ في اليوم التالي بأعتقال رياض الصلح ورفاقه[١٣١].

وقدم تحسين قدري بأسم الحكومة العراقية احتجاجا شديد اللهجة الى المندوب السامي هيللو حول ذلك، واكد بأن استقلال لبنان وسيادته ليس ثمرة على مفاجئ بل نتيجة طبيعته للتصريحات التي ادلى بها الجنرال كاترو بأسم فرنسا المحاربة[١٣٢].

---

(١٢٩) نقلا عن باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص١١٩. وان مقال بيان راندو بعنوان "المؤسسات السياسية للديمقراطية اللبنانية، نشر في مجلة "اوربان" الفرنسية، عدد تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٣٠) د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم : ت/١١٢٣/١١٢٣/٢٠٠/٩٨٠٩، بتاريخ ٢٢/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٢٢،ص٧٣؛ جريدة الاهرام، عدد٢١١٥٥ بتاريخ ١٥/تشرين الثاني/١٩٤٣.

(١٣١) د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم : ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٥،ص١٧.

(١٣٢) د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم : ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٥،ص١٧؛

ودعا حمدي الباجه جي رئيس مجلس النواب العراقي الى اجتماع في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت المصادف الثالث عشر من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣، لدراسة تطورات الوضع في لبنان ، اذ احتج المجلس بشدة على الاعتداء الذي قامت به لجنة التحرير الفرنسية على كيان الجمهورية اللبنانية[١٣٣]كما اجتمع في الوقت نفسه مجلس الاعيان برئاسة السيد محمد الصدر، وقدم احتجاجاته حيث طلب عدم تدخل السلطات الفرنسية في شؤون لبنان وسوريا[١٣٤].

ب. موقف سوريا

كان لحادثة الاعتقال الرئاسي في لبنان صدى عميق فغي سوريا حيث اضرب الشعب السوري منذ اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣، وقصد المتظاهرون دور القنصليات الاجنبية هاتفين بحياة سوريا ولبنان وعند وصولهم الى سراي الحكومة خطب فيهم وزير الداخلية لطفي الحفار، طالبا منهم المحافظة على الهدوء والسكينة ووعدهم بنقل احتجاجاتهم الى رئيس الجمهورية[١٣٥].

واجتمع مجلس النواب السوري في مساء الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ وخطب فيه (١٧) نائبا مطالبين بالاحتجاج الشديد وقد انتقدوا فرنسا انتقادا شديدا على انتهاكهم حرية الاستقلال[١٣٦]. وصرح جميل مردم وزير خارجية سوريا في المجلس فطمئنهم بأن الدول ذات الشأن تقوم الان بأنهاء مشكلة لبنان بالطرق الدبلوماسية[١٣٧]. واختتم المجلس مداولاته بأن الشعب السوري يعلن مناصرته للشعب اللبناني ومتمنيا ان تعود الية حياته النيابية وان تعود حكومته الشرعية[١٣٨].

يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١١٥٩؛ مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٧٧.

[١٣٣] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، الازمة اللبنانية، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي،و٦،ص٢٠؛ محاضر مجلس النواب العراقي، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٣، الجلسة السادسة، ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ص٤٤-٥١؛ جريدة العراق، عدد ٦٤٥٣ بتاريخ ١٣/تشرين الثاني/ ١٩٤٣؛ جريدة الاخبار، عدد٨٨٢، بتاريخ ١٣/تشرين الثاني/ ١٩٤٣.

[١٣٤] محاضر مجلس الاعيان العراقي، الاجتماع غير الاعتيادي الحادي عشر لسنة ١٩٤٣، الجلسة الثالثة، ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣، مطبعة الحكومة،بغداد،٢٤-٣٢.

[١٣٥] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في دمشق، كتاب المفوضية المرقم ١٧٣/١/٦ بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٣٤، ص٩٦؛ وليد المعلم، المصدر السابق، ص٣٩٧.

[١٣٦] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في دمشق، كتاب المفوضية، المرقم ١٧٣/١/٦، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/ ١٩٤٣، و٣٤، ص٩٦.

[١٣٧] جريدة العراق، عدد ٦٤٥٦ بتاريخ ١٨/تشرين الثاني ١٩٤٣.

[١٣٨] وليد المعلم، المصدر السابق، ص٣٩٩-٤٠٠.

بينما لزمت الحكومة السورية جانب التحفظ وبقي موقفها مترددا طوال مدة الازمة اللبنانية الى ان ظهر رد الفعل البريطاني والامريكي[١٣٩].

عندما علم السوريون بأنذار الوزير البريطاني كايزي اخذت الحماسة جميل مردم اذ ارسل في يوم الواحد والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ مذكرة الى الجنرال كاترو يحدد فيها موقف دمشق من الحوادث اذ طلب منه ارجاع الحياة الدستورية الى ماكانت عليه في لبنان محذرة بالقول :"والا فتتحملون وحدكم المسؤوليات"[١٤٠].

ج. موقف مصر

عمت التظاهرات جميع انحاء القطر المصري، وارسل الملك فاروق برقية في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى رئيس الجمهورية اللبنانية المعتقل بشارة الخوري من خلال الصحف، ونشرتها جريدة علامة استفهام مهنئا اياه بثقة الشعب اللبناني واكد بأمكان لبنان الاعتماد على الحكومة وشعب مصر[١٤١].

واقام حزب الوفد مهرجانه السنوي تحت شعار "يوم النضال في سبيل لبنان" وخطب مصطفى النحاس في المتظاهرين وطلب بالافراج عن المعتقلين[١٤٢]. واستمرت المظاهرات في مصر حيث هاجم المتظاهرون بناية المفوضية الفرنسية ورشوقها بالحجارة ونادى المتظاهرون بسقوط فرنسا العاشمة[١٤٣].وحصل اصطدام بين الشرطة والمتظاهرين قتل فيه طالب واحد وجرح ثلاثة عشر شخصا[١٤٤].وكان رياض الصلح قد نوه بأهمية اعتراف مصر بأستقلال لبنان قائلا :"نحن نقدر الربح العظيم الذي ربحه لبنان بهذا الاعتراق"[١٤٥].

---

(١٣٩) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١١٨٢.

(١٤٠) منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٢٠٩-٢١٠.

(١٤١) بيار زيادة، المصدر السابق، ص١٠٦.

(١٤٢) حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص١٤٢.

(١٤٣) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، مصر والحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٩١٦ بتاريخ ١٥/تشرين الثاني/ ١٩٤٣، و٤٢، ص١٠٥.

(١٤٤) ان موقف الشرطة هذا هو للمحافظة على الامن والسلام: ينظر د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٩٨٨، بتاريخ ١٧/تشرين الثاني/١٩٤٣،و٣٥،ص٩٧.

(١٤٥) جريدة الاهرام، عدد ٢١١٥٠، بتاريخ ١٠/تشرين الاول/١٩٤٣؛ مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٧٧.

د. موقف الاقطار العربية الاخرى

اتسمت مواقف الاقطار العربية من احداث لبنان بالتباين اذ حدثت مظاهرات في عمان احتجاجا على اعمال الفرنسيين ، وبذلك جهود رسمية مثمرة لوقف التجاوز الفرنسي[١٤٦].وحدثت مظاهرات في جميع انحاء فلسطين احتجاجا على اعمال الفرنسيين في لبنان حيث ارسلوا برقية الى الحكومة العراقية يطلبون بها التدخل وحل الازمة[١٤٧]. واجتمعت وفود الغرف التجارية العربية في القدس وقررت اعلان الاضراب في جميع انحاء فلسطين وقدمت الوفود احتجاجا الى الحكومة البريطانية[١٤٨].

ابرق الملك ابن سعود الى تشرشل محتجا على عمل السلطات الفرنسية وكان احتجاجا شديد اللهجة في امر تدخل الفرنسيين في الشؤون الداخلية للبنان[١٤٩].

٣. الموقف الدولي

أ . موقف الولايات المتحدة الامريكية

كانت الولايات المتحدة الامريكية مهتمة بالحوادث التي جرت في لبنان، اذ طلبت حكومتها من ممثلها في الجزائر حث اللجنة الفرنسية على تسوية الخلاف واطلاق سراح المعتقلين محذرة بأن الاستمرار في ذلك سيقودها لنشر بيان تعلن فيه عن تخليها المسؤولية وتتخذ الاجراءات اللازمة[١٥٠].وبالفعل ارسلت الولايات المتحدة مذكرة شديدة اللهجة الى اللجنة الفرنسية[١٥١]. اعلنت من خلالها الولايات المتحدة ان هذا الاجراء يضر بجهود الحلفاء العسكرية[١٥٢].

---

[١٤٦] الكتاب الاردني الابيض، الوثائق القومية في الوحدة السورية، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٤٧، ص٢٠٩-٢١٠.

[١٤٧] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القدس، الموضوع: فلسطين والحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم:ش:١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٩٦٢، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني، ١٩٤٣،و٣٧،ص٩٩.

[١٤٨] د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القدس، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٩١٥، بتاريخ ١٥/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٤٣، ص١٠٦.

[١٤٩] جريدة الاوقات العراقية، عدد٩٦٠٢، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/ ١٩٤٣.

[١٥٠] د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في واشنطن، الموضوع: الولايات المتحدة الامريكية والحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٩٣٠، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٤١، ص١٠٤؛ جريدة العراق، عدد٦٤٥٥ بتاريخ ١٧/تشرين الثاني ١٩٤٣.

[١٥١] منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص١٦١.

[١٥٢] حسين حمد الصولاغ، التطورات السياسية في لبنان ١٩٤١-١٩٥٨ رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) ١٩٩٠، ص٥٣.

ب. موقف بريطانيا

اصدرت بريطانيا اثر اعتقال الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية بيانا رسميا، نص على ان عمل السلطات الفرنسية هذا قد جرى بدون اخذ مشورة السلطات البريطانية او ابلاغها اياه[١٥٣].

وقد رفع سبيرز وزير بريطانيا المفوض في سوريا ولبنان مذكرة احتجاج الى المندوب السلمي الفرنسي هيللو معربا عن قلق بريطانيا الشديد، ومشيرا الى ان اعتقال بشارة الخوري، ورياض الصلح يثير الرأي العام ليس في لبنان بل في جميع انحاء العالم[١٥٤].

ووجهت الحكومة البريطانية في الجزائر مذكرة الى السلطات الفرنسية بأنها لن توافق على تفاقم الحالة في لبنان لانه في مثل هذه الحالة تكون مضطرة للتدخل في النهاية لاعادة النظام[١٥٥].

ج. موقف المانيا والاتحاد السوفيتي

عند سماع الالمان بالاحداث التي تجري في لبنان، اذاعت برلين بيانا لوزير خارجيتها ريبنتروب جاء فيه :"ان الشعب الالماني متضامن مع الشعب اللبناني خاصة، الشعب العربي عامة في صراعه من اجل الوحدة والاستقلال"[١٥٦].

اما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فأن الفرنسيين كانوا قد اوهموا الناء بأن موسكو تؤيدهم لكن عندما سمع الاتحاد السوفيتي بالاحداث ابلغ حكومتي بريطانيا وامريكا ان وجهة نظره في قضية لبنان هي وجهة نظرهما تماما[١٥٧].

اما بلجيكا فيذكر بشارة الخوري في مذكراته الى الموقف البلجيكي من الازمة بقوله :"كان لها قنصل عام اسمه المسيو دلكوين. انشأت مفوضيتها في بيروت في ٢٩ من نيسان ١٩٤٢، اب بعد انشاء المفوضية البريطانية، وكان المسيو دلكوين استقلاليا بدمه فساعدنا كثيرا يوم اعتقال راشيا، وصارت علاقتنا بدولته تزداد متانة بعد اعلان استقلالنا التام"[١٥٨].

---

[١٥٣] جريدة الاوقات العراقية، عدد ٩٦٠٠، بتاريخ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣.
[١٥٤] بيار زيادة، المصدرالسابق، ص١٠٠.
[١٥٥] محمد رجائي، المصدر السابق، ص٨٥.
[١٥٦] وليد المعلم، المصدر السابق، ص٣٩٦.
[١٥٧] منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص١٧٢-١٧٣.
[١٥٨] بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص١٠٣.

المبحث الرابع
الافراج عن المعتقلين ونهاية الازمة

تحت الضغط الشعبي والدبلوماسي بعث ديغول الجنرال كاترو الى لبنان مكلفا اياع لحل الازمة حيث وصل الى بيروت يوم السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ وبدأ اتصاله بالزعماء ورؤساء الطوائف الدينية وفي مقدمتهم البطريرك الماروني وعندما يئس الى حل المسألة بدأ اتصاله بحكومة الثورة التي مقرها في بشامون[١٥٩].حيث اجابت الحكومة ان مطلبنا هو عودة المعتقلين واعادة الحياة السياسية الى ماكانت عليه قبل اعتداء الحادي عشر من تشرين الثاني[١٦٠].

لقد اسفرت مقابلات كاترو ارسال تقرير الى ديغول في السابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ عن الحالة في لبنان، حيث اكد بأن التدبير الذي اتخذه هيللو قد جرح شعور اللبنانيين، فوحدت الرأي العام في بيروت وختم كاترو في تقريره انه من الواجب ان تستجيب لطلب الرأي العام وصمم كاترو على اعادة بشارة الخوري الى منصبه مع وزارة جديدة، واذا لم يقبل بشارة فلابد من العودة الى الحالة الدستورية الى ماكانت عليه قبل قرار هيللو[١٦١].

التقى كاترو في الثامن عشر من تشرين الثاني بشارة الخوري في بيروت[١٦٢].وتباحث معه حول الازمة وابلغه بأن ديغول اوكله حل الازمة حلا حاسما، وان له مطلبين الاول يتعلق بالوزارة حيث ان حكومته ترى من الضروري اقالتها، والثاني يتعلق بالمجلس النيابي ويرى حله وانتخاب سواه[١٦٣].لم يوافق بشارة الخوري على هذين المطلبين، وكان جوابه :"لن اخرج دون حكومتي مشترطا عودة دستور البلاد واستقلالها وحريتها. فأعيد في منتصف ليلة اليوم نفسه الى راشيا[١٦٤].

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني قابل كاترو رياض الصلح في بيروت، واخبره الاخير بأن تصرف هيللو قد جرحه في شعوره الوطني، وانه كان يسلك مسلكا اخر لو انه اظهر له اعتبارا اكثر وهو مستعد ان يستقيل ويعيش منعزلا، الا ان

---

(١٥٩) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١١٦٩-١١٧٠.

(١٦٠) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي برقم:ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٣١٤، بتاريخ ٢٧/تشرين الثاني/١٩٤٣، و١٧،ص٥٩.

(١٦١) مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٨١.

Hourani, OP.Cit, P.287.

(١٦٢) احضر بشارة الخوري في ليلة الثامن عشر من تشرين الثاني بسيارة مقفلة الى بيروت من قبل الجنرال كاترو للتباحث واعادة الكرة في يوم التاسع عشر من تشرين الثاني مع رياض الصلح، للمزيد من التفاصيل ينظر بيار زيادة، المصدر السابق، ص١٠٨.

(١٦٣) بشارة الخوري، المصدر السابق،ج٢، ص٤٤٥ وليد المعلم، المصدر السابق، ص٤٠٠.

(١٦٤) مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٨١.

مواطنيه لايرضـــون بتنازلـــه، وانهـــم ســـيأتون ويرجعونـــه قســـرا الـــى كرســـي الوزارة[١٦٥].واخبره ان بأمكانه (أي الجنرال) حل القضية بما يملكه من منزلة في هذه البلاد يقوي مركز فرنسا، واعيد الصلح الى راشيا في ساعة متأخرة من الليل[١٦٦].

وفي صباح اليوم التالي دخل رياض الصلح الى بشارة الخوري واخبـــره بمـــا جرى مع كاترو وقال بأن الاجوبة مطابقة لما اتفقنا عليه[١٦٧].

ويذكر مسعود ظاهر بأن المقابلات التي قام بها كاترو مـــع بشـــارة الخـــوري ورياض الصلح كل على انفراد، هي محاولة للايقاع بينهما اذ كانـــت هـــذه المنـــاورة تهدف الى فك عرى التحالف بينهما تمهيدا لايجاد الشقاق الطـــائفي داخـــل المجتمـــع اللبناني فيضمن الفرنسيون بقاءهم وكان التشديد عمدا على عزل رياض الصلح، لكـــن بشارة ادرك مغزى هذه السياسة والتي نتيجتها القضاء عليه في فترة لاحقة[١٦٨].

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني وصل كايزي وزير الدولة البريطانية الـــى بيروت وكان لهذه الزيارة اثر مهم لانها جعلت كاترو يسرع لحـــل الازمـــة بســـبب الانذار الذي سلمه كايزي الى الجنرال والذي تضمن الافراج عن المعتقلين خلال ثلاثة ايام، والا فأن بريطانيا ستضطر الى اطلاق سراح المعتقلين[١٦٩].

تشير الدلائل الى اللايادي اللامريكية وراء هذا التصلب البريطاني فالامريكيون كانوا يسعون الى الحلول مكان فرنسا بدلا من البريطانيين اذ بدأت منافستهم منذ نهاية الحرب العالمية الاولى في كافة المستعمرات البريطانية والفرنسية[١٧٠].

---

(١٦٥) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١١٧٩.

(١٦٦) بيارة زيادة، المصدر السابق، ص١١٥.

(١٦٧) بشارة الخوري، المصدر السابق، ص٤٧.

(١٦٨) مسعود ظاهر، المصدر السابق، ص١٨١.

(١٦٩) حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص٤٣١؛ بدر الدين الخصوصي،المصدر السابق، ص١١٠.

(١٧٠) بدأت الولايات المتحدة تنافس بريطانيا في كافة الاسواق العالمية خاصة الهند وكندا ونيوزيلندا والارجنتينوالبرازيل وغيرها، حيث كانت ديون بريطانيا الى الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالميـة الاولى بحوالي (٤٦٠٥) ملايين دولار ذهبي يقابلها (٤٠٢٥) مليون دولار ذهبا ديون فرنسا للامريكيين،واستمر الضغط الامريكي يتزايد على البريطانيين والفرنسيين للحلول مكانهم في الشرق الاوسط وغيره في مناطق النفوذ الانكلو فرنسي. ففي عام ١٩٣٠ حصلت شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا امتيازات حق التنقيب عن البترول في الخليج العربي وفي السنة نفسها حصلت الشركة على امتيازات التنقيب في المملكة العربية السعودية. وفي عام ١٩٣٥ حصلت شركة ستاندارد اويل اوف ارابيا حق التنقيب في المناطق المحيطة بالبحر الاحمر ومنها عسير والحجاز وان المرحلة الثانية بدأت في تنازل بريطانيا بصورة رسمية ونهائية عن امتيازاتها لصالح الشركات الامريكية. اما على الساحة اللبنانية فقد دلت الاحصاءات ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تحتل المرتبة الاولى في التصدير الى لبنان في الاعوام ١٠٤٥-١٩٤٦-١٩٤٧ مما يشير دخول الامريكان بقوة الى اسواق سوريا ولبنان، بالاضافة الى دخول السياح الامريكيين الذين بلغت نسبتم (١٧) الف

ارسل كاترو في العشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣ الانـذار البريطـاني مـع ملاحظاته الشخصية، واكد على ان تظهر فرنسا حسن نيتها وعدم ترك المجال لسخاء بريطانيا على حساب فرنسا(١٧١).واعطى كاترو رأيه بالموضوع والذي يقـوم علـى اعطاء فرنسا نوع من التسامح للمعتقلين السياسيين اللبنانيين واطـلاق سـراحهم وان مبادرتها بذلك لن تفقدها كرامتها(١٧٢).

وفي صباح الثاني والعشرين من تشرين الثاني قررت اللجنـة الفرنسـية فـي الجزائر بعد ان درست الانذار البريطاني الافراج عن الرئيس بشارة الخوري ورياض الصلح ورفاقه المعتقلين في قلعة راشيا واستدعاء هيللو واستبداله(١٧٣).

فأستقبلت لبنان ذلك بأبتهاج عظيم وفي اليوم نفسه توجه كاترو الى دار رئيس الجمهورية بشارة الخوري واستدعى رياض الصلح على وجه السرعة(١٧٤).واجتمـع الثلاثة مدة ساعتين تحدثوا فيها عن الوضع السياسي حيث طلـب الجنـرال اسـتقالة الوزارة الا ان بشارة الخوري ورياض الصلح اصرا على عودة كل شي على ماكـان عليه(١٧٥).

وفي الثالث والعشرين من تشرين الثاني بعث كاترو كتابا الى رئيس الجمهورية يخبره ان لجنة التحرير الفرنسية لاتعترف بوزارة رياض الصلح وان عودته الى الحكم امر غير ممكن(١٧٦).

سائ من ال (٧٢,٠) سائح خلال اعوام (١٩٣٣-١٩٣٨)، بالاضافة الى مشاركة طلاب الجامعة الامريكية في بيروت واساتذتها اشتراكا فعليا في مظاهرات الاستقلال التي كانت تنطلق من حرم الجامعة الامريكية في الاحداث الاخيرة (تشرين الثاني ١٩٤٣) مما يدل على نية الامريكيين في الحلول مكان الفرنسيين ومنع البريطانيين من قطف ثمار هزيمتهم. ينظر سعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص١٨٤-١٨٥.

(١٧١) منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص٢٠٩.

(١٧٢) ارسل الجنرال كاترو مذكرة ردا على الانذار البريطاني ابدى فيها احتجاجه على المدة المحددة . ينظر: بيار زيادة، المصدر السابق، ص١٨٨.

(١٧٣) يوسف مزهر، المصدر السابق،ص١١٨٤؛ مسعود ظاهر، المصدر السابق، ص١٨٨-١٨٩؛ **Philip S.Khoury, Syria and The French Mandate, The Political of Arab Nationalism (1920-1945), New Jersey, 1987, P.615.**

(١٧٤)د.ك.و،٣٦٦/ تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٣١٨، بتاريخ ٢٥/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٢٠، ص٦٩؛محمد رجائي، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣،ص٨٦.

(١٧٥) د.ك.و،٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، و١٨، ص٦٣-٦٤.

(١٧٦) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، موضوع: المراسلة الجارية بين رئيس الجمهورية اللبنانية والجنرال كاترو، كتاب وزارة الخارجية الى الدروان الملكي المرقم : ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٣٥٣، بتاريخ ٢٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و١٤، ص٥٣.

وقد احدث هذا القرار رد فعل عنيف في البلاد مما زاد الاضـراب وكثـرة المظاهرات للمطالبة باعادة الوضع الدستوري كما كان في السابق[١٧٧].

ونتيجة للضغط الشعبي والجماهيري عقدت لجنة التحرير الفرنسية اجتماعا في مساء الثالث والعشرين من تشرين الثاني وافقت فيه على اعادة الحياة الدستورية الـى ماكانت عليه وعودة الوزارة الى الحكم[١٧٨]. واعطى رياض الصلح اوامـره بأنهـاء المظاهرات[١٧٩].

ومن جانبه اجتمع الجانبان اللبناني والفرنسي في التاسع والعشرين من تشـرين الثاني عام ١٩٤٣ وحضر عن الجانب اللبناني بشارة الخوري ورياض الصلح وسليم تقلا، وبينما حضر عن الجانب الفرنسي كاترو وبارت، وفي هذا الاجتماع عبر كاترو عن شعوره في امكانية حل كثير من المسائل بطريقة ودية في الوقـت الـذي يمكـن اعطاء وضع مميز، ولكن الجانب اللبناني رفض ان يرتبط بشـيء مـن هـذا مـع الفرنسيين، توصلت الحكومة اللبنانية الى نتيجة هي ان أي اعتراف بـذلك سيسـتغله الفرنسيون عاجلا ام اجلا[١٨٠].

وفي الاول من كانون الاول عام ١٩٤٣ عقد المجلس النيابي اول جلسة له بعد الاحداث، وامتلأت قاعة الاجتماع بالنواب وافتتح صبري حمادة المجلس النيابي بكلمة اثنى فيها على موقف النواب، كما القى رياض الصلح رئيس الوزراء خطابا بسط فيه الحوادث الخطيرة التي جرت على البلاد لتقرير مصيرها ولدعم استقلالها[١٨١].واكـد رياض الصلح بأن الحكومة اللبنانية لم تعترف بالانتداب ولن تعترف به، ثم قال امـام النواب :"للبنان الحق في ان يكون حرا وان استقلاله قد تأمن من قبل تعهدات الحلفـاء وميثاق الاطلنطي"[١٨٢].

وكذلك حيا المجلس الجماهير اللبنانية التي برهنت عـن وعيهـا ونضـوجها، وسجل المجلس الشكر للدول التي ايدت البلاد في مطالبها المشروعة وسـاندتها فـي جهادها، وخاصة دول بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي والدول العربية منها مصر والعراق والسعودية وسوريا وامارة شرق الاردن، كما قدم المجلس

---

(١٧٧) د.ك.و،٣٦٦/ تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٢٥٥، بتاريخ ٢٤/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٢١، ص٧٠.

(١٧٨) ك.و،٣٦٦/ تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المـرقم :ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٣٥٣، بتـاريخ ٢٨/تشـرين الثـاني/١٩٤٣، و١٤، ص٥٣؛ د.ك.و،تقارير المفوضية العراقية في بيروت،كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، ١٨، ص٦٤.

(١٧٩) محمد رجاني، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، ص٨٦.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص٨٧.

(١٨١) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص٦٥-٦٦.

(١٨٢) محمد رجائي، الازمة السياسية اللبنانية، عام ١٩٤٣، ص٨٧.

شكره للمؤسسات اللبنانية من نقابتي المحاميين والاطباء والصحافة ومؤسستي الكتائب والنجادة والمؤتمر الوطني اللبناني[١٨٣].

الخاتمة

يتضح من السطور التي تناولتها في هذه الدراسة، ان الشيخ بشارة الخوري شخصية لبنانية وطنية بارزة، تركت مواقفه الوطنية انطباعا جيدا في نفوس الوطنيين اللبنانيين فالتفوا حوله وارتفعت مكانته بينهم، وكانت اراءه ومواقفه تحضى بترحيب ومباركة مكونات الشعب اللبناني كافة، وبخاصة دعواته وسياسته نحو الوحدة الوطنية اللبنانية، والتي ترجمها بالميثاق الوطني عام ١٩٤٣، اذ رأى الخوري ان من اسباب زعزعة الاستقرار السياسي في لبنان يكمن في تمسك المسيحيين اللبنانيين بالسياسة الطائفية التي ارسى دعائمها الانتداب الفرنسي، ولذلك عمل الخوري طيلة حياته السياسية على جعل لبنان بلدا مستقرا وذا سيادة كاملة عن طريق ترصين وحدة الصف الوطني، ولم يكن اعتقاله وهو الرئيس الشرعي الا تعبير عن فشل السياسة الفرنسية في احتوائه بعد ان فشلت جميع إساليبها في الضغط عليه لتشهد البلاد انتفاضة شعبية عارمة تطالب باطلاق سراحه وتعكس رغبتها في استقلال البلاد واستكمال وحدته، كما ان صدى الازمة لم يتوقف عند حدود لبنان، بل شهد الاعتقال استياءاً عربيا ودوليا، بوصفه سابقة لم يشهد لها مثيل في العالم لاشك ان فشل المندوبية الفرنسية بأزاحة الخوري عن السياسة اللبنانية يعد انتصارا للنهج السياسي المستقل الذي قاده هدفا بأنتشال لبنان من التمزق والتجزئة والضياع، واخيرا ان هذه الدراسة تعد درس سياسي كبير على الشعب اللبناني خاصة والشعب العربي عامة استيعابه والعمل على اساسه وبخاصة في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا العربي الراهن.

---

(١٨٣) د.ك.و،٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، موضوع:شكر المجلس النيابي للجهات التي اظهرت عطفها على القضية اللبنانية، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي ، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١١١٩٦، بتاريخ ٣/كانون الثاني/١٩٤٤، و٣، ص٨.

قوى الحسم في الانتخابات الأمريكية لعام ٢٠٠٤

الأستاذ المساعد الدكتور
وائـل محمـد إسماعيل
كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

عكس انتخاب الرئيس وفقاً للدستور الامريكي والواقع العملي توازن مقبول تشهده الولايات المتحدة كل أربع سنوات. إذ تم إنشاء ما يسمى بالمجمع الانتخابي Electoral College والذي تم توزيعه بين الولايات بحيث يكون لكل ولاية عدد من الأصوات الانتخابية مساوياً لعدد أعضائها في مجلس النواب والشيوخ معاً. ومن ثم صار لكل ولاية على الأقل ثلاثة أصوات انتخابية (عضوان في مجلس الشيوخ وعضو واحد على الأقل من مجلس النواب وفقاً لحجم السكان)[1].

ولا يمكن واقعياً فهم الكثير مما يدور في الولايات المتحدة الأمريكية دون اخذ الطابع الفيدرالي للدولة في الاعتبار. وذلك بدءاً بطبيعة العملية السياسية، ومروراً بطبيعة المؤسسات والمنطق الذي تقوم عليه هياكلها وقواعدها الداخلية. ووصولاً إلى تحليل الخطاب السياسي بين القوى المختلفة وربما تكون طبيعة العملية الانتخابية هي احد اهم تجليات الطابع الفيدرالي للدولة. فهي عملية بالغة التعقيد والتشابك لان القواعد والقوانين الحاكمة تختلف اختلافات كبيرة من ولاية أخرى.

وعليه تعكس السطور في هذا البحث بعض مفارقات الإحداث الدرامية التي شهدتها الولايات المتحدة الامريكية وتابعها العالم حول الانتخابات الامريكية ولفترة سابقة لها باسبوع واحد أي في يوم ٢٦/١٠/٢٠٠٤، علماً ان موعد الانتخابات كان مقرراً ووفقاً للدستور الامريكي في الاسبوع الاول من شهر تشرين الثاني في يوم ٢/١١/٢٠٠٤.

غاية البحث:

---

[1] د. منذر الشوربجي، انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠، مجلة السياسة الدولية المصرية، العدد ١٤٣، كانون الثاني ٢٠٠١، ص١٠.

معرفة القوى الرئيسية التي ستحسم الفائز في الانتخابات المقبلة. ووفقاً لذلك ارتئينا تقسيم البحث الى المحاور التالية:

١. نبذة مختصرة عن طبيعة النظام السياسي الامريكي والاحزاب في الولايات المتحدة.
٢. نبذة مختصرة عن الانتخابات الامريكية والقواعد التي تستند اليها.
٣. قوى التحكم في الانتخابات الامريكية.
٤. قوى الحسم الرئيسية في الانتخابات الامريكية.
٥. ابرز ولايات الحسم الحالية في الانتخابات الامريكية.

اولاً: نبذة مختصرة عن طبيعة النظام السياسي الامريكي والاحزاب في الولايات المتحدة

وللتعريف بهذا الموضوع سنتناول ما ياتي:

١. مقدمة عن الولايات المتحدة وظروف نشاتها
٢. طبيعة الاحزاب في الولايات المتحدة
٣. هرمية المجتمع الامريكي وابرز خصائصه
٤. دور اليهود في الولايات المتحدة

١. مقدمة عن الولايات المتحدة وظروف نشاتها:

تعد الولايات المتحدة الامريكية واحدة من الدول الكبرى مساحة وسكاناً وتنوعاً من حيث العناصر والاجناس التي تتكون منها[٢] وقد تأسست عام ١٧٨٧ على ضوء انبثاق دستورها الدائم كدولة تعتمد النظام الجمهوري الفيدرالي الرئاسي، تكونت من ثلاث عشرة ولاية امريكية ثم توسعت لتضم خمسين ولاية امريكية الى جانب مقاطعة كولومبيا مقر الحكومة الفيدرالية والمعروفة واشنطن دي سي، بعد ان قدمت كل من ولاية ماريلاند وفرجينيا قسماً من اراضيها لتكون مقاطعة كولومبيا ومركز مدينة حكومة الاتحاد–واشنطن–[٣].

علماً ان مقر العاصمة هذا قد ولد فكرة بلورته خلال فترة حكم اول رئيس وهو جورج واشنطن ١٧٣٢–١٤/١٢/١٧٩٩ حكم للفترة من ١٧٨٩–١٧٩٧. وتقع على ضفة نهر بوتو ماك نفس المكان الذي عاش فيه جورج واشنطن وكانت مدينة

---

(٢) هنري كسينجر، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية؟ ترجمة عمر الايوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٢، ص٨-١٠.

(٣) ماكس سكيدمور ومارشال كارتر وانك، كيف تحكم امريكا، ترجمة د. نظمي لوقا، القاهرة، مطبوعات كتابي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص٣٢-٥٥.

فيلادليفيا المقر المؤقت للحكومة حتى عام ١٨٠٠ انتقل الى العاصمة واشنطن بعد ان تم اكمال بنائها في عهد الرئيس جون ادامز والذي حكم للفترة من ١٧٩٨-١٨٠١.

وقد تعرضت العاصمة للدمار في الحرب الامريكية البريطانية عام ١٨١٢ بعد احتلال العاصمة واحراقها لمدة ثلاثة ايام فكان من الطبيعي ان تترك سمات المجتمع الامريكي في مراحله المتعاقبة اثارها على النظام السياسي الامريكي، فكونه مجتمعاً هجينا تكون بفعل الهجرات الاولى المتتالية، اتسعت مطالبة وتنوعت غاياته كان لابد من وعاء يمكنه احتواء وتلبية المطالب المختلفة للمجتمع الامريكي المتطور[٤].

فكان الدستور من خلال ثمرة تطور ونمو واكبها المؤسسون والشعب الامريكي من خلال الصراع المستمر مع المستعمر الانكليزي كمرأة للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي خلال فترة الاستعمار الانكليزي.

٢. طبيعة الاحزاب في الولايات المتحدة:

الحزب السياسي في الولايات المتحدة كمفهوم يختلف عن الاحزاب السياسية في العالم. فالمفهوم الاكثر تقارباً مع واقع امريكا هو"جهاز يقوم بتسمية مرشحيه للوظائف الرسمية في الخكم ويقوم بادارة الحملات الانتخابية لاختيار الرئيس الامريكي واعضاء السلطة التشريعية". فقد نجد الايديولوجية الحزبية في الاحزاب الصغيرة والمحلية داخل امريكا. ولكن فيما يخص الحزبين لا توجد ايديولوجية عدا الايمان بالراسمالية فقط وليس لهما اجتماعات منظمة او مناقشات ثابتة فضلاً عن ذلك ان العضوية ليس لها بطاقات هوية ولا اجتماعات مبرمجة ولا انتخابات جماهيرية لهذا شبههم البعض بالطاووس الذي ينهض كل سنتين الى اربع سنوات ليحترق رماداً بعدها. فحقيقة كلاهما جمهوري وكلاهما ديمقراطي والخلافات بين المهم والاهم والاسرع او الابطأ او الايفاء بالوعود عند حدها المناسب.

لابل ان اللجنة القومية للحزب ليس لها سلطة مركزية على الاحزاب في الولايات. فلكل ولاية فرع للحزب الديمقراطي مثلاً هو بمثابة حزب مستقل فالحزب الديمقراطي في ولاية مسيسيبي مثلاً يختلف عن الحزب الديمقراطي في ولاية نيويورك أي لامركزية على مستوى الاحزاب.

وظاهرة لاحزبية بعض الولايات او فردية الولاء الحزبي فمثلاً ولاية لويزيانا لها ولاء حزبي فردي وهو للحزب الديمقراطي فقط وكذلك ولاية من ونيوها مبشاير وفيرمونت .

---

[٤] مكس بيلوف، الحكومة الفيدرالية الامريكية، ترجمة حسن مراد، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٠، ص٤٨.

وكذلك توجد ولايات غير حزبية تماماً مثل مينيسوتا ونبراسكا التي تنتخب مجالس ولايتهما التشريعية بالاقتراع غير الحزبي[٥].

انبثق النظام الحزبي اصلاً من الصراع في المستعمرات في مرحلة ما قبل الاستقلال ١٧٧٦ بين المؤيدين للمصالح البريطانية والذين عرفوا بالمحافظين وبين انصار الحكم الذاتي وسموا بالاحرار. وبعد الاستقلال ظهر الصراع بين الاتحاديون ومعارضي الاتحاديون المنادين بالحكم الذاتي.

وفي رئاسة واشنطن الاولى برز الصراع بشكل تحزب حين تزعم الاسكندر هاملتون ومعه واشنطن الاتجاه نحو الاتحادية (أي المركزية الفيدرالية) لحماية اصحاب الاملاك. في حين تزعم توماس جيفرسون (مؤسس الحزب الجمهوري القديم الذي سمي بالديمقراطية عام ١٨٢٨ وبقي الى الان) الاتجاه المعارض للاتحادية والمؤكد على انصار حقوق الفرد وتحول حزب واشنطن وهاملتون الداعي الى الاتحادية عام ١٨٣٠ الى حزب الاحرار وعام ١٨٥٤ الى الحزب الجمهوري الجديد الحالي.

يمثل الحزب الجمهوري كل من الضواحي والمدن الصغرى والفلاحون والحرفيون والاداريون والمحترفون وكبار السن والبروتستانت وهو حزب الطبقات العليا (المهاجرون ذوو الاصول الانكلو سكسونية اصحاب رؤوس الاموال والبنوك والشركات الكبرى والضباط واصحاب العقارات) كونهم يؤمنون بالقوة والحزم السياسي والتنافس الحر المدعوم بقوة السلاح وتطرفهم للعنصر الانكلوسكسوني وامتيازه عن الاقوام الاخرى.

لهذا هو حزب الشمال الغني الذي يأخذ من الفيل شعاراً له لابراز قوته، اما الحزب الديمقراطي فهو يمثل المدن الكبيرة واتحاد العمل والعمال الامريكيين السود والشباب الامريكي واكثر الكاثوليك واليهود يميلون له. كذلك هو حزب الشرائح المتوسطة والاقليات عامة وخاصة اليهود والسود. وهو الحزب الاقل غنى والاكثر فقراً ويتخذ من رسم الحمار شعار له رمزاً للتواضع والجد.

الذي يحسم الحزبية هو الناخب الامريكي. ولكن الناخب يتعرض لضغوط الاعلام وجماعات الضغط والمصالح لهذا نجده غير ميال للمشاركة في التصويت وعدم الاهتمام بالسياسة وعدم ثباته في الولاء الحزبي فهو اليوم ديمقراطي وغدا

---

(٥) للمزيد انظر: وائل محمد اسماعيل، النظام السياسي الامريكي: دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية، اطروحة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٤.

جمهوري وبعد غد ديمقراطي او مستقل. كذلك ضعف ارتباطه بوجهات نظر الحزب الذي ينتمي اليه[٦].

وهنالك احزاب وقتية ومحلية وصغيرة داخل الولايات المتحدة ليس لها أي تأثير. اما ظاهرة الحزب المستقل فهي ظاهرة ارتدادية تظهر اما عن الانشقاق في احد الاحزاب الكبيرة كما حصل في حالة المرشح المنشق من الحزب الجمهوري جون اندرسون في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ حيث خاض معركة الانتخابات التمهيدية داخل الحزب الجمهوري ثم اعلن في ٣ نيسان ١٩٨٠ عن رفضه اكمالها وتشريح نفسه مستقلاً في الانتخابات النهائية. او ناجم عن القدرة المالية العالية المتاحة لأحد المرشحين في كسب الاصوات وحزب احد المرشحين لصالح الاخر كما حدث في الملياردير روز بيرو في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٩٢ ورالف نادر في انتخابات عام ٢٠٠٠.

٣. **هرمية المجتمع الامريكي وابرز خصائصه:**

يوضح الشكل المرسوم كهرم هرمية المجتمع الامريكي وكيفية التأثير عليه واوزان القوة والتأثير فيه. اما ابرز خصائص المجتمع الامريكي فهي كالتالي:

١. تصاعد نسب واساليب ونوع الجريمة في الولايات المتحدة حيث تبرز كأعلى دولة في العالم في نسب الجرائم. ووفق تقدير مركز مكافحة الجريمة فان في كل ثلاث دقائق ترتكب جريمة في امريكا.
٢. تصاعد نسب الامية اذ تقدر بـ٧٠ مليون نسمة أي أكثر من ربع سكان الولايات المتحدة.
٣. تصاعد نسب المخدرات ووفقاً لتقديرات المعهد القومي للمخدرات فان عدد الذين يتعاطون الماريجوانا للفترة ١٩٩٨-٢٠٠٠ بلغ ٤٠ مليون شخص.
٤. عدم اهتمام المواطن الامريكي بالسياسة كونها حسب اعتقاده لعبة وخداع[٧].

وثمة توصيف امريكي لامريكا بانها مجتمع مغمور بالمصالح والربح الذي لا يستقيم مع القيم. وهذا التوصيف يذكر ان الرأسمال الامريكي يوافق على أي استخدام حين يكون الربح ١٠% ويكون ناشطاً اكثر حيث يكون الربح ٢٠%. ويندفع بقوة حينما يكون الربح ٥٠%.

ويدوس على جميع المبادئ والقيم البشرية حينما يكون الربح ١٠٠% ولا توجد جريمة في العالم دون ان يكون هو القائم بها حينما يكون الربح ٣٠٠%[٨].

---

[٦] روبرت ديكليريكو وآلان هاموك، اراء في الحكومة والسياسية الامريكية، ترجمة تماضر توفيق، القاهرة، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٨-٣٤.

[٧] عبد العظيم مناف، العراق وامريكا، القاهرة، دار الوقف العربي، ط١، ٢٠٠٢، ص١٦-٣٤.

[٨] تمام البرازي، امريكا هذا الرقم المستحيل بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨، ص٥٤-٥٥.

ووفق هذه الهرمية وهذا التوصيف ثمة تساؤلات:

س١) لماذا لا تكون الضريبة تصاعدية في الولايات المتحدة.

س٢) منصب الرئيس لا ينبغي اشغاله من عسكري عدا حالات ثلاث جورج واشنطن باعتباره منح شرف كجنرال قائد قوات حرب الاستقلال. وكذلك الرئيس اوليس كرانت وقتل فيما بعد. وايزنهاور وكان قائد قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

ومنصب وزير الدفاع لم يشغله عسكري بتاتاً ومساعده مدني ويكاد اقوى من نائبه العسكري الرتبة. لماذا؟

س٣) لماذا لم يتشكل حزب ثالث قوي في امريكا.

س٤) لماذا لم يكشف عن الحكومة الخفية في امريكا.

واسئلة عديدة لا مجال لذكرها.

٤. دور اليهود في الولايات المتحدة:

عدد الاقلية اليهودية في امريكا ستة ملايين او اكثر علماً ان هذا العدد صار ثابتاً كرقم معلن لمدة تجاوزت الـ ٧٠ عام ويذكر ان احد الامريكيين عمل مؤخراً احصاء لعددهم الا انه قتل قبل انتهاءه من الرقم المحدد لهم.

أي انهم يمثلون ٣% من سكان امريكا. ونجاح هذه الاقلية متعلق بقدرتها على استغلال مصادر الضعف في تركيبة النظام السياسي الامريكي وديناميكيته وتعود الى مصادر قوتهم المتمثلة في[٩]:

أ. قوتهم الثقافية التي ترجمت الى قوة سياسية.

ب. المشاركة الفعالة في الانتخابات مقارنة بالفرد الامريكي الخامل وغير المكترث.

ج. القوة في التنظيم وفي التبرع وفي التصويت وفي الضغط على المرشحين وفي الضغط على الرأي العالم.

د. التأثير الكبير في نطاق رؤوس الاموال (سوق الاسهم، البنوك، التأمين) وهذا يمكنهم من استمالة اعضاء الكونغرس.

ه. هيمنتهم على جزء كبير من المهن المهمة في الطب والقانون والتدريس الجامعي.

و. الترشيح للانتخابات وخصوصاً في الكونغرس.

ز. احتلالهم مواقع مهمة كمستشاري للسلطتين التنفيذية والتشريعية.

ح. احتلالهم لمناصب مهمة في اجهزة الاعلام ومالكي صحف ودور نشر ووسائل اعلام.

(٩) عبد الحي يحيى زلوم، امبراطورية الشر الجديدة، بيروت، دار المطبوعات للنشر، ط١، ٢٠٠٣، ص١٦١-١٨٨.

ط. تغلغلهم في مؤسسات تعد جزء من الحكومة الخفية مثل اللجنة الثلاثية ومجلس العلاقات الدولية.
ي. قوة الضغط المتاحة لهم قانوناً من خلال لجنة الشؤون العامة الامريكية- الاسرائيلية (الايباك). سجلت عام ١٩٥٤ في الكونغرس كلوبي رسمي.
ك. القاعدة الجماهيرية الواسعة التي تحظى بما من خلال فكرة التسامح الديني والعطف على اليهود.
ل. تركزهم في اهم الولايات الامريكية المتحكمة في الوصول الى كرسي الرئاسة.
م. نسبة مشاركة اليهود في الانتخابات الامريكية تصل الى ٩٠% بينما لا تتجاوز نسبة المشاركة لعموم امريكا ٥٠% من سكان امريكا.
ن. حرصهم على رئاسة اللجان المهمة في الكونغرس الدائمة او الفرعية او المشتركة.
س. سيطرتهم وملكيتهم لأهم وسائل الاعلام المؤثرة مثل (الواشنطن بوست القريبة من البنتاغون ونيويورك تايمز القريبة من الخارجية ولوس انجلز تايمز وول تسريت جورنال القريبة من المخابرات الامريكية).
ع. التأثير في الحقل الديني عبر غزو وتحرير الكنائس باناجيل العهد الجديد وابعادها عن الخوف من اليهود.
ناهيك عن الجامعات الرئيسية ودور السينما البارز..الخ.

ثانياً: نبذة مختصرة عن الانتخابات الامريكية والقواعد التي تستند اليها:

وللتعريف بالموضوع سنتناول ما يأتي:

١. آلية الانتخابات الرئاسية الامريكية.
٢. القواعد التي تحكم الانتخابات الامريكية.

١. آلية الانتخابات الرئاسية الامريكية:

تجري الانتخابات عادة بمرحلتين الاولى في شباط من عام الانتخابات الرئاسية للاختيار بين مرشحي كلِ حزب من يمثلهم اخيراً في الانتخابات الرئاسية، والثانية في اول ثلاثاء من شهر تشرين الثاني كأن يكون ١ او ٢ الى ٧ في الشهر حسب كل سنة.

وعادة المرشحون للرئاسة يختارون في مؤتمرات تعقدها الاحزاب السياسية ويختار كل حزب سياسي مدينة لعقد مؤتمره (المدينة ينبغي ان تكون محسوبة لهم ومؤثرة في الاخرين وفي الانتخابات اخيراً) وعادة تعقد المؤتمرات في اول صيف سنة الانتخاب كما جرت هذه السنة في اب الماضي. ودائرة كل ولاية ترسل وفداً من قبلها. وبعد ان ينتخب المؤتمر موظفيه ولجانه ويوافق على خطة الحزب يشرع في تعيين المرشحين للرئاسة ونيابة الرئاسة ويطلب خطيب المؤتمر ترشيح الولايات. وكلما ذكر

اسم ولاية يعلن وفود الولاية مرشحيهم للرئاسة. وبعد ان يسمي وفد كل ولاية مرشحه تصوت الوفود للمرشح. والاسم الذي ينال اكثرية الاصوات يصبح مرشح الحزب للرئاسة في انتخابات تشرين الثاني.

وفي انتخابات تشرين الثاني ينتخب الناخبون من كل ولاية منتخبي الرئيس ويكون عددهم مساوي لعدد النواب والشيوخ لكل ولاية في الكونغرس، وهؤلاء الناخبون تختارهم الاحزاب السياسية لمجرد التصويت لمرشحي الحزب للرئاسة وللنيابة عن الرئيس.

أي لهذا الغرض فقط، والناخبون من الـ٥٠ ولاية يعرفون باسم الكلية او الهيئة الانتخابية او الناخبون الكبار، ولكنهم لا يجتمعون فعلاً البتة لان التعديل الثاني عشر للدستور يوعز بأن الناخبين يجتمعون في ولاياتهم لكي يصوتوا هناك. والكلية الانتخابية تنتخب الرئيس ونائب الرئيس.

ويتولى الرئيس المنصب في ٢٠ كانون الثاني بعد انتخابه في تشرين الثاني في حفلة تسمى (حفلة التولية) او (المبايعة) والعادة ان يمضي الى مقر (الكابتول هيل) أي مقر الكونغرس لكي يحلف يمين المنصب وهي يمين يمليها عليه القاضي الاعلى للولايات المتحدة أي رئيس المحكمة العليا في امريكا[١٠].

والانتخابات التمهيدية التي تجري في شباط من سنة الانتخاب ثلاثة انواع في امريكا هي:

أ. بطاقات مغلقة اذا كانت العضوية في بطاقات تسجيل اذ يسلم الناخب بطاقة انتخابية عليها اسماء مرشحي الحزب الذي ينتسب اليه، فيختار اسم او الاسماء التي يراها مناسبة.

ب. بطاقات مفتوحة اذا كانت العضوية غير معروفة، اذ يتسم فيهما بطاقتين جمهورية وديمقراطية ولكن عليه استعمال واحدة فقط وتأشير ما يراه من الاسماء المقيدة فيها.

ج. بطاقة اقتراع واحدة تحتوي كافة المرشحين دون تفريق لانتماءاتهم الحزبية ويختار المرشح منهم اذا كانت الولايات غير حزبية كولايتي نبراكسا ومينيسوتا.

٢. القواعد التي تحكم الإنتخابات الامريكية:

تحكم الانتخابات الرئاسية في امريكا القواعد التالية[١١]:

---

(١٠) وائل محمد اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٦٢-٨٨.

(١١) **Gitelson Dudley Bubnick, American Government, Boston: Houghton Mifflin Press, 2003, p.213.**

أ. القاعد التي تقول الفائز يحصل على كل شيء Winner Take All بمعنى ان المرشح الذي يحصل على أعلى نسبة من الاصوات الشعبية في الولاية (أي اصوات الناخبين) يفوز بكل اصوات تلك الولاية في المجمع الانتخابي او الهيئة الانتخابية.

(هذا يعني ان الذي يحسم النتيجة هم الهيئة او الناخبون الكبار أي اقلية في امريكا فقط عددهم ٥٣٨ فرد). بينما لا يحصل منافسه على شيء على الاطلاق، ولا يشترط ان تكون النسبة الا على هذه الاغلبية بالضرورة. فمن الممكن ان يحصل المرشح على ٣٨% مثلاً من اصوات الناخبين فيصبح هو الفائز طالما ان ايا من منافسيه لم يحصل على نسبة اعلى من ذلك.

بعبارة اخرى اذا حصل المرشح (أ) على ٣٨% وحصل (ب) على ٣٧,١% من اصوات الناخبين الكبار يصبح المرشح (أ) هو الفائز بكل اصوات الولاية. بينما يتساوى المرشح (ب) مع المرشح (س) الذي لم يحصل الا على ٢% من اصوات الناخبين اذا لا يحصل كلاهما على أي شيء على الاطلاق.

ب. قاعدة اخرى ان مرشح الرئاسة يحتاج لكي يصبح رئيس ان يفوز بـ(٢٧٠) صوت انتخابي كأدنى حد أي اكثر من نصف الـ(٥٣٨).

ومن هنا يأتي الاختلاف في الاصوات الشعبية التي يحصل عليها المرشح في الاصوات الانتخابية. فاذا تصورنا مثلاً ان المرشح (أ) قد فاز في كاليفورنيا (٥٤) ونيويورك (٢٣) وتكساس (٣٢) وفلوريدا (٢٧) فانه قد يكون حصل على (١٢٥) صوت بينما يحصل منافسه على صفر. وفي كل الاحوال سيحصد الاصوات جميعها في تلك الولايات ويكون الرئيس انتخابياً وشعبياً بيد انه احياناً يفوز الرئيس انتخابياً ويخسر بعض الاصوات شعبياً. الا ان المعيار يبقى للاول وهذا حدث ثلاث مرات في التاريخ الامريكي.

عام ١٨٧٦ حين فاز هايز بالرئاسة رغم ان منافسه صاموئيل تيلدن فاز في الاصوات الشعبية.

عام ١٨٨٨ حين فاز بينامين هاريسون بالرئاسة رغم فوز منافسه جروفر كليفلاند بالاصوات الشعبية.

وثالثة عام ٢٠٠٠ في حالة فوز بوش مع منافسه الذي تفوق عليه شعبياً آل غور.

الواقع ان سبب إيجاد نظام الكلية الانتخابية هو لاحداث التوازن والقوة في التصويت بين الولايات الصغيرة والكبيرة، كي لا تستأثر الكبيرة السكان على قليلة السكان. وتكون جميع الولايات مهمة للمرشحين.

ج. قاعدة ثالثة[١٢] يجتمع الناخبون المعنيون الذين يتم اختيارهم عن طريق كونغرس كل ولاية لعدد متساوي لعددهم في مجلس النواب والشيوخ. علماً ان عدد كل ولاية يخضع للتغيير كل دورة رئاسية حسب الهجرة من ولاية لاخرى وحسب كثافة سكانها. هؤلاء الناخبون المعينون يجتمعون كل في ولايته ويقترعون بنظام الاقتراع السري لانتخاب الرئيس ونائب الرئيس، ويجب ان يكون واحد منهما على الاقل من غير المقيمين في الولاية نفسها معهم. ويذكرون اسم الشخص الذي ينتخبونه رئيساً في بطاقات مستقلة. ويجري التصويت في يوم يحدده الكونغرس الامريكي الاتحادي في كل الولايات بوقت واحد وفي يوم واحد.

وترسل بطاقات الاقتراع الى مقر حكومة الولايات المتحدة موجهة الى رئيس مجلس الشيوخ الذي يقوم امام اعضاء المجلس واعضاء مجلس النواب بغض هذه القوائم واحصاء عدد الاصوات والشخص الذي يظفر باكبر عدد الاصوات يكون الرئيس. واذا لم يحصل المرشحين على النسب المرشحة له كرئيس أي اعلى من ٢٧٠ صوت فعندئذ على مجلس النواب ومجلس الشيوخ القيام بالوظيفة ذاتها على ان لا يتجاوز الفصل والبت في ذلك بموعد اقصاه الاسبوع الاول من كانون الاول او كانون الثاني كحد اعلى لاختيار الرئيس ونائبه وان فشل الكونغرس بذلك، ولم يحقق الرئيس الاغلبية عندئذ يصار الى الانتخاب بواسطة مجلس الكونغرس. مجلس النواب يختار الرئيس ومجلس الشيوخ النائب. ولكن يكون لكل ولاية صوت واحد سواء في النواب او الشيوخ والنصاب القانوني هو ثلثي الولايات، ويفوز المرشح الذي يحصل على اغلبية اصوات الولايات. وهذا ينطبق على الرئيس ونائبه.

د. القاعدة الاخيرة هي اسلوب الانتخاب ونوع الآلات المستخدمة والموعد النهائي لاعلان النتيجة. وهذا يختلف من ولاية لاخرى واي تزوير او منازعات تحسم من قبل المحاكم المحلية في الولايات.

ولكل ولاية مقاطعات ولكل مقاطعة الحق في اختيار شكل البطاقة الانتخابية بل ونوع الآلة التي يتخذ منها الناخب للادلاء بصوته.

فقسم من الولايات تستخدم القلم للتأشير على المرشح او اشارة توضع على المرشح كشريط مثلاً. او قلم يخترق البطاقة واسم المرشح المارد انتخابه. او عبر البريد الالكتروني كما فعلته ولاية اوريغون عام ٢٠٠٠.

او طريقة اللمس بالكومبيوتر عند الاقتراع بدل الكارتات المثقوبة في الكثير من الولايات، الا ان ولايات قليلة لازالت تعتمد الكارتات المثقوبة او للتأشير. ذلك

---

[١٢] **Anthonty Lewis, playing with Fire, New York Times Online, www.nytimes.com/2004/11/25.**

يختلف من ولاية غنية الى فقيرة اذ ان الانفاق على العملية الانتخابية من اختصاص الولايات وليس من اختصاص المركز في امريكا.

كذلك تختلف معايير تسجيل الناخبين من ولاية اخرى، وكذلك الشروط المطلوبة للتصويت(١٣).

ثالثاً قوى التحكم في الانتخابات الامريكية

وقوى التحكم هذه عديدة منها ما هو يتعلق بمؤهلات المرشح لمنصب الاول ومنها ما يتعلق بقوى مساعدة.

١. مؤهلات النجاح للرئاسة الامريكية:

وهي عديدة وابرزها:

أ. المهارة السياسية العالية.
ب. استخدام التلفزيون بذكاء. ويقال ان نيسكون وريغان برعوا في ذلك.
ج. تسخير وسائل الاعلام لاثارة الشعب حوله.
د. سرعة البديهية في الاجابة اثناء المناظرات.
ه. فن استخدام لعبة الغولف او البيسبول الشهيرتان في امريكا.
و. فن استخدام سباق الخيل او الصيد.
ز. القدرة على محو الماضي القذر او السيء.
ح. المعرفة التامة باهتمامات الناخب الامريكي.
ط. القدرة على ارسال الرسائل الملائمة لكسب الفئات المهمة المراد كسبها اليه.
ي. الاعتماد على مدير حملة انتخابية معروف بكفاءته.

٢. القوى المساعدة للرئيس الامريكي:

وهي عديدة وابرزها:

أ. حنكة ومهارة فريقه الاستشاري.
ب. قوى المال التي تقف وراء اسناده.
ج. تأثير الاقليات البارزة في المجتمع الامريكي تأييداً له.
د. موقف وسائل الاعلام اتجاهه.
ه. دور القوى الخفية في مساندته من عدمها.

---

(١٣) منذر الوشريجي، مصدر سبق ذكره، ص١٠-١٦.

رابعاً: قوى الحسم الرئيسية في الانتخابات الامريكية

وقوى الحسم الحالية ايضاً عديدة وابرزها:

١. المناظرات الرئاسية.
٢. اصوات العرب والمسلمين.
٣. تصعيد حدة الطعن والتشهير.
٤. دور ونفوذ ما يعرف بالجماعات الاربعة.
٥. الدعاية بما فيها من كذب وتضليل.
٦. تأثير الحزب المستقل او المرشح المستقل.
٧. الوضع السيء للمرشحين.
٨. نسب ونوع المشاركة الجماهيرية في الانتخابات.

١. المناظرات الرئاسية:

وهي جزء من الحسم وليس الحسم، وتؤدي الى تضليل المواطن وتضعه بين جانبيين اما هذا او هذا. ومن ابرز شروط نجاحها توفر التالي:

أ. القدرة على قلب الموازين.
ب. القدرة على الاداء الشخصي.
ج. الطلة او الطلعة.
د. النبرة في الحديث.

وقد شهدت المناظرات الرئاسية ثلاث مناظرات[١٤]، الاولى يوم الخميس ٢٠٠٤/٩/٣٠ جرت في فلوريدا، والثانية جرت يوم الجمعة ٢٠٠٤/١٠/٨ في جامعة واشنطن في سانت لويس احدى مدن ولاية ميزوري، الثالثة جرت يوم الاربعاء ٢٠٠٤/١٠/١٣ في مدينة تامبي من ولاية اريزونا. تخللتها مناظرة بين المرشحين لنائبي الرئيس بين ديك تشيني وادواردز. جرت يوم الثلاثاء ٢٠٠٤/١٠/٥ تخللت المناظرات الرئاسية سجال عنيف واتخذ بوش وضع الدفاع وكيري وضع الهجوم، لسبب رئيسيي ان الرئيس المراد تجديد ولايته ادارته معروفة لذا يكن في وضع دفاع بينما المرشح قد يكون غير معروف في العمل والادارة السياسية فيكون مبهم للمرشح الاول فيكون هجومي دائماً.

---

[١٤] **http;//www.ahram.org.eg/Index.asp/20/2/2004.**

وقد تفوق كيري على بوش في المناظرات الثلاث حسب اراء المواطنين واستطلاعات الرأي لعدة اسباب ابرزها:

أ. ان كيري كان اقوى من بوش في القضايا الداخلية التالية وعلى رأسها الاقتصاد والوظائف والرعاية الصحية والتعليم والبيئة وعجز الميزانية. بينما تقدم بوش فقط في الضرائب ومحاربة الارهاب كقضايا داخلية.

ويعتقد الديمقراطيين ان الاقتصاد هو جواز سفرهم الى البيت الابيض كما حدث لبوش الاب مقابل كلنتون عام ١٩٩٢، ولكن الوضع في العراق افسد حملتهم الاقتصادية.

ب. كيري في المناظرات كان يبدو عليه بتصرفه بطريقة رئاسية بينما قابله بوش بالازدراء. وفي ولايات محسوبة على الجمهوريتين كولاية اريزونا نظر له الجمهور (أي لكيري) باعجاب لتصرفه تجاه احتقار بوش له.

اذا اثبت انه مناظر مخضرم وببلاغة في الانكليزية عالية اعترف بوش بضعفه امامه اخر المناظرة بقوله ان زوجته (أي زوجة بوش) تجيد الانكليزية افضل منه.

ج. كيري عرف الجمهور بمهارته السياسية العالية كعضو في مجلس شيوخ ولاية ماساشوتس ورغم انه كاثوليكي الديانة وبوش ميتودي بروتستانتي الديانة الا انه خفّف من كاثوليكيته بقول انا سأكرر قول جون كنيدي الشهير "لا اخوض حملتي لاصبح رئيساً كاثوليكياً بل لاصبح رئيساً شاءت الصدفة ان يكون كاثوليكياً".

د. ان شخصية نائبه الذي كان مرشح اساساً للرئاسة بدلاً من كيري او تنافس معه، هي شخصية قوية يجيد الدفاع كونه محام ناجح وله خبرة في وضع حجم الدفاع امام المحاكم ولمعانة وجماله اكسبت النساء كما حدث لجون كنيدي عام ١٩٦١ امام منافسه الذي بدا غير جميلاً مقارنة به بنظر النساء، ومنافس ادواردز كان بنظر الامريكيين وهو تشيني ملطخة يديه بفضيحة شركة هاليرتون وهو عجوز مقارنة بشبابية ادواردز.

واعتقد ان الديمقراطيين حينما قرروا ان يكون ادواردز نائب للرئيس وتلك حالة فريدة ان مرشح للرئاسة يقبل بمنصب نائب الرئيس للتعاون للفوز لان عدم الفوز يعني تمديد ثماني سنوات قوية اخرى للجمهوريين، بعد اعداد ارنولد شوارزينغر حاكم ولاية كاليفورنيا ذي الكثافة السكانية الاعلى في امريكا عام ٢٠٠٨ للانتخابات الرئاسية ومؤكداً فوزه طالما مثل افلام رامبو والداعي الى القوة.... الخ وهو من اشد المناصرين لبوش الان مع ان زوجته ديمقراطية حفيدة لجون كنيدي.

٢. اصوات العرب والمسلمين:

العرب والمسلمين مع ان نسبتهم من حيث عدد السكان لا بأس بها الا ان نسب مشاركتهم ضعيفة. فيقدر عدد افراد الجالية المسلمة بـ(٧,٥) مليون نسمة، وعدد افراد الجالية العربية بـ(٣,٥) مليون نسمة يتركزون في ولايات كل من: كاليفورنيا، اوهايو، نيوجرسي، متشيغان، نيوريورك، وهي ولايات مهمة للحسم. وتقدر فاعليتهم التصويتية بـ(٩,١) مقارنة بالجالية اليهودية أي اقل من (١٠%) بينما اليهود تبلغ (٩٠%) اعلى من المواطن الامريكي نفسه وهي (٥٠%). الا ان العرب والمسلمين الان موحدين للتصويت بشكل موحد ضد بوش لانهم كانوا السبب في فوزه عام ٢٠٠٠ ووعدهم بتحسين ظروفهم ومعاملتهم. الا ان احداث ٢٠٠١/٩/١١ بنيت لهم عدم وفاءه بالوعود تجاههم[١٥].

٣. تصعيد حدة الطعن والتشهير بين المرشحين:

ان تصاعد حدة الطعن والتشهير بين المرشحين او ما يطلق عليه بالديمقراطية السلبية قد تحسم النتائج احياناً. فتصاعد ذلك قد يغير من المزاج العام لاي من المرشحين تجاه الاخر، كما حدث ابان الحملة الانتخابية لعام ١٩٩٢ حين وصل الامر ببوش الاب لوصف كلنتون بالاتي: "ان كلبتي ميلي تفهم في السياسة الخارجية اكثر من منافسي كلنتون" فرد عليه كلنتون بالقول "انه الاقتصاد وليس السياسة يا غبي"[١٦].

٤. دور ونفوذ ما يعرف بالجماعات الاربعة:

وهي كل من المجمعات الصناعية الكبرى والمجمعات الصناعية العسكرية او المركب الصناعي العسكري والشركات النفطية العملاقة والمجمعات المنتجة للمعلوماتية. وكل تلك المجاميع لها دور مؤثر في الحسم باتجاه مرشح من اخر[١٧].

٥. الدعاية بما فيها من كذب وتضليل:

فكل مرشح سوق نفسه دون ابراز سلبياته والمواطن يبقى اسيراً للتلفزيون بكل ما يحمله من دعاية دون مبرر، وكل مرشح وخصوصاً الرئيس المراد تجديد ولايته يلجأ الى الاعلام للاتصال بما يعرف (بجامعي القمامة) لتشويه الطرف الاخر ففي عام ١٩٨٨ فضل المرشح الديمقراطي امام بوش والتر مونديل الانسحاب بسبب التشهيرية لحد زوجته فقال قوله "انا احتقر نفسي ان اكون بموقع لامس حتى شرفي"[١٨].

٦. تأثير الحزب المستقل او المشرح المستقل:

---

[١٥] محمد العلمي، الصوت العربي والمسلم في الانتخابات الامريكية، برنامج بث على قناة الجزيرة الساعة التاسعة مساءاً يوم ٢٠٠٤/١/٢٠.

[١٦] منذر الشوريجي، مصدر سبق ذكره، ص١٧-١٨.

[١٧] نقلاً عن وائل محمد اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٨٤.

[١٨] المصدر نفسه، ص٨٦.

مع ان المجتمع الامريكي ٦٠% منه متحزبين فان ٤٠% مستقلين، الا ان هذا العام فقط شهد عدم السماح للمرشح المستقل بالمشاركة في المناظرات الرئاسية بسبب اتهام الديمقراطيين له بأنه كان السبب وراء خسارة آل غور الديمقراطي عام ٢٠٠٠ لصالح بوش وانه الان قد جمع المئات من التزوير للترشيح له مما ادى الى ابعاده عن قائمة المرشحين.

وقد بدت المناظرات الرئاسية الان وكأنها جمهوريةِ او ديمقراطية ذلك ان اللجنة المنظمة للمناظرات من الحزبين، وتلك مسألة فيها عيب على دولة تدعي الديمقراطية.

وظاهرة الحزب المستقل غير محبذة اذ يستحيل فوزه وهي ظاهرة ارتدادية قد يدخل اخيراً الانتخابات نادر ويضرب ضربته كما حدث عام ٢٠٠٠ من ايا من المرشحين.

علماً ان جون اندرسون وكان من رجال الكونغرس قد شارك كمرشح مستقل في المناظرات الرئاسية مع ريغان ورفض كارتر الحضور معه عام ١٩٨٠ وحقق بعض التأييد بسبب ذلك. وكذلك الملياردير روز بيرو شارك في المناظرات الرئاسية عام ١٩٩٢ وحقق ايضاً تأييد له.

٧. الوضع السيء للمرشحين:

او فلنقل النصيب السيء للمرشحين، فهنالك امرين متبادلين يرجحان كفة احدهما على الاخر.

١. فيما يتعلق ببوش: هنالك امرين يحتمل تأثيرها على بوش بشكل قوي وملفت للنظر وهما:"

أ. الرئيس بوش بات قوياً بشكل ملفت والقوى الخفية لا تحبذ من هو قوياً وفي دورة ثانية لا ثالثة لها سيتحرر منهما فمن الممكن الاضرار بهما لهذا لا يجدد له. كذلك الرئيس القوي يخشاه الشعب لانه يعد بنظره بعيد عن الوطنية وعن نظام الضبط والتوازن بين الرئيس والكونغرس.

ب. التقارير التي قدمت ضد بوش عديدة ابرزها:

(١) فضيحة شركة هاليبرتون في العراق.

(٢) تقرير تشارلز دولفر كبير مفتشي الولايات المتحدة في ٢٠٠٤/١٠/٥ بقوله العراقيين تخلصوا من كل اسلحتهم تقريباً منذ نهاية عام ١٩٩١.

(٣) تقريري الاستخبارات الامريكية في ٢٠٠٤/٩/٢٢ حول عدم امتلاك العراق لاسلحة دمار شامل وفي ٢٠٠٤/١٠/٢٤ حول لا وجود لمخططات ارهابية بشأن الانتخابات في امريكا.

(٤) تصريح جورج تنيت مدير CIA المستقيل في ٢٠٠٤/١٠/٢١ حول الحرب على العراق بانها كانت خطأ.
(٥) وصف ٦٥٠ من خبراء السياسة الخارجية والامن القومي في ٤٠ ولاية امريكية يوم ٢٠٠٤/١٠/١٢ برسالة وجهت للرئيس بوش بأنه ضلل العالم وان ادارته كانت الاكثر تضليل منذ حرب فيتنام مطالبين اياه باسرع وقت لتصحيح سياسته، وضم العدد وكلاء وزارتي الدفاع والخارجية سابقين ومستشاري امن قومي وسفراء واستاذة جامعات.

٢. فيما يتعلق بكيري: وهنالك امرين مؤثرين عليه وهما:
أ. انه الرئيس المرشح الثاني للولايات المتحدة بعد جون كنيدي كاثوليكياً. علماً ان غالبية المجتمع الامريكي هم من الروتستانت مع ان المجتمع الامريكي غالبيته غير متدينين والمتدينين يدعمون بوش بنسبة ٥٩% و٣٥% لكيري.
ب. الاصرار الذي يحمله كيري بفرض الضريبة على كل ما زاد دخله على ١٠٠ الف دولار سنوياً تلك المسألة تتعارض ما ذكرناه بأمور لا يجب المساس بها وهي عدم فرض ضريبة تصاعدية تمس جماعات المصالح الكبرى. علماً ان بوش خفف من الضريبة على تلك الفئة.

٨. نسب ونوع المشاركة الجماهيرية في الانتخابات:

تشكل نسبة المشاركة عامل اخر للحسم فكلما زادت في ولايات مرجحة لمرشح مهمة في التأثير على اتجاهات الناخبين الكبار لصالح ذلك المرشح، فضلاً عن ذلك فان نوعية المشاركين ذكور من اناث تبرز هي الاخرى في القدر نفسه. وفي الانتخابات المقبلة يرجح زيادة نسبة انتخاب الاناث على الذكور. وعادة النساء يصوتن الى الديمقراطيين ويرجح الان زيادة عدد الذين يصوتن الى الديمقراطيين بـ(١٠%) من الجمهوريين. وذلك لاهتمام النساء بالعناية بالطفل والفقراء واجور العمال..الخ. والضمان الاجتماعي والمساعدات الصعبة ومساعدة الفقراء وكلها امور طرحها الديمقراطيين والمرشح كيري ولم يجدها في برنامج الجمهوريين.

ولاحظ ان بوش قد ركز على خفض الضرائب للطبقات الوسطى بينما كيري ركز على خفضها للطبقات الفقيرة. والحرب تكرهها النساء لهذا سيكون الميل باتجاه الديمقراطيين.

وهنالك (٦) مليون متزوجة قررت التصويت لكيري و٢٢ مليون غير متزوجة مترددة لحد الان في التصويت.

والجدول التالي يوضح نسبة المشاركة الجماهيرية في الانتخابات الرئاسية

السنة	عدد السكان	عدد الناخبين
١٧٩٢	٤,٢مليون نسمة	وهي اول انتخابات (غير معروف)
١٨٢٤	١٠,٩ مليون نسمة	٢٦٥,٨٠٠ ناخب
١٨٥٦	٢٨,٢ مليون نسمة	٤,١ مليون ناخب
١٩٠٠	٧٦ مليون نسمة	١٤ مليون ناخب
١٩٦٠	١٨٠ مليون نسمة	٦٨,٨ مليون ناخب
١٩٨٨	٢٤٤ مليون نسمة	٩١,٦ مليون ناخب
١٩٩٢	٢٦٠ مليون نسمة	١٠٤ مليون ناخب
٢٠٠٠	٢٧٦ مليون نسمة	١٠١ مليون ناخب

علماً ان الديمقراطيين حكموا (٢٧) فترة رئاسية والجمهوريين (٢٣) فترة رئاسية لحد الان[١٩].

خامساً: ابرز ولايات الحسم الحالية في الانتخابات الامريكية

وستناول ما يأتي

١. اهم ولايات الحسم.
٢. ولايات الصراع الكبرى.
٣. ولايات الصراع الصغرى.

١. اهم ولايات الحسم:

وهي احدى عشرة ولاية، وهي:

أ. فلوريدا ولها ٢٧ صوت:

وحاكم الولاية هو جيب بوش الشقيق الاصغر للرئيس بوش وقد بدأت التصويت السري في ٢٠٠٤/١٠/١٨ تجنباً للزحام ومعها ولايات خمسة اخرى في الجنوب. وكانت فلوريدا الولاية التي حسمت نتائج انتخابات الرئاسة التي فاز فيها بوش بعد رفض المحكمة العليا في الولايات المتحدة طلب آل غور باجراء الفرز اليدوي لان عدة اصوات في المقاطعات الاربعة للولاية وهي (بالم ميتش) و(فولوزيا) و(براورد) و(ميامي ميد). وجاء القرار بعد اخذ ورد استغرق من تاريخ ١١/٤ وحتى ٢٠٠٠/١٢/٦.

---

(١٩) الجدول من اعداد الباحث، واعتماداً على مصادر المعلومات التالية:
١. جدول الانتخابات الرئاسية في امريكا، اعداد مجلة المنار، القاهرة، العدد ١٠١، تموز ٢٠٠٣، ص٦٣-٦٨.
٢. الانتخابات في امريكا، نشرة الملف، العدد، وزارة الخارجية العراقية، ٢٠٠١، ص١٣-١٤.
٣. تمام البرازي، مصدر سبق ذكره، ص١٦٨.

علماً ان بوش قد فاز في ٢٩ ولاية وآل غور في ١٩ ولاية وكانوا متعـادلين تقريباً عدا ولايتي فلوريد وويسكنسن.

وهذا يعني ان الفوز في الولايات لا بعددها وانما باوزانها. فقد نسمع يـوم الثلاثاء كي لا نفاجأ بان بوش حقق فوزاً في ٣٠ ولاية وآل غور لازال لم يحقـق الا في ١٥ ولاية هذا لا يعني فشله فقد يفوز بالاخير مع انه فاز بـ٢٠ ولاية فقط.

هذه الولاية من ولايات الجنوب الموالية للديمقراطيين، وهنالك المتقاعدون فيها خصوصاً يميلون لكيري.

ب. بنسلفانيا ولها ٢١ صوت:

وقد فاز فيها آل غور عام ٢٠٠٠ وهي ولاية صناعية تضررت من الكسـاد عام ٢٠٠١، ٢٠٠٢ ويركز عليها بوش كثيراً علماً ان زوجة كيري مولودة فيها.

ج. اوهايو ولها ٢٠ صوت:

وقد فاز فيها بوش عام ٢٠٠٠ الا ان وضعه الان مختلف لخسـارتها اعـداد كبيرة من الوظائف (عاطلين) بسبب سياسة بوش الاقتصادية.

د. ميتشيغان ولها ١٧ صوت:

وهي من اصعب الولايات عند بوش ويحكم عليها الـديمقراطيين بقـوة وقـد خسرت مئة الف وظيفة منذ مجيء بوش.

ه. ويسكنسن ولها ١٠ صوت:

وقد فاز فيها آل غور عام ٢٠٠٠ وخسرت وظائف كبيرة جراء سياسة بـوش الاقتصادية.

و. مينيسوتا ولها ١٠ صوت:

وهذه محسوبة الى بوش.

ز. ايوا ولها ٧ اصوات:

وهذه صوتت للديمقراطيين عام ٢٠٠٠.

ح. ميسزوري ولها ١١ صوت:

وقد صوت لصالح بوش عام ٢٠٠٠ ويسعى بوش للحفاظ عليها.

ط. كولورادو ولها ٩ اصوات:

وهي محسوبة على الجمهوريين وقد فـاز بهـا بـوش عـام ٢٠٠٠، الا ان الديمقراطيين يأملون الفوز بها كون ولادة كيري فيها.

ي. نيومكسيكو ولها ٥ اصوات:

واغلبيتها لاتينية الاصل من اصول اسبانية تكره بـوش والجمهـوريين وقـد صوت الى آل غور عام ٢٠٠٠.

ك. واشنطن ولها ١١ صوت:

وهي ولاية لا تدعم الجمهوريين ابداً.

٢. ولايات الصراع الكبرى:

وهي كالتالي:

أ. كاليفورنيا ولها ٥٤ صوت:

محسوبة على الديمقراطيين، الا ان حاكم الولاية ارنولد شوارزينغر النمساوي الاصل يعبئ الولاية باتجاه بوش.

ب. نيويورك ولها ٣٣ صوت:

وهي ايضاً محسوبة على الديمقراطيين.

ج. تكساس ولها ٣٢ صوت:

وهي ولاية جنوبية اثرت اسرة بوش الاب في السكن فيها وادارة شركات نفطية فيها بحرفها على الميل الى الديمقراطيين شأن ولايات الجنوب الاخرى. كذلك ان بوش الرئيس تولى حاكمية الولاية منذ عام ١٩٩٤ الى عام ٢٠٠٠.

٣. ولايات الصراع الصغرى:

وهي كالتالي:

أ. مونتانا (٣) صوت.
ب. واي مينج (٣) صوت.
ج. العاصمة واشنطن (٣) صوت.
د. مونديانا (٣) صوت.
ه. الاسكا (٣) صوت.
و. فيرمونت (٣) صوت.
ز. ديلاوير (٣) صوت.
ح. ايداهو (٤) صوت.
ط. نيوهامبشاير (٤) صوت.
ي. رود ايلاند (٤) صوت.
ك. مين (٤) صوت.
ل. هاواي (٤) صوت.
م. نيفادا (٤) صوت.
ن. يوتا (٥) صوت.
س. نيومكسيكو (٥) صوت.
ع. نبراسكا (٥) صوت.

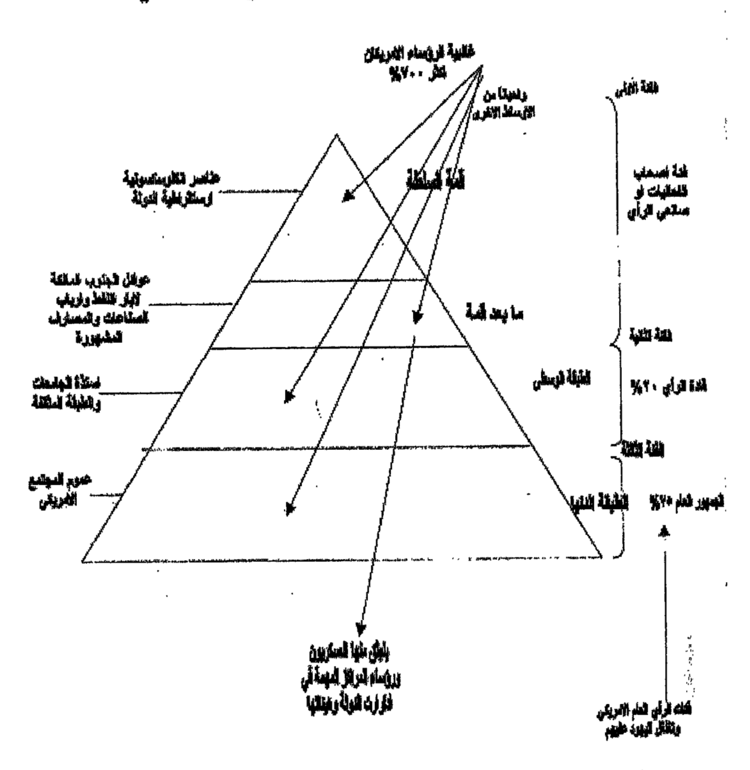
وهنا يبذل المرشحون جهوداً اكبر من الولايات لان الميل الحدي لتأثير الشعب على الناخبين الكبار يكون غير مؤكد.

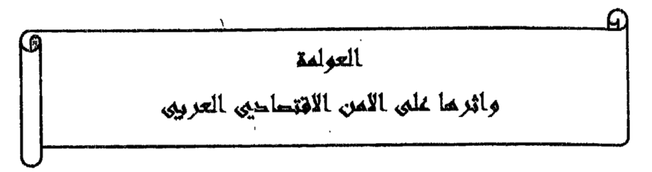
وابرز تلك المفاجات والاحتمالات هي:

١. فوز كيري بشكل حاسم خصوصاً بعد دخول كلنتون وآل غور الى الحملة هذا الاسبوع ابتداءاً من ٢٠٠٤/١٠/٢٣ وانتقادهم الشديد لسياسة بوش. وكلنتون دخل الحملة يوم ٢٠٠٤/١٠/٢٥ الى حملة كيري. وهي خطوة يعدها الجمهوريون اهم ورقة رابحة لحملة كيري. اذ قال روجر ستون امس ٢٠٠٤/١٠/٢٥ ان دخول كلنتون يعد دفعة قوية لكيري.
٢. فوز بوش بشكل حاسم طالما ظل يردد ان الولايات لن تكن امنة بسبب الارهاب على ان يسبق ذلك عمل ارهابي داخل امريكا. فيفوز برئاسة ثانية، مثلما حدث حينما ضربت الابراج يوم ٢٠٠١/٩/١١ اجتمع رامسفيلد بعد ٤ساعات بكبار القادة العسكريين ليعلمهم بالاستعداد لغزو العراق.
٣. رغم كل خسائر المجتمع الامريكي من حروب بوش وخسارة اكثر من مليون ونصف امريكي وظائفهم بسبب سياسته على حد قول كيري يبقى الحسم فيما اوردناه مسبقاً. الا ان ذلك لا يعني قطعاً فمثلاً العرب والمسلمين غالبيتهم يصرحون مرة انهم سيكونوا مع كيري لان بوش خذلهم. واخرون قالوا انهم سيصوتوا الى رالف نادر كي يفوز بوش ويعيد النظر بسياسة حيالهم كهذا تفكير وكهذا منطق يحكم الحسم في الانتخابات الامريكية واخرون من العرب قالوا "الشين اللي تعرفه احسن من الزين اللي متعرفه".

احتمالية الحسم يوم الثلاثاء غير مؤكدة بعد ان هيأ بوش قوات عسكرية لحماية الانتخابات، وهيأ الديمقراطيين فقط في ولاية فلوريدا ذات المقاطعات النائية ١٠,٠٠٠ محامي لانهم على معرفة بان مقاطعات نائية سوف لا تشارك بالتصويت. وان اموراً قد يترتب وتحدث كما حدثت عام ٢٠٠٠ وفي الولاية التي اوصلت بوش للرئاسة ويحكمها شقيقه. فاحتمالية المعركة القضائية محتملة وقد لا تحسم في ٢٠٠٤/١١/٢ النتيجة كاملة.

جدول يبين هرمية المجتمع الامريكي





العولمة
واثرها على الامن الاقتصادي العربي

الاستاذ المساعد الدكتور
خليل محمد شهاب الجبوري
كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

١. المقدمة

تهدف هذه الدراسة الى بيان اثر العولمة على الامن الاقتصادي العربي، ولتحقيق هذا الهدف علينا ان نتعرف اولا على ماهية العولمة، وما هو المقصود بالامن الاقتصادي العربي. فلا يوجد مفهوم واحد للعولمة، بل تعددت التعاريف والمفاهيم لهذه الظاهرة في الادب الاقتصادي، وكذلك الوضع ايضا بالنسبة لمفهوم الامن الاقتصادي. فلا يوجد مفهوم واحد متفق عليه في الادبيات حتى يمكن استخدامه في تحليلنا لاثار العولمة على الامن الاقتصادي في الدول العربية، اما ما نشير اليه اختصارا بالامن الاقتصادي العربي. وحيث ان الامن الاقتصادي في أي دولة يتحدد بدرجة كبيرة بخصائصها الاقتصادية من حيث عناصر انتاجها، وهيكلها القطاعي ووفرة مواردها ... الخ، فإن دراسة اثر العولمة على الامن الاقتصادي العربي يتطلب بالضرورة دراسة الخصائص الاقتصادية للدول العربية.

وبناء عليه ، تنقسم هذه الدراسة الى خمسة اقسام شاملة المقدمة. يشمل القسمين الثاني والثالث استعراض التعاريف المختلفة للعولمة والامن الاقتصادي في الادبيات الاقتصادية. ثم اختيار المفهوم الذي سنستخدمه لكل من هذين المتغيرين في هذه الدراسة. ويتعرض القسم الرابع للخصائص الاساسية للدول العربية التي لها انعكاساتها على الامن الاقتصادي بها. واخيرا يشمل القسم الخامس تحليل الاثار المتوقعة للعولمة على الامن الاقتصادي في الدول العربية.

٢. ماهية العولمة :

العولمة ظاهرة قديمة وحديثة في نفس الوقت، فهي قديمة اذا ماحصرناها في حجم التجارة الدولية،حيث ان نسبة التجارة الدولية التي الناتج المحلي في الدول الصناعية لم تصل الى مستواها عام ١٩١٣ الا في اواخر الستينات او السبعينات، وفي بعض الدول لم تصل الى هذا المستوى بعد، مثل الوضع في استراليا، الدانمارك، اليابان، والمملكة المتحدة (١٩٩٨ Feensra) وكلمة العولمة تعتبر ظاهرة حديثة اذا ما وسعنا مفهومها بحيث يشمل التجارة

الدولية، والتدفقات المالية، وانتقال الانتاج[1].الخ من نتائج جولة اوروجواي الخاصة بالاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات ١٩٩٤) التي بدأ تطبيقها مع تأسيس منظمة التجارة العالمية[2] في عام ١٩٩٥٤.

واهتمامنا في هذه الدراسة ينصب على المفهوم الحديث للعولمة الذي يتمثل في اتفاقية الجات ١٩٩٤، التي تنفذ بندوها وقوانينها عن طريق منظمة التجارة العالمية، وبما انه ليس هناك تعريف موحد للعولمة، فأننا سنقوم بأستعراض التعريفات المختلفة في الادبيات الاقتصادية لاختيار التعريف المناسب من الناحية العملية لاستخدامه في دراستنا هذه.

تفهم العولمة عند البعض على انها مفهوم تجريدي لايشير الى هدف محدد وانما هو تفسير تطور اجتماعي معين (LUBBERS ١٩٩٨) واخرون يفسرون العولمة على انها عملية يصبح بموجبها مفهوم الانتماء الى وطن محدد الجنسية امر غير وارد، وبناء على هذا المفهوم الاخير، يمكن التمييز بين نوعين من العولمة في الادبيات الاقتصادية: عولمة الاستهلاك، حيث تكون جنسية المستهلك مستقلة تماما عن البلد الذي يصنع فيه المنتج الاستهلاكي، وعولمة الانتاج الملكية التي تشير الى ان جنسية المالك لعناصر الانتاج او المسيطر عليها (أي المنتج) مستقلة تماما عن البلد الذي يتم فيه الانتاج (HEAD ١٩٩٧).

ميشيل كامديسو، الرئيس السابق لصندوق النقد الدولي، وصف العولمة على انها كيان هندسي مكون من ٧ مقاطع: الامكانيات الكامنة الكبيرة للنمو والرفاهية التي توفرها العولمة للدول التي تندمج في الاقتصاد العالمي، والاندماج (اندماج الدول الفقيرة في الاقتصاد العالمي سيسرع من عملية التنمية بها)، والاجماع العالمي على اهمية تحرير التدفقات المالية والقاعدة الذهبية التي تتمثل في الشفافية، واسلوب الحكم الجديد، ووضع قواعد متفق عليها لافضل الاساليب التطبيقية، واعطاء الفرصة للمنهج متعدد الاغراض (Multilateral Approach) لمعالجة المشاكل المالية ذات الطبيعة العالمية (CAMDESSUS ١٩٩٨).

منظور اخر للعولمة في الادبيات الاقتصادية يتمثل في التفرقة بينها وبين مفهوم التدويل (Internationalization) وبناء على هذا المنظور، مايعيشه العالم اليوم هو ظاهرة التدويل وليس ظاهرة العولمة، فالفرق بين اقتصاد دولي واقتصاد عالمي يتوقف على الوحدات التي يتكون منها العالم، ففي الاقتصاد الدولي تقوم التجارة والتدفقات المالية بين الدول بناء على القواعد والقوانين الخاصة بهذه الدول، بينما في الاقتصاد العالمي تقوم هذه التدفقات بناء على قواعد وقوانين عالمية موحدة تنشأ وتنفذ عن طريق مؤسسات دولية (Hirst & Thompson ١٩٩٦).

وربما اكثر التعاريف عملية في الطبيق هو الذي يعرف العولمة على اساس اهم ابعاد هذه الظاهرة . فبناء على هذا التعريف، اهم ابعاد العولمة هي: تحرير التجارة، تحرير التدفقات المالية، نقل الانتاج (أي انتقال بعض السلع من الدول المتقدمة الى النامية)،

---

[1] **Outsourcing of Production.**
[2] **World Trade Organization (WTO).**

وزيادة التنسيق فيما بين المؤسسات الاقتصادية والاطر التنظيمية لدول العالم (Cardoso ١٩٩٦; Sachs ١٩٩٨).

ولدراسة اثر العولمة على الامن الاقتصادي العربي، لابد ان نتعرف اولا على الوضع الحالي للعولمة في ظل ابعادها الاربعة المذكورة اعلاه، واهم المستفيدين الحاليين (الدول المتقدمة مقابل الدول النامية) بالنسبة لكل بعد من هذه الابعاد حتى يمكننا ان نقيم اثرها المتوقع على المنطقة العربية.

وبالنظر الى التجارة الدولية، وهي احدى الابعاد الاربعة للعولمة . نجد ان الجزء الاكبر منها يقوم فيما بين الدول الثالوث[٣]. (الولايات المتحدة الامريكية، واوربا الموحدة، واليابان) وفيما بين الشركات متعددة الجنسيات[٤]. ففي عام ١٩٩٢ مثلا، كان ٦٩,٩% من الصادرات في العالم يتم بين الدول الثالوث[٥] التي تضم فقط ١٤% من سكان العالم (Hirst& Thompson ٣,٢ &٣٣) وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات المستفيدين الاساسيين ايضا من التجارة الدولية، فحوالي ٨٠% من تجارة الولايات المتحدة الامريكية تقوم بها الشركات متعددة الجنسيات، وينطبق ذلك على الدول المتقدمة الاخرى، كذلك ٩٠% من الشركات متعددة الجنسيات، المركز الرئيسي لها موجود في الدول المتقدمة (٥٣; ١٩٩٨ Hirst& Thompson).

اما بالنسبة لدول الجنوب، فقد انخفض حجم التجارة بينها وبين دول الشمال كنسبة من التجارة الدولية نتيجة لانخفاض حصة المواد الخام في التجارة الدولية، ويرجع ذلك اساسا الى انخفاض اسعار البترول بعد ١٩٨٥ وتدهور معدل التبادل الدولي بالنسبة للمواد الخام (Jilbrto & Mommen ،١٩٩٨) وانخفاض حجم التجارة فيما بين الشمال والجنوب، وضعف حصة التجارة البينية فيما بين الدول النامية يشير الى تهميش دول العالم الثالث بالنسبة لهذا البعد من العولمة.

وتمثل التدفقات المالية البعد الثاني من العولمة، فتحرير التدفقات المالية يشمل التدفقات المالية قصير الاجل[٦]. والاستثمار الاجنبي المباشر[٧]. والاخير هو اهم مكون في التدفقات المالية في دول العالم الثالث بسبب اثره على التنمية الاقتصادية بها، فأذا نظرنا الى توزيع الاستثمارات الاجنبية المباشرة في العالم نجد انها مركزة في الدول المتقدمة.ففي الثمانينات

---

[٣] **Triad Countries.**

[٤] **يفضل تسميتها بالشركات متعددة الجنسيات (Mulitnational Corpration) وليس الشركات عبارة القارات، (Transnational Corporations) حيث ان اغلبية هذه الشركات تنتمي الى دول معينة، هي الدولة الام، وتتبع قوانينها وسياساتها. اما الشركات عابرة القارات فهي لاتنتمي الى دولة الام، ولاتطبق او تلتزم بقوانين وسياسات دولة بعينها، والشركات عابرة القارات التي تعمل حاليا في العالم قليلة العدد للغاية (Hirst & Thompson ١٩٩٨).**

[٥] **تشمل الصادرات فيما بين دول الاتحاد الاوروبي.**

[٦] **Short- term Capital Flows.**

[٧] **Foreign Direct Investment (FDI).**

ذهبت ٧٥% من الاستثمارات المباشرة الى دول الثالوث (الولايات المتحدة الامريكية، اوربا، واليابان) وفي بداية ١٩٩٠ كان ٧٥% من اجمالي رصيد الاستثمارات المباشرة في العالم موجود بالفعل في دول الثالوث بالاضافة الى ٦٠% من تدفقات هذه الاستثمارات (١٩٩٨ Hirst& Thompson) وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات مستفيد اساسي ايضا بالنسبة للاستثمارات الاجنبية المباشرة. ففي عام ١٩٩٠. كانت اكبر مئة شركة مسنهن لديها ثلث اجمالي رصيد الاستثمارات المباشرة المتواجدة في العالم و١٤% من تدفقات هذه الاستثمارات، ٦٠% من اجمالي الاستثمارات المباشرة وجه الى الصناعات التحويلية ، ٣٧% الى الخدمات و٣% الى القطاع الاولي (١٩٩٨، Hirst& Thompson).

اما الجنوب فهو مهمش ايضا بالنسبة لهذا البعد من العولمة. فـ ٥% فقط من رصيد الاستثمارات الاجنبية المباشرة في العالم يأتي من الشركات متعددة الجنسيات في الدول النامية. يضاف الى ذلك ان ٣/٢ الاستثمارات المباشرة المتدفقة على الدول النامية تذهب الى عشر دول فقط[٨]. تاركة غالبية دول العالم الثالث تعاني من النقص الحاد في هذه الاستثمارات بالرغم من حاجتها الملحة اليها لدفع عجلة التنمية الاقتصادية بها.

وبمقارنة معدل نمو الاستثمارات الاجنبية المباشرة بالتجارة الدولية، نجد ان الاولى تزيد بمعدلات كبيرة عن الثانية مما يعكس مدى اهمية الدور الذي تلعبه هذه الاستثمارات بالنسبة لاقتصاديات دول العالم – متقدمة ونامية. ويقدر معدل النمو السنوي لتدفقات الاستثمارات الاجنبية المباشرة فيما بين ١٩٨٣و١٩٩٠ بـ ٣٤% بالمقارنة بمعدل نمو ٩% بالنسبة للتجارة الدولية، أي ان معدل النمو السنوي للاستثمارات الاجنبية المباشرة كان اربعة امثال معدل نمو التجارة الدولية (١٩٩٨ Hirst& Thompson) وفي تقدير اخر، معدل النمو السنوي للاستثمارات الاجنبية المباشرة كان ثلاثة امثال معدل نمو التجارة الدولية، وتقريبا اربعة امثال معدل نمو الانتاج (١٩٩٨، Jilberto & Mommen) . وبالرغم من اختلاف التقديرات الا ان المصدرين اجمعا ان معدل نمو الاستثمارات الاجنبية المباشرة يفوق كثيرا معدل نمو التجارة الدولية. وبمعنى ذلك انه في ظل العولمة، لم تعبد التجارة الدولية هي القاطرة للنمو والتنمية في العلاقات بين الدول كما كان الوضع سابقا، بل هناك متغيرات اخرى اكثر اهمية في هذا المجال ولابد من توجه الدول النامية اهتمامها اليها، واهم هذه المتغيرات الاستثمارات الاجنبية المباشرة.

وتحرير تدفقات رأس المال قصيرة الاجل يخفض من المخاطر ويعظم من الربح بالنسبة للمستثمرين في الاسواق المالية. فالاسواق المالية الدولية تتيح لمواطني الدول المختلفة فرصا افضل للاستثمار بالمقارنة بالاسواق المالية المحلية (١٩٩٨ Obstfeld) ولكن من ناحية اخرى، تحرير رأس المال قصير الاجل له اثاره السلبية على الاستثمار والانتاج، فبالرغم من الاثار الايجابية المذكورة، الا ان المكسب الكبير والسريع الذي يمكن ان يحققه رأس المال المباشر في فترة قصيرة من الوقت بالانتقال بين الاسواق المالية المختلفة، يخفض

---

[٨] **هذه الدول هي : سنغافورة، المكسيك، الصين، البرازيل، ماليزيا، هونج كونج، الارجنتين، تايلاند، مصر، وتايوان (Hirst& Thompson ١٩٩٨ :Table ٣,٢).**

من عرض رأس المال المتاح للاستثمارات المباشرة، فلقد لوحظ ان الزيادة في الارباح المحققة من عولمة الانتاج لم تؤدي الى زيادة الاستثمارات في الانتاج بالقدر المتوقع، وذلك بسبب تحويل جزء يعتد به من هذه الارباح الى الاتثمار في الاسواق المالية بدلا من اعادة استثمارها في الانتاج.

وتتميز العولمة ايضا بتدويل الانتاج[٩]وهو ما يعرف ايضا في الادبيات الاقتصادية بنقل الانتاج. هذا هو البعد الثالث للعولمة، ففي الوضع الحالي للعولمة، من المتعارف عليه ان انتاج سلعة واحدة يوزع فيما بين عدة دول لتخفيض التكلفة وتعظيم الربح. وتقود الشركات متعددة الجنسيات هذا الاتجاه، فلقد قدر ان ثلثى اجمالي التجارة في الولايات المتحدة الامريكية تتم فيما بين الشركات متعددة الجنسيات (Hirst& Thompson) فتكامل الانتاج بين الدول يؤدي في حد ذاته الى زيادة التجارة نتيجة لانتقال مدخلات الانتاج عدة مرات فيما بين الدول خلال العملية الانتاجية (Feenstra ١٩٩٨) فأنتقال انتاج بعض السلع، او بعض مدخلات السلع، الى الدول النامية حيث الاجور المنخفضة ادى الى ظهور ادبيات كثيرة تبحث في تأثير هذا الاتجاه على سوق العمل في الدول المتقدمة، ويرى البعض انه نتيجة لهذا الاتجاه، تعاني الدول المتقدمة من زيادة البطالة فيما بين العمالة غير الماهرة وتدهور توزيع الدخل بها نتيجة لزيادة الفجوة بين اجور العمالة الماهرة والعمالة غير الماهرة (Kim ١٩٩٧).

وتذهب بعض الادبيات الاقتصادية الى ان هناك اكثر من متغير مسؤول عن تدهور اوضاع العمال غير الماهرة ونمط توزيع الدخل في الدول المتقدمة، وتختلف الدراسات بالنسبة للاوزان النسبية التي تعطيها كل منها لكل من هذه المتغيرات. فبعض الدراسات ترجع السبب الرئيسي لزيادة بطالة العمالة غير الماهرة وتدهور توزيع الدخل في الدول المتقدمة الى انتقال انتاج بعض سلع الصناعات التحويلية الى الدول النامية (Feenstra & ١٩٩٧ Feenstra ١٩٩٨: Hanson) ويذهب اخرون الى ان اثر هذا البعد (انتقال الانتاج) على سوق العمل في الدول المتقدمة هامشيا، وانما السبب الرئيسي يرجع الى التقدم التكنولوجي السريع الذي يؤدي الى تخفيض استخدام العمالة غير الماهرة ، وزيادة الطلب على رأس المال والعمالة الماهرة في الانتاج (Burtless ١٩٩٥ IMF ١٩٩٧) ويرى البعض ان انتقال انتاج بعض السلع الى الدول النامية يمكن ان يؤدي الى افادة كبيرة للدول المتقدمة اذا ما كانت هناك مرونة في سوق العمل وفي آليات عمل الاقتصاد بحيث يتم نقل عناصر الانتاج الى القطاعات ذات القيمة المضافة المرتفعة بالنسبة لوحدة المدخل الانتاجي. بدلا من الصناعات التحويلية ذات القيمة المضافة المنخفضة.

وبالرغم من ان الدولي المتقدمة تنتج اكثر من ٣/٢ الناتج المحلي على مستوى العالم[١٠]، وبالرغم من ان تدفقات الاستثمار الاجنبي المباشر الى الدول النامية، حتى في

---

[٩] **Internationalization of Production.**

[١٠] **بناء على توزيع الناتج المحلي على مستوى العالم فيما بين الدول، يبلغ نصيب الدول المتقدمة منه ٦٩,٦% في السبعينات والثمانينات، أي فيما بين ١٩٧٠-١٩٨٩ (١٩٩٨ Hirst& Thompson Table ٣,٤).**

فترات الذروة، يمثل نسبة ضئيلة للغاية من رصيد الاستثمارات الاجنبية المباشرة المتواجد في الدول المتقدمة[11]. الا ان الدول المتقدمة تنظر الى نقل انتاج السلع ذات الكثافة المرتفعة في استخدام العمالة غير الماهرة الى الدول النامية على انها تهديد لاقتصادياتها، اذا كان هذا التهديد صحيحا فأن معنى ذلك ان الدول المتقدمة ستواجه بأنهيار في اسواق المال والانتاج لديها مما قد يجعلها تفرض ضرائب جمركية مرتفعة تستبعد بها منتجات دول العالم الثالث. في هذه الحالة سيقضى على الجات بسبب ضرورات سياسية (١١٩: ١٩٩٨ Hirst& Thompson).

البعد الرابع للعولمة هو انتشار نطاق اقتصاد السوق عالميا، فالدولة كانت تلعب الدور الرئيسي في الاقتصاد في كثير من الدول النامية في الستينات والسبعينات، وفي الثمانينات والتسعينات تركت كثير من الدول النامية هذا النظام، واتجهت الى نظام اقتصاد السوق بناء على سياسات الاصلاح الاقتصادي المعدة من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. وفي حالات كثيرة لم تؤدي فرض سياسات الاصلاح هذه الى تحقيق اهداف الدول النامية من زيادة الانتاج ورفع الدخول، وانخفاض البطالة ... الخ ، من الاهداف التي تضعها هذه الدول في اعلى سلم اولوياتها القومية، فنجاح هذه البرامج انصب على الجانب المالي فقط، مثل خفض عجز ميزانية الحكومة ومعدل التضخم. وفي دول كثيرة ومنها الدول العربية، كانت لبرامج الصندوق والبنك هذه اثار سلبية على الاقتصاد مثل زيادة البطالة، والفقر، وتدهور توزيع الدخل، وبناء على ذلك ، فعلى الرغم من ان اتجاه البناء المؤسسي للنظام الاقتصادي في دول العالم نحو تطبيق اقتصاد السوق سيسرع من العولمة، الا ان ثمار هذه العملية لم ولن توزع بالتساوي فيما بين الدول المتقدمة والدول النامية. فالجوة الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة الموجودة بين المجموعتين من الدول متوقع ان تكون اكبر مستقبلا.

٣. الامن الاقتصادي العربي:

لايوجد تعريف محدد وصريح عن الامن الاقتصادي في الادبيات الاقتصادية، فما هو شائع في هذه الادبيات التعريفات الخاصة بالامن الغذائي والامن العسكري، ولا شك ان الامن الغذائي جزء اساسي من الامن الاقتصادي، بل هو قلب هذا المفهوم، ولكن في نفس الوقت ليس مرادفا له. فالامن الاقتصادي اكثر شمولا للامن الغذائي بحيث يشمل ضمان الحصول على السلع والخدمات الاخرى التي يحتاجها الانسان بالاضافة الى الغذاء. فالامن الاقتصادي يقع في تعريفنا. فيما بين الامن الغذائي والامن الانساني حيث يشمل الاخير بالاضافة الى الحصول على الاحتياجات الاساسية المادية من غذاء، وكساء، ومأوى، وتعليم...الخ ، حق التمتع بالديمقراطية وحرية المشاركة السياسية والاجتماعية بدون قيود[12].

---

[11] يذهب كروجمان (Krugman) الى ان صافي تدفقات الاستثمارات منذ ١٩٩٠ خفضت رصيد الدول المتقدمة من رأس المال بمقدار نصف في المائة فقد (٥٠%) مذكور في (١١٧: ١٩٩٨ Hirst& Thompson).

[12] لمزيد من التفصيلات عن مفهوم الامن الانساني ، انظر (١٩٩٩ Thomas & Wilhiin).

وبما ان الامن الغذائي اكثر الاركان اهمية في الامن الاقتصادي، ولكنه ليس مرادفا له كما ذكرنا اعلاه، فسنعتمد على التعريف المتوارد عن الامن الغذائي لتطبيقه على تعريفنا للامن الاقتصادي للدول العربية الذي سنتبعه في هذه الدراسة، ويعرف الامن الغذائي على انه القدرة على حصول دولة ما على السلع الغذائية التي تفي بأحتياجات سكانها، سواء كانت هذه السلع تنتج بالداخل او الخارج، وهذا يعني ضمنيا انه في حالة عدم كفاية الانتاج الداخلي لسد احتياجات الافراد– او عدم وجود الانتاج الداخلي اصلا من السلع الغذائية المطلوبة– فأن الدولة المعنية يجب ان تكون قادرة على كسب موارد كافية من النقد الاجنبي يمكنها من استيراد هذه السلع بالقدر المطلوب، وان يكون هناك ايضا دولا اخرى لديها فائض من هذه السلع في تصديره في الوقت الذي تحتاجه الدول المعنية وبالكمية التي تحتاجها. فالامن الغذائي لايعني الاكتفاء الذاتي. فهناك دولا مثلا لاتنتج كل احتياجاتها من الغذاء ولكن عائد صادراتها يسمح بأستيراد احتياجاتها من الغذاء، مثل اليابان، وهناك دولا اخرى تنتج كفايتها من الغذاء، ولكن مع ذلك لايتوفر لكل سكانها احتياجاتهم منه حيث تصدر جزءا كبيرا من انتاجها بحيث المتبقي لايفي احتياجات سكانها (مثل البرازيل) ففي هذه الحالة نجد ان الامن الغذائي يتحقق في اليابان، رغم قلة انتاجها من الغذاء بالمقارنة لاحتياجاتها ، بينما لايتحقق في البرازيل بالرغم من كفاية انتاجها لاحتياجات سكانها (Hollist & Tullis ١٩٨٧ ، Ruppel & Kellogg ١٩٩١).

والامن الاقتصادي، في تصورنا، يشمل بعدين : البعد الاول هو توسيع مفهوم الامن الاقتصادي ليشمل توفير الاحتياجات الاخرى الاساسية بالاضافة للغذاء، وذلك على المستوى القومي. والبعد الثاني هو امكانية توفير الفرد لهذه الاحتياجات الاساسية له ولاسرته، فالاسرة جزء من المجتمع ككل. وبالتالي تحقيق الامن الاقتصادي على المستوى القومي يتطلب تحقيق الامن الاقتصادي على مستوى الاسرة، وبناء على ذلك فأن البعد الاول للامن الاقتصادي العربي يعني ان تستطيع دول المنطقة العربية ان تحصل على احتياجاتها من السلع الغذائية والصناعية بالكميات التي تريدها وفي الاوقات التي تطلبها فيها. وهذا يتوقف على انتاجها المحلي من هذه السلع، بالاضافة الى قدرتها على كسب النقد الاجنبي اللازم لاستيراد ماتحتاجه منها لسد الفجوة بين الانتاج المحلي لهذه السلع والطلب عليها. والمصدرين الاساسيين لكسب النقد الاجنبي في الدول العربية وغيرها من الدول، هما الصادرات السلعية وجذب رأس المال الاجنبي، وسنركز في دراستنا هنا على هذا الجزء من رأس المال الاجنبي الذي يتمثل في الاستثمارات الاجنبية المباشرة (FDI). يرجع ذلك لاعتبارين: اولا :رأس المال الاجنبي قصير الاجل يتجه الى البورصات لتحقيق الربح السريع، وهو بذلك يعتبر عنصر غير امن بالنسبة للدول النامية حيث يثير القلقة الاقتصادية التي تتعارض مع مفهوم الامن الاقتصادي. ثانيا:الاستثمارات الاجنبية المباشرة هي التي تؤدي الى زيادة الانتاج المحلي (بما قد يتضمنه ذلك من زيادة التصدير ايضا). وزيادة فرص العمل المتاحة مما يزيد بالتالي من الامن الاقتصادي للدول المعنية.

اما البعد الثاني للامن الاقتصادي فهو الطلب على العمالة، فزيادة الطلي على العمالة يعني توفير مزيد من فرص العمل للافراد القادرين والراغبين في العمل فالحصول على عمل

يعني حصول الفرد على دخل يحقق له الامن الاقتصادي له ولاسرته، وهو مايعتبر جزء اساسي من الامن الاقتصادي للمجتمع ككل .

وبناء عليه سنتعرض في هذه الدراسة للاثر المتوقع للعولمة على بعدي الامن الاقتصادي والعربي: الانتاج والصادرات، والطلب على العمالة.

٤. محددات الامن الاقتصادي العربي: الخصائص الاقتصادية للدول العربية:

التركيب القطاعي للدول العربية ومدى وفرة الموارد الاقتصادي بها من محددات الامن الاقتصادي بها. فالدول العربية ليست متجانسة في هياكلها الاقتصادية، او في عناصر الانتاج، او في حجمها، مما له انعكاساته على الامن الاقتصادي العربي. فمثلا هناك دول عربية لاتنتج مايكفيها من غذاء ولكن لديها امكانيات كسب مايكفي من العملات الاجنبية يمكنها من استيراد احتياجاتها من الغذاء وغيره مثل الدول الخليجية، بينما هناك دول عربية اخرى تنتج قدرا من احتياجاتها الغذائية ولكن ليس لديها امكانيات كسب عملات اجنبية تمكنها من سد الفجوة الغذائية بها واستيراد احتياجاتها من السلع الاخرى(مثل السودان واليمن)لذلك لابد من التعرف، اولا على خصائص الدول العربية التي لها انعكاسات اساسية على الامن الاقتصادي بها.وهذا يتطلب تقسيم الدول العربية الى مجموعات متجانسة بناء على مؤشرات مختارة.

وهناك نوعان من التقسيمات تتبعها المنظمات التي تعمل بالمنطقة العربية، التقسيم الاول تستخدمه اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا (الاسكوا) التي تقسم الدول العربية الى مجموعتين: المجموعة الاولى تشمل دول التعاون الخليجي وتضم البحرين ،الكويت، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية والامارات، والمجموعة الثانية تشمل الدول العربية الاخرى، اما التقسيم الثاني فيستخدم في التقرير الاقتصادي العربي الموحد الذي تصدره الامانة العامة لجامعة الدول العربية، الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي، صندوق النقد العربي، ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول، ويشمل هذا التقسيم مجموعتين : المجموعة الاولى تضم المصدرين الاساسيين للبترول في المنطقة العربية، وتشمل دول مجلس التعاون الخليجي، والجزائر والعراق، والجماهيرية الليبية، اما المجموعة الثانية فتشمل بقية الدول العربية.

وسوف نستخدم في دراستنا هذه التقسيم الثاني لان الدول الاساسية المصدرة للبترول وسنشير لها اختصارا بالدول البترولية، لها خصائص معينة تنعكس على الامن الاقتصادي بها، فمثلا ارتفاع متوسط دخل الفرد، والاعتماد الكبير اقتصاديا على سلعة واحدة (البترول) وانخفاض تنوع اقتصادياتها، وصغر حجم السكان في معظمها، كل ذلك يجعل الامن الاقتصادي بها من حيث وضعه الحالي ودرجة تأثره بالعولمة يختلف عن المجموعة الاخرى من الدول العربية التي لديها اقتصاديات اكثر تنوعا.

هناك عدد من الاختلافات الاساسية في خصائص الدول العربية في المجموعتين تتلخص في التالي:

من خصائص المجموعة (١) وعلى الاخص دول مجلس التعاون الخليجي، صغير حجم السكان مع كبر حجم الناتج المحلي الاجمالي، بينما العكس هو الصحيح بالنسبة للمجموعة (٢) في الدول ذات الاقتصاديات الاكثر تنوعا، فمن جدولي (١) و(٢) نجد ان المجموعة الاولى من الدول لديها مجتمعة ٣٢,٧% من السكان و٦٦,٢% من الناتج المحلي الاجمالي للمنطقة العربية ككل في عام ١٩٩٨، ودول مجلس التعاون الخليجي كمجموعة داخل المجموعة (١)، لديها ١٠,٩ من سكان المنطقة العربية وتحصل على ٣٩,٢% من

اجمالي الدخل المحلي للمنطقة. وتحقق المملكة العربية السعودية اعلى دخل محلي فيما بين الدول العربية (٢١ من اجمالي الدخل المحلي للمنطقة). اما المجموعة (٢) فلديها ٦٧,٣% من السكان وتحقق ٣٣,٨% من الدخل المحلي في المنطقة العربية، وينعكس ذلك على متوسط دخل الفرد المرتفع كثيرا في دول المجموعة (١) بالمقارنة بمتوسط دخل الفرد في المجموعة (٢).

فكما نرى في جدول(١) عدد السكان في الدول النفطية في ١٩٩٨، بأستثناء السعودية، اقل من ٣ مليون نسمة، بينما عدد السكان في المملكة العربية السعودية ٢٠ مليون نسمة، وبالنسبة للدول النفطية غير الخليجية في المجموعة (١) نجد ان الجزائر لديها اكبر عدد من السكان، حيث يبلغون ٣٠ مليون نسمة، اما في المجموعة (٢) فعدد السكان في ١٩٩٨ في نصف دول المجموعة (لبنان، تونس، الاردن، جيبوتي، وسوريا) يقلون عن ١٠ ملبون نسمة. بينما يقل عدد السكان عن ٢٠ مليون نسمة في دولتين (سوريا واليمن) ويبلغون حوالي ٣٠ مليون نسمة في المغرب والسودان، وحوالي ٦١ مليون نسمة في مصر، واكبر معدل لنمو السكان سنويا في المنطقة العربية نجده في الدول الخليجية في المجموعة (١) حيث يبلغ ٢,٩% بالمقارنة بـ ٢٥% في المجموعة (٢) و٢,٠% في الدول النفطية غير الخليجية في المجموعة (١) وبمقارنة متوسط معدل نمو السكان في المنطقة العربية بالدول الاخرى في العالم، نجد ان خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٨ كان اكبر من متوسط معدل النمو السنوي للسكان في مجموعة الدول منخفضة الدخل (٢%) ومجموعة الدول متوسطة الدخل (١,٥%) ومجموعة الدول مرتفعة الدخل (٠,٧%) (Table ٣، World Bank ٢٠٠٠ a).

واحد نتائج معدل النمو المرتفع للسكان في المنطقة العربية هو انخفاض نسبة القوى العاملة الى السكان، وتبلغ متوسط هذه النسبة في ١٩٩٨ (والتي تعرف ايضا بنسبة المشاركة) حوالي ٣٧% في الدول الخليجية في المجموعة (١) وفي دول المجموعة (٢)، ٣١% في الدول النفطية غير الخليجية في المجموعة (١) (جدول رقم(١)) هذه النسبة تقل كثيرا عن النسبة المماثلة في الدول منخفضة الدخل، ومتوسطة الدخل، ومرتفعة الدخل، حيث تبلغ هذه النسبة في عام ١٩٩٨، ٥٠%، و٤٤%و ٤٨,٦% في الثلاث مجموعات على التوالي (حسبت من: Table ٣، World Bank ٢٠٠٠a).

هذه النسبة المنخفضة للمشاركة في قوة العمل في المنطقة العربية ادت الى ارتفاع نسبة الاعالة (Support Burden Ratio) في المنطقة[١٣]. وتبلغ هذه النسبة ٣و٤ في كل الدول العربية، بأستثناء الصومال والامارات، وذلك بالمقارنة بـ٢ في الدول المتقدمة (مثل فرنسا، المانيا، الولايات المتحدة الامريكية)، وفي الدول المصنعة حديثا مثل (هونج كونج، وسنغافورة) (Korayem ١٩٩٨) وهذا يعني ان كل فرد عامل في الدول العربية يعول من ٣-٤ افراد في المتوسط، بينما كل فرد عامل في الدول المتقدمة والدول المصنعة حديثا-حيث الدخل ايضا مرتفع- يعول في المتوسط فردين فقط.

---

[١٣] هذه النسبة تساوي عدد العاملين/ عدد السكان.

ومن النتائج الاخرى لارتفاع معدل نمو السكان، ارتفاع نسبة صغار السن من السكان (تحت ١٥ عاما) بناء على بيانات البنك الدولي، تبلاغ نسبة السكان اقل من ١٥ عام الى اجمالي السكان في ١٩٩٨ في معظم منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا، وهي ممثل جيد للمنطقة العربية[١٤]. ٤٢,١% بالمقارنة الى ٣٨,٧% في الدول منخفضة الدخل، ٣٦,٥% في مجموعة الدول متوسطة الدخل و ٣٣,١% في مجموعة الدول مرتفعة الدخل[١٥]. وارتفاع نسبة صغار السن من السكان في الدول العربية يعني ارتفاع معدل الزيادة في عرض العمالة في الاجيال القادمة، هذا معناه توقع ارتفاع معدل البطالة في المنطقة العربية، خاصة ان احد اثار العولمة على الدول العربية-بأعتبارها جزء من دول العالم الثالث- هو انخفاض الطلب على العمالة (Abdl-Khalek & Korayem ٢٠٠٢) وارتفاع البطالة، يتعارض مع الامن الاقتصادي حيث يحرم الفرد العاطل من الحصول على دخل يمكنه من شراء السلع الاساسية له ولاسرته مما يعني عدم تحقيق الامن الاقتصادي للاسرة، وهو ماينعكس على الامن الاقتصادي للدولة اذا ما اتسع نطاق البطالة.

ومن الخصائص الهامة المتعلقة بالامن الاقتصادي، هيكل الانتاج في الدول العربية، وهو يختلف فيما بين مجموعتي الدول اختلافات اساسية، ويشير جدول (٢) الى انه في ١٩٩٨، تمثل الصناعات الاستخراجية- وهي اساسها البترول- حوالي ١/٤ او اكثر من الناتج المحلي الاجمالي في دول مجلس التعاون الخليجي، بأستثناء الامارات والبحرين حيث يبلغ نصيب هذه الصناعات في الناتج المحلي الاجمالي ٢٢% و١٣,٥% على التوالي، وتبلغ نسبة الصناعات الاستخراجية الى الناتج المحلي الاجمالي في الدول غير الخليجية في المجموعة (١)- ومع استثناء العراق يقع حاليا تحت الحصار-١٦% في ليبيا و٢٣% في الجزائر، وتقوم الصناعات التحويلية في دول البترول الرئيسية على انتاج السلع البترولية مثل البتروكيمياويات ومنتجات البترول الاخرى (انظر قطاع الصناعات التحويلية في دول مجلس التعاون الخليجي في : المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ١٩٩٤)، والهيكل الانتاجي اكثر تنوعا في البحرين، والجزائر، والعراق بالمقارنة ببقية الدول في المجموعة (١) وفلي كل دول مجلس التعاون الخليجي،بأستثناء المملكة العربية السعودية، نجد ان القطاع الزراعي يلعب دورا هامشيا في الانتاج، فنسبة القطاع الزراعي الى الناتج المحلي الاجمالي تبلغ ٣,٤% او اقل في هذه الدول. بينما في المملكة العربية السعودية وليبيا تبلغ نسبة الزراعة الى الناتج المحلي حوالي ٧% وترتفع هذه النسبة الى ١١% في الجزائر ٣٣% في العراق.

[١٤] تعتبر منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ممثل جيد للمنطقة العربية لان اغلب الدول بها هي دولا عربية، فالدول غير العربية المتضمنة في هذه المجموعة هي ايران واسرائيل ومالطة، ولكن في نفس الوقت، لاتشمل هذه المنطقة الدول العربية التي تقع في افريقيا جنوب الصحراء وهي حسب تقسيمات البنك الدولي، جيبوتي، موريتانيا، الصومال، السودان.

[١٥] حسبت من : World Bank (٢٠٠٠ a) Table ٣ على انها تساوي (١-السكان تحت سن ١٥ عام/ اجمالي السكان) × ١٠٠.

اما دول المجموعة (٢) فلديها هيكل انتاجي اكثر تنوعا (انظر جدول(٢)) فبأستثناء جيبوتي والاردن، نسبة الزراعة الى الناتج المحلي الاجمالي تتراواح بين ٨% في لبنان و٤٩% في السودان، وتتراوح نسبة الصناعات التحويلية الى الناتج المحلي الاجمالي من اقل من ٤% في جيبوتي الى ١٨% في تونس، اما النصيب النسبي للصناعات الاستخراجية فيتراوح بين ١١%-١٩% من الناتج المحلي الاجمالي في ثلاث دول (موريتانيا ، سوريا، اليمن)، و٦% في مصر، و٤ % واقل في بقية دول المجموعة (٢).

وبالنظر الى ميزان المدفوعات والميزان التجاري في الدول العربية، وهو ما يعبر عن امكانيات كسب العملات الاجنبية في المنطقة العربية، يتضح التالي (جدول ٣): في عام ١٩٩٨، كانت كل الدول في المجموعة (١) بأستثناء عمان، لديها فائض في الميزان التجاري. وتبلغ نسبة هذا الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي ٣% واقل في اربع دول (قطر، البحرين، ليبيا، الجزائر)، ٧%-٩% في الامارات العربية المتحدة، الكويت، والمملكة العربية السعودية، اما في عمان فيوجد عجز في الميزان التجاري يبلغ ٢,٢% من الناتج المحلي الاجمالي، وفي المجموعة (٢)، كل الدول لديها عجز في الميزان التجاري. بأستثناء موريتانيا، وتبلغ نسبة العجز في الميزان التجاري الى الناتج المحلي ٩% واكثر في كل دول المجموعة بأستثناء سوريا، وتصل النسبة الى ٢٢% في الاردن و٣٦% في لبنان، اما ميزان المدفوعات فهو يعاني من عجز في المجموعتين من الدول في ١٩٩٨، بأستثناء الامارات والكويت في المجموعة (١) والاردن وسوريا وموريتانيا في المجموعة (٢)، ويلاحظ ان العجز في ميزان المدفوعات يزيد بدرجة يعتد بها في دول مجلس التعاون الخليجي بالمقارنة ببقية الدول في المجموعة (١) وكل دول المجموعة (٢)، بأستثناء لبنان والسودان، فهو يبلغ ١٠% واكثر من الناتج المحلي الاجمالي في دول مجلس التعاون الخليجي بالمقارنة بـ٥% واقل في الدول العربية الاخرى.

٥. اثار العولمة على الامن الاقتصادي العربي:

العولمة لها اثار ايجابية وسلبية متوقعة على بعدي الامن الاقتصادي العربي: الانتاج والصادرات، والطلب على العمالة، وهناك تداخل بين البعدين، فزيادة الانتاج يؤدي الى زيادة الطلب على العمالة، ولكن تأثير العولمة على كل منهما لايتم بنفس الاليات وخلال نفس القنوات في كل الحالات كما سنرى لدناه.

اولا: الاثر على الانتاج والصادرات:

تحرير التجارة الدولية، وهي احد ابعاد العولمة كما رأينا اعلاه، لها اثار متوقعة، سلبية وايجابية، على الدول العربية كمنتج ومصدر للسلع الصناعية والزراعية، مع الاخذ في الاعتبار ان الدول العربية صافي مستورد للنوعين من السلع. وتحرير التجارة يضع الدول العربية تحت ضغوط تنافسية قوية بالنسبة للسلع الصناعية نتيجة لفتح الاسواق المحلية امام السلع الاجنبية، ويأتي قطاع الصناعة في المرتبة الثانية بعد الزراعة من حيث مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي في المنطقة العربية، اذا ما استثنينا قطاع الصناعات الاستخراجية (البترول اساسا) في دول المجموعة (١) ففي اربع دول في المجموعة (١) وخمس دول في المجموعة (٢) تبلغ مساهمته في الناتج المحلس الاجمالي ١٠% واكثر، وتصل الى ١٨% في

تونس (جدول ٢) واهم الصناعات في الدول العربية هي صناعة الكيمياويات (بما فيها تكرير البترول) الصناعات الغذائية، الاقمشة والملابس الجاهزة، والالات ومعدات النقل، وتتفاوت الاهمية النسبية لهذه الصناعات بين دولة واخرى في المنطقة العربية . مثلا الصناعات الغذائية تمثل ٤١% من القيمة المضافة للصناعات التحويلية في موريتانيا، ٣١% في المغرب، ومن ٢٥-٢٧% في لبنان، والعراق وسوريا ، بينما تساهم صناعة الاقمشة والملابس الجاهزة بنسبة كبيرة في القيمة المضافة لقطاع الصناعات التحويلية في تونس (٣٦%) ، سوريا (٣١%) ومصر (٢٣%) (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جدول ملحق ٥/٤).

وتخفيض التعريفة الجمركية في ظل تحرير التجارة يهدد انتاج السلع الصناعية في غالبية الدول النامية، بما فيهم الدول العربية، فعدم قدرة الصناعات المحلية على منافسة المنتجات الاجنبية، سواء في السوق الداخلي او الاسواق الخارجية، يتوقع ان يؤدي الى اغلاق واندثار كثير من هذه الصناعات التحويلية، والنتيجة هي خفض الانتاج المحلي من هذه السلع، وما يترتب على ذلك من خفض للصادرات وزيادة للواردات منها.

وبالاضافة الى تحرير التجارة في ظل العولمة، سيتأثر قطاع الصناعات التحويلية بالمنطقة العربية بأتفاقيات التجارة الحرة التي عقدت بين عدد من الدول العربية (تونس، المغرب، الاردن، والسلطة الفلسطينية) وبين الاتحاد الاوروبي[١٦]، واتفاقية منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى التي عقدت فيما بين الدول العربية في ١٩٩٧/٢/١٧ ووقع عليها ١٤ دولة عربية[١٧]. ويتوقع انضمام السودان واليمن الى الاتفاقية في وقت مقبل من عام ٢٠٠٢ (المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ٢٠٠١) وبناء عليه فأن التوسع في قطاع الصناعات التحويلية في الدول العربية في ظل العولمة يتوقف الى حد كبير على التعاون على المستوى الاقليمي لتنمية هذا القطاع والارتفاع بكفاءته حتى يمكن ان يقابل المنافسة الخارجية المتوقعة نتيجة لتخفيض الرسوم الكمركية وفتح الحدود فيما بين الدول وبعضها في ظل العولمة، وجدير بالذكر ان نظام الجات المطبق من منظمة التجارة العالمية لايمنع كلية التدخل الحكومي لتعضيد الصناعة، وبالرغم من ان هذا النظام يمنع دعم الصادرات الا ان كثيرا من الاجراءات التي تستخدم لحماية الصناعة الوليدة ولتنويع الصناعات مازال مسموح به (٢٠٠٠ Amsden).

اما الاثار الايجابية المتوقعة للعولمة فتتمثل في انخفاض اسعار السلع الصناعية بالنسبة للمستهلك في الدول العربية، وقد يذهب البعض الى انه اذا كانت الدول العربية مستوردا صافيا للسلع الصناعية، فأن الاثر الايجابي قد يعوض الاثر السلبي في هذا الصدد. ولكن

---

[١٦] الاتفاقية مع مصر في المراحل الاخيرة للتصديق عليها، بينما الاتفاقيات مع الجزائر ولبنان وسوريا في مرحلة التفاوض.

[١٧] هذه الدول هي الاردن، الامارات، البحرين، تونس، المملكة العربية السعودية، سوريا، العراق، عمان، قطر، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، (المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، ٢٠٠١، ص٤٠).

المسألة ليست بهذه البساطة اذ يجب ان نأخذ في اعتبارنا اثر المضاعف الناتج عن اغلاق المصانع والاستغناء عن العمال على الاقتصاد القومي ككل، وهو ما يحتاج الى دراسة مستقلة.

وبالنسبة للسلع الزراعية، فأحد نتائج تطبيق اتفاقية الجات ١٩٩٤ هو تخفيض الدعم عليها مما سيؤدي الى رفع اسعارها في الاسواق الدولية (ويشمل ذلك اسعار القمح والسكر، وزيت الطعام، ومنتجات الالبان) ويعني ذلك ان الدول التي تعتبر مستوردا صافيا للمواد الغذائية، وهي تشمل كل الدول العربية بدرجات متفاوتة، ستحقق خسارة تتمثل في رفع فاتورة استيراد الغذاء من الخارج، ففي النصف الثاني من التسعينات نجد ان الفجوة الغذائية العربية لاهم السلع الغذائية الرئيسية تمثل حوالي ثلثين صافي الواردات الزراعية للدول العربية، فهي تبلغ ٦٦% و٦٢% من صافي الواردات الزراعية للمنطقة العربية في عامي ١٩٩٥و١٩٩٩ على التوالي[١٨].

ولكن في نفس الوقت، فأن رفع الاسعار العالمية للسلع الزراعية مفروض ان يكون دافعا للمنتجين المحليين في المنطقة العربية لزيادة انتاجهم وزيادة ارباحها اذا ما اتبعت السياسات المناسبة، مما يترتب عليه تحقيق مكاسب في الدول العربية المنتجة للسلع الزراعية، يضاف الى ذلك ان فتح الاسواق امام السلع الزراعية قد يشجع زيادة انتاج وتصدير هذه السلع، خاصة الى اوروبا التي تقترب موقعا من عدد من الدول العربية المنتجة والمصدرة للسلع الزراعية (مثل المغرب، تونس، الاردن، السودان، مصر).

بصفة عامة، فأن تحرير التجارة، وما تتضمنه من تخفيض للتعريفة الجمركية والغاء القيود التجارية، تساعد على اتساع الاسواق، وهذا يزيد من الانتاج، ويزيد بالتالي من فرص العمالة في الدول المنتجة، ولكن هذه المزايا المفترضة من تحرير التجارة بالنسبة للانتاج والعمالة لن يحقق بنفس النسبة في كل الدول المنتجة. فنصيب الاسد من هذه المنافع ستحصل عليه الدول المنتجة للسلع الصناعية، بينما يذهب الجزء الاصغر الى الدول المنتجة للسلع الزراعية، ويرجع ذلك الى ان اتفاقية الزراعة في الجات ١٩٩٤ لاتحرر التجارة في السلع الزراعية بنفس درجة تحرير التجارة في السلع الصناعية، حتى بعد التنفيذ للاتفاقية[١٩] فبناء على اتفاقية الزراعة هذه، ستنخفض كل التعريفات الجمركية بمتوسط ٣٦% (بحد ادنى ١٥% بالنسبة لاي سلع زراعية) بالنسبة الى التعريفة الجمركية في فترة الاساس ١٩٨٦-١٩٨٨. وبالنسبة للسلع الزراعية التي تحصل على دعم تصدير، سينخفض الدعم بمقدار ٣٦%،

---

[١٨] حسبت من جدولي ملحق ٩/٣ و٦/٣ في : الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سبتمبر ٢٠٠١.

[١٩] التنفيذ الكامل للاتفاقية التي بدأ في تنفيذها في ١٩٩٥، هو ٢٠٠١ بالنسبة للدول المتقدمة و٢٠٠٥ بالنسبة للدول النامية (Tanner & Swinbank ١٩٩٨) .

وحجم الصادرات المدعمة بمقدار ٢١% بالمقارنة الى فترة الاساس ١٩٨٦-١٩٩٠[20] (Swinbank ١٩٩٨ :Safadi & Laird ١٩٩٦ Tanner).

وكما هو الوضع في دول العالم الثالث، فأن الدول العربية، خاصة دول المجموعة (٢) تعتبرمنتجة للسلع الزراعية اساسا، فنسبة الناتج الزراعي الى اجمالي الناتج المحلي الاجمالي يبلغ ١٢% واكثر من سبع دول عربية في المجموعة(٢)، والعراق في المجموعة (١)، ويصل الى ٢٩% من الناتج المحلي الاجمالي في سوريا و٤٩% في السودان (جدول ٢). ولذلك فانه من المتوقع ان يكون تأثير تحرير التجارة على الانتاج في الدول العربية، وهي غالبية الدول النامية كذلك، اقل من تأثيرها على الدول المتقدمة التي يتمثل انتاجها الاساسي في السلع الصناعية.

وتحرير التدفقات المالية، وهو احد ابعاد العولمة، يؤثر على الامن الاقتصادي للدول العربية من خلال ماتؤدي اليه تدفق الاستثمارات الاجنبية الى هذه الدول من زيادة في الانتاج وما قد يؤدي اليه ذلك ايضا من زيادة الصادرات والحصول على مزيد من النقد الاجنبي، اما اثر تحرير رأس المال قصير الاجل على اقتصاديات الدول العربية والدول النامية بصفة عامة، فهو ليس بالضرورة اثرا ايجابيا لان الاسواق المالية في هذه الدول اسواق ناشئة، وبالتالي فأن الاثر السلبي لتدفق هذه الاسعار في هذه الاسواق قد يفوق في احيانم كثيرة الاثار الايجابية لها. فالجزء المهم من تحرير النفقات المالية بالنسبة للدول النامية عموما بما فيها الدول العربية، هي الاستثمارات المباشرة. فأذا نظرنا الى تدفق هذه الاستثمارات في الدول العربية نتيجة العولمة، نجد انها محدودة للغاية. فالاستثمارات الاجنبية الخاصة المباشرة الى الدول العربية تبلغ حوالي ٠,٥% من الناتج المحلي خلال الفترة ١٩٨٤-١٩٩٤. والجزء الاكبر من هذه الاستثمارات كان في قطاع الطاقة (El-Erian & Sheybani ١٩٩٨) وفي عام ١٩٩٧، بلغ صافي تدفقات رأس المال الخاص الاجنبي الى المنطقة العربية ٤,٣ بليون دولار موزعين كالاتي: ٢,٤ بليون دولار استثمارات مباشرة ، ٢,١ بليون دولار استثمارات في المحافظ المالية و- ٠,٢٤ بليون دولار صافي تدفقات الدين الخارجي. واذا قارنا وضع الدول العربية بالدول النامية كمجموعة، نجد ان في ١٩٩٧ مثلا اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الاجنبي، شاملا الاستثمار في المحافظ المالية، الى اكبر ست دول عربية متلقية لرأس

---

[20] يرى البعض ان القدر الفعلي لتحرير تجارة السلع الزراعية الناتجة عن تحقيق التعريفة الجمركية في الدول المتقدمة عن التنفيذ الكامل للاتفاقية سيكون اقل كثيرا مما تقول به الارقام، واحد الانسحاب لذلك هو ان التعريفات الجمركية في فترة الاساس ١٩٨٦-١٩٨٨ كانت اعلى نسبيا من مستواها المعتاد في السنوات الطبيعية حيث كانت اسعار السلع الزراعية منخفضة بدرجة ملحوظة في فترة الاساس مما ادى بالدول المتقدمة الى رفع التعريفة الجمركية لها لحماية انتاجها. وبناء على ذلك فأن تخفيض التعريفة الجمركية على هذه السلع بمقدار ٣٦% سيؤدي الى سيادة معدل تعريفة اعلة من المفروض ان يكون عليه اذا ما كانت الاسعار السائدة في فترة الاساس في الاسعار المعتادة (Tanner & Swinbank ،١٩٩٨).

المال الاجنبي كان اقل من ١,٥% مما حصلت عليه الدول النامية كمجموعة (Table ٧: Abdel – Khalek & Korayem ٢٠٠٢).

ومن ناحية اخرى نجد ان المنطقة العربية تعتبر صافي مصدر للاستثمارات الاجمالية (عام وخاص) بالرغم من عدم وجود بيانات دقيقة عن تدفق الاستثمارات العربية الى الخارج. وتذهب احدى التقديرات الى ان رصيد الاستثمارات العربية خارج المنطقة زادت من ٤٠٠ بليون دولار في ١٩٩٠ الى ٧٥٠ بليون دولار في ١٩٩٥ (Kharioush & El ٢٠٠٠ Hammoury) معنى ذلك ان صافي تدفق الاستثمارات خارج المنطقة العربية يبلغ حوالي ٥٠ بليون دولار في السنة خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٥. وتذهب غالبية الاستثمارات العربية الى اوربا، واليابان، والولايات المتحدة الامريكية. واغلب هذه الاموال توضع كأيداعات في البنوك او في شراء اذون خزانة حكومية. ويذهب جزء هامشي من هذه الاستثمارات العربية الى الدول العربية، اذ تتراوح هذه الاموال فيما بين ١,٥-٢,٠ بليون دولار سنويا (٢٠٠٠ Khariosh & EI- Hammoury).

واذا ما نظرنا الى اثر التحرير المالي على الامن الاقتصادي العربي، لابد من ان نميز بين التدفقات التي تأتي في شكل استثمارات مباشرة وتلك التي تأتي في شكل استثمارات في المحافظ المالية. فبينما تؤدي النوع الاول من التدفقات الى زيادة الانتاج وفرص العمل. وايضا زيادة الصادرات في حالات عديدة، يحمل النوع الثاني من التدفقات كثير من المخاطر على اقتصاديات الدول العربية. فهذا النوع الاخير يتميز بسرعة دخوله الى البلاد وخروجه منها بحثا وراء الربح السريع. وهو بالتالي يعرض الدول المعنية الى ازمات اقتصادية نتيجة لما يحدثه من اضطرابات في الاسواق المالية.

وبالنظر الى توزيع تدفقات رأس المال الخارجي الاجنبي الى المنطقة العربية فيما بين هذين النوعين. نجد ان الاستثمارات في محافظ الاوراق المالية، وهو ما تلقب ايضا برأس المال قصير الاجل، تمثل ٤٩% من اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الى المنطقة العربية و٨٦% من الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى هذه المنطقة، هذا النمط التوزيعي لرأس المال الاجنبي في المنطقة العربية اكثر سواءا من النمط التوزيعي لرأس المال الاجنبي في الدول النامية كمجموعة، حيث يبلغ رأس المال قصير الاجل ١٠% فقط من اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الى هذه الدول، ويمثل ١,٩% فقط من تدفقات الاستثمارات الاجنبية المباشرة اليها. ورغم ارتفاع نسبة رأس المال قصير الاجل الى اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الاجنبي في المنطقة العربية، نجد ان هذه النسبة اكثر ارتفاعا في بعض الدول العربية، فمثلا في مصر، نجد ان الاستثمارات الاجنبية في المحافظ المالية تبلغ ٧٠% من اجمالي تدفقات رأس المال الاجنبي الى مصر، واكثر من ضعفي الاستثمارات الاجنبية المباشرة اليها (Abdl- Khalek & Korayem ٢٠٠٢ :Table٧).

كما هو مذكور اعلاه ، اغلب الاستثمارات الاجنبية المباشرة موجهة الى الدول المتقدمة (الولايات المتحدة، اوروبا، واليابان) يضاف الى ذلك ان نسبة صغيرة للغاية من نصيب الدول النامية من الاستثمارات الاجنبية المباشرة، وهي اصلا صغيرة للغاية كما

وضحنا اعلاه– تذهب الى الدول العربية. فمن اجمالي ١٦٣٤٢٣ بليون دولار صافي تدفقات الاستثمار الاجنبي الى الدولي النامية في عام ١٩٩٧، ١,٥% فقط (٢٤٤٦ مليون دولار) موجهة الى ست دول عربية يمثلون اكبر المتلقين للاستثمارات الاجنبية المباشرة في المنطقة العربية[٢١] (Abdl- Khalek & Korayem ٢٠٠٢ :Table٧).وفي تقدير الانكتاد. صافي تدفقات الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى كل الدول العربية تبلغ حوالي ٢٨٧٤ مليون دولار في ١٩٩٧ (UNCTAD ١٩٩٨ :Annex Table #١) أي تبلغ حوالي ١,٨% فقط من اجمالي الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى الدول النامية. ومعنى ذلك ان تأثير تحرير التدفقات المالية على زيادة الانتاج والصادرات في الدول العربية، وهما احدى بعدي الامن الاقتصادي العربي، محدود للغاية.

اما على مستوى الدولة الواحدة، نجد ان اكبر ثلاث دول عربية متلقية للاستثمارات الاجنبية المباشرة في ١٩٩٧ هي المغرب (١٢٠٠ مليون دولار) ، مصر (٨٩١ مليون دولار)، وتونس (٣١٦ مليون دولار) (Abdel – El Khalek & ٢٠٠٢ :Table ٧ Korayem) فاذا ما قارنا حجم الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى اجمالي الاستثمارات في هذه الدول الثلاث لنعرف الاهمية النسبية للتدفقات المالية المباشرة على اقتصاديات هذه الدول، نجد انها تمثل ١٧,٤% من اجمالي الاستثمارات في المغرب، ٥,٨% في مصر، و٦,٢% في تونس[٢٢]. ويلاحظ انه في اليمن، وهي من الدول المنخفضة الدخل في المنطقة، هناك صافي تدفق للاستثمارات الاجنبية المباشرة الى الخارج يبلغ ١٣٨ مليون دولار في ١٩٩٧، وهو مايمثل ٨,٦% من اجمالي الاستثمارات بها (Abdel – El Khalek ٢٠٠٢ & Korayem) ونخلص من ذلك الى هامشية اثر التدفقات المالية المباشرة على زيادة الانتاج وصادرات الدول العربية.

وقد يقال ان امكانيات الدول العربية لجذب رأس المال الاجنبي وتحقيق معدلات نمو مرتفعة اكبر في المستقبل عندما يحدث تحرير اقتصادي ومالي اكبر في الاقتصاد الدولي، وتنضم كل الدول العربية الى اتفاقية الجات[٢٣]. ولكن حتى اذا حققت الدول العربية معدلات اقتصادية مرتفعة، ليس من المتوقع ان يتغير نمط توزيع الاستثمارات الاجنبية المباشرة لصالحها في الاجلين القصير والمتوسط. ففي الثمانينات واوائل التسعينات كان نمط توزيع

[٢١] هذه الدول هي : الجزائر، مصر، المغرب، عمان، سوريا، وتونس.

[٢٢] في ١٩٩٧، كانت اجمالي الاستثمارات ٦٩١٤ مليون دولار في المغرب ١٥٣٠٠ مليون دولار في مصر، و٥٠٧٥ مليون دولار في تونس (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، ملحق جدول (٦/٢).

[٢٣] هناك تسع دول عربية منضمة الى هذه الاتفاقية وهي مصر، تونس، المغرب، جيبوتي، موريتانيا، والكويت، البحرين، الامارات، وقطر، ولبنان، واليمن اعضاء بالفعل ولكن ليسوا اعضاء قانونيين (لم يتخذوا الاجراءات القانونية لانضمامهم بعد). والمملكة العربية السعودية والاردن، والسودان في مرحلة التفاوض (Zarrouk & Zallio ٢٠٠٠).

الاستثمارات الاجنبية المباشرة متحيز كثرا لصالح الدول المتقدمة بالرغم من الانجازات الاقتصادية الكبيرة التي حققتها الدول حديثة التصنيع في اسيا.

ثانيا: الاثر على العمالة:

تعاني الدول العربية حاليا من معدلات مرتفعة للبطالة. ففي بداية التسعينات كان معدل البطالة في مصر ١٤% وفي الاردن ١٨,٨%. وفي لبنان ١٥%-١٧%، وفي اليمن ١٢,٣% وفي دول مجلس التعاون الخليجي ١٤,٨% (الاسكوا، (أ) ١٩٩٧جدول ٣. II) . وبناء على تقديرات اخرى، بلغ معدل البطالة ٢٠% في الجزائر والاردن ولبنان وتونس، و١٥% في مصر والمغرب و٦٠% في قطاع غزة (الاسكوا (ب) ١٩٩٧، ص٧٣) وحديثا هناك دولا عربية لم تكن تعاني من البطالة قبلا مثل (دول مجلس التعاون الخليجي) وبدأت تعاني حاليا من هذه الظاهرة، وخلال العقد السابق، انتشرت البطالة على الاخص فيما بين خريجي الجامعات وحملة المؤهلات الاعلى (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، ص٢٣). فهل ستؤدي العولمة الى زيادة الطلب على العمالة في المنطقة العربية وما يترتب على ذلك من خفض لمعدل البطالة وبالتالي خفض لاعداد الذين لايستطيعون الحصول على دخول لمقابلة احتياجات اسرهم وتحقيق الامن الاقتصادي لهم، وهو جزء من الامن الاقتصادي القومي؟

تؤثر العولمة على العمالة في دولة ما من خلال ثلاث قنوات :الاثر على الاستثمار ، وعلى معدل النمو، وعلى الطلب عليها.

١. بالنسبة لاثر العولمة على الاستثمار، فأن هذا يتم من خلال تحرير التدفقات المالية وخاصة ذلك الجزء من التدفقات المالية الذي يوجه الى الاستثمارات، وهو مايسمى بالاستثمارات الاجنبية المباشرة. والاستثمارات الاجنبية المباشرة لها اثار مباشرة وغير مباشرة على الدول المتلقية لها (١٩٩٥، LAII) وتتوقف الاثار المباشرة للاستثمارات الاجنبية المباشرة على عدد من العوامل: (أ) حجم ونوع الاستثمارات. فأذا كانت هذه الاستثمارات تؤدي الى انشاء وحدات انتاجية جديدة، فأن هذا سيؤدي الى زيادة الانتاج والعمالة. اما اذا كانت هذه الاستثمارات توجه لشراء وحدات انتاجية قائمة بالفعل. فليس بالضرورة ان تؤدي في هذه الحالة الى أي زيادة في الانتاج او العمالة. (ب) نوع الفن الانتاجي (التكنولوجيا) المطبق. فبالرغم من ان الشركات عابرة القارات تطبق عادة احدث التكنولوجيات، وهي عادة كثيفة رأس المال، الا ان اثر الاستثمارات على الدولة المتلقية يتحدد بمدى قدرة هذه الدول على تطوير هذه التكنولوجيات المستوردة بما يتفق مع احتياجاتها. (جـ) هناك متغيرات اخرى لها اثار مباشرة على العمالة في الدول المتلقية، منها استراتيجية المستثمر الاجنبي في تطوير التكنولوجيا المستخدمة سواء في اتجاه زيادة استخدام رأس المال او العمالة، وتوجه المستثمر الى تصدير جزء من المنتج اولا، والاحوال الاقتصادية وظروف السوق في الدول المتلقية[٢٤].

---

[٢٤] لمزيد من التفصيلات عن الاثار المباشرة على العمالة ، انظر : ١٩٩٥ LaII.

والاستثمارات الاجنبية المباشرة لها ايضا اثار غير مباشرة على العمالة. من هذه الاثار مايمكن ان تؤدي اليه هذه الاستثمارات من زيادة الطلب على العمالة في المشروعات التي تتكامل راسيا مع مشروعات الشركات عابرة القارات، كذلك قد تؤثر هذه المشروعات الاجنبية الجديدة على احداث تقدم في الدولة المتلقية في مجالات العلوم والتكنولوجيا. والتعليم والتدريب، ويخلص لال الى ان اثر الاستثمارات الاجنبية المباشرة على العمالة اثر مركب، وان السياسات الاقتصاديات يمكن ان تلعب دورا هاما في توجيه الاستثمارات الاجنبية الى افضل الاستخدامات وتعظيم فوائدها في الدول المتلقية.

٢. وبالنسبة لاثر العولمة على النمو الاقتصادي في الدول النامية عموما وتأثيره على العمالة، هناك وجهتين نظر بهذا الخصوص- واحد متفاءلة، والاخرى متشائمة بالنسبة لوجهة النظر المتفاءلة، هناك اتجاهين. اتجاه منهما يتوقع نمواقتصادي سريع في جزء كبير من دول العالم الثالث، وعلى الاخص في شرق جنوب اسيا وامريكا اللاتينية (Hirst & Thompson ١٩٩٨) والاتجاه الاخر يرى ان كل الدول النامية ستستفيد من العولمة نتيجة للتقدم التكنولوجي وفتح الاسواق مما سيكون له اثارا ايجابية على العمالة. ولكن هذا الاتجاه الاخير يستثمى من ذلك التوقع ثلاث انواع من الدول: الدول التي ليس لها منافذ مائية، والدول ذات المناخ الاستوائي، والدول التي تعتبر منتجة رئيسية للموارد الطبيعية مثل البترول (Sachs ،١٩٩٨).

اما وجهة النظر المتشائمة فترى ان مرونة رأس المال وتحرير التجارة ستنقل الاستثمارات في الصناعات التحويلية من الدول الصناعية الى الدول النامية ذات الاجور المنخفضة. ولكن دون ان تستفيد من ذلك العمالة في الدول النامية لان حكومات هذه الدول وقوانين العمل المجحفة فيها ستبقى على الاجور عند مستوى منخفض.

ويذهب البعض ايضا الى ان النمو الاقتصادي في الدول النامية الذي يقوم على الاستثمارات الاجنبية المباشرة لن يكون نموا مستقرا حيث ان هذه الاستثمارات سريعة الانتقال مما يؤدي الى عدم استمرارية عملية التنمية وحدوث تفاوتات كبيرة داخل هذه الدول[٢٥] (Hirst & Thompson ، ١٩٩٨).

وبناء على هذه الاراء ، نجد ان عددا ليس صغيرا من الدول العربية يقع في مجموعة الدول التي لن تستفيد من العولمة بناء على الاتجاهين في وجهة النظر المتفائلة، فعدد من هذه الدول من المنتجين الاساسيت للموارد الطبيعية (البترول)، بالاضافة الى ان بعض منها تقع في مناخ قاسي يعوق النمو الاقتصادي بها. اما بالنسبة لوجهة النظر المتشائمة. فلن تكون للعولمة اثار ايجابية على النمو الاقتصادي في الدول النامية شاملة الدول العربية.

٣. بالنسبة لاثر العولمة على الطلب على العمالة، فأن من ابعاد العولمة التي يتوقع ان يكون لها اثار ايجابية في هذا الصدد هو نقل انتاج بعض الصناعات التحويلية من الدول الصناعية الى الدول النامية، ولكن هناك من يتشكك في امكانية تحقق هذا البعد من

---

[٢٥] لمزيد من الاراء عن الاثار السلبية المتوقعة على الدول النامية ، انظر ١٩٩٧ Thomas & Wikin.

العولمة على نطاق واسع، وبالتالي في امكانية استفادة دول العالم الثالث منه. اذ يقال في هذا الصدد ان تكلفة العمل لاتمثل اكثر من ٢٠% من اجمالي تكاليف المنتج النهائي في الصناعات التحويلية في الدول المتقدمة، وبناء عليه فأن نسبة الاجور المنخفضة في الدول النامية قد تكون اقل من التكلفة المرتفعة للبحث والتطوير والتسويق مما لايشجع انتقال عدد من الصناعات التحويلية من الدول المتقدمة الى الدول النامية (Hirst ١٩٩٨ & Thompson) يضاف الى ذلك ان متوسط انتاجية العامل قد تكون منخفضة كثيرا في الدول النامية عن نظيرتها في الدول المتقدمة مما يرفع من تكلفة وحدة العمل بالرغم من انخفاض الاجر، فمثلا بالرغم من ان الاجور في تونس والمغرب تقل حوالي ١٠ مرات عن الاجور في الاتحاد الاوربي، نجد ان انخفاض انتاجية العمل ترفع من تكلفة وحدة العمل بها بالمقارنة ببعض الدول الاوربية (Boughzala ١٩٩٧) يضاف الى ذلك انه على الرغم من انخفاض الاجور في الدول العربية انخفاضا كبيرا بالمقارنة بالدول الاوربية، نجد ان هناك دولا في جنوب شرق اسيا–مثل اندونيسيا– معدل الاجور فيها اكثر انخفاضا، مما يقلل من احتمالات نقل الصناعات التحويلية الى المنطقة العربية[٢٦].

كما ان تحرير التجارة لايتوقع ان يكون له اثر ايجابي كبير على الطلب على العمالة في الدول العربية، فالدول العربية، مثلها مثل غالبية الدول النامية، منتجة للسلع الزراعية اساسا. وهذه كما اوضحنا اعلاه، لاتخضع لتخفيض في التعريفة الجمركية كما هو الوضع بالنسبة للسلع الصناعية مما يجعلنا نتحفظ في توقعاتنا بخصوص مقدار فتح الاسواق الدولية امام المنتجات الزراعية العربية، وتأثير ذلك على زيادة الطلب على العمالة بالمنطقة. يضاف الى ذلك ان فتح الحدود امام السلع الصناعية سيهدد الصناعات المحلية في المنطقة العربية بسبب منافسة المنتجات الغربية لها مما قد يؤدي الى غلق عدد من الصناعات المحلية، على الاقل في الاجلين القصير والمتوسط وبالتالي فقد عدد من العمالة الصناعية لعملهم.

ولكن هناك وجهة نظر اخرى بخصوص اثر تحرير التجارة على العمالة في الدول العربية. فأحدى الدراسات عن المغرب توصلت بناء على استخدام نموذج معين، الى ان العمالة في الصناعة لم تتأثر من تحرير التجارة بها، عام ١٩٨٣[٢٧]. اذ تذهب الدراسة الى ان عددا كبيرا من المصانع وفقت اوضاعها تبعا للظروف الجديدة، ليس بخفض العمالة بها، وانما بتخفيض هامش الربح ورفع الانتاجية (Currie & Harrison ١٩٩٧). ولكن هناك دراسات اخرى تخلص الى ان اثر اتفاقية التجارة الحرة مع الاتحاد الاوربي على العمالة في

[٢٦] فمتوسط تكلفة وحدة العمل في الصناعة في تونس عام ١٩٩٣ كانت ١٠,٥% و٨,٦% من التكلفة المقارنة في فرنسا والمانيا على التوالي (Boughzala ١٩٩٨) ولكن في اندونيسيا يبلغ اجر العامل ٢% من الاجر في المانيا، فهو ٠,٥ دولار في الساعة في اندونسيا بالمقارنة بـ٢٥ دولار في الساعة في المانيا (١١٧، ١٩٩٨ Hirst & Thompson).

[٢٧] في ١٩٨٣ قامت المغرب بناء على ازمة اقتصادية كانت تمر بها، بالغاء القيود على الواردات، وتخفيض التعريفة الجمركية ١٦٥% الى ٤٥% على مدار ست سنوات (Currie & ١٩٩٧ Harrison).

تونس والمغرب قد يكون حديا، او حتى سالبا مما يرفع من معدل البطالة بها عن المستوى المرتفع السائد في البلدين بالفعل.

وينتقد بوغزالة هذه الدراسات على انها مبنية على نموذج ستاتيكي. وبأستخدام نموذج ديناميكي، توصل الى ان الخسارة المتوقعة في فرص العمل في تونس والمغرب يمكن تعويضها بحدوث تدفقات مالية سنوية الى البلدين بمقدار ١ مليار دولار لتونس. و٢-٣ مليار دولار للمغرب (١٩٩٧، Boughza;a). ولكن هذا القدر من الاستثمارات الذي يمنع حدوث خسارة في فرص العمل في تونس والمغرب بناء على هذه الدراسة يبدو كبيرا للغاية اذا ما قارنا بالوضع الحالي لتدفق الاستثمارات الاجنبية الى هذين البلدين. اذ نجد ان هذا يتطلب زيادة تدفق الاستثمارات الى البدين بمقدار ٣ مرات سنويا عن المستوى الحالي لهما (٢٠٠٢، Abdel- Khalek & Korayem).

والبند الذي لم يطبق بعد ولكنه موضوع على جدول اعمال منظمة التجارة العالمية، وتعمل الدول المتقدمة على تمريره بالرغم من المعارضة الشديدة له من جانب دول العالم الثالث، هو ما يطلق عليه بند العمل (Labour Clause) ومضمون هذا البند انه لايسمح بالاستيراد من الدول التي لديها عمالة اطفال والتي لاتنطبق ظروف العمل التي تنفق مع متطلبات حقوق الانسان (١٩٩٨ ، Castle & others). هذا البند، اذا ما طبق، سيكون له اثار سلبية على العمالة في الدول العربية والدول النامية عموما. اذ سيؤدي الى وضع قيود على الواردات من الدول العربية حيث تتواجد عمالة الاطفال بالاضافة الى ان ظروف العمل في كثير من هذه الدول لاتتفق مع متطلبات حقوق الانسان من ناحية مستوى الاجر، ومناخ العمل، والنقابات العمالية ... الخ، ومن اكثر الدول العربية التي ستضار من لك موريتانيا واليمن ومصر، حيث تبلغ عمالة الاطفال لديهم ٢٣% و٢٠% و١٠% من السكان في الفئات العمرية من ١٠-١٤ سنة (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، ص٢٣).

واذا ما ادى التقدم التكنولوجي الى التوسع في استخدام الانسان الالي واستبداله بالعمالة غير الماهرة كما يتوقع البعض (Hirst & Thompson ١٩٩٨) فأن هذا سيؤدي الى ضرر اضافي بالنسبة للعمالة في الدول النامية، والدول العربية بالتالي حيث تزيد نسبة العمالة غير الماهرة في قوة العمل بها.

ومن ابعاد العولمة التي نتوقع ان تؤثر ايضا سلبات على العمالة في المنطقة العربية تطبيق اقتصاد السوق. فمن الدعائم الاساسية لهذا النظام، كما ينعكس في برامج الاصلاح الاقتصادي لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، الخصخصة، فالدول العربية لديها قطاع عام كبير بالمقارنة بالدول النامية عموما، فنسبة العمالة في القطاع العام في الدول العربية كانت في المتوسط ٣٧% من اجمالي العمالة خلال الفترة ١٩٨٧-١٩٩٢، بالمقارنة الى ١٠% في المتوسط في الدول النامية و١٨% في الدول الاوروبية (الاسكوا، (أ)، جدول II.Iو ص٨٦). وفي المنطقة العربية ترتفع العمالة في القطاع العام في دول مجلس التعاون الخليجي نتيجة للسياسات المتبعة في هذه الدول- من تقديم اجور مرتفعة للعمالة الوطنية، وكذلك الالتزام بتقديم خدمات اجتماعية مدعمة لافراد الشعب، ففي بداية التسعينات بلغت العمالة في القطاع

العام في الكويت والبحرين ٢٣% من اجمالي العمالة[٢٨]. وترتفع العمالة في القطاع العام في دول المجموعة (٢) ايضا اذ تبلغ في عام ١٩٨٧، ٤٥% من اجمالي العمالة في الاردن، ٣٤% في مصر، و٣٣% في سوريا (الاسكوا، (أ) ١٩٩٧، جدول II.I).

وكبر حجم العمالة في القطاع العام يجعل الانتقال الى اقتصاد السوق له تكلفة مرتفعة في الدول العربية من حيث ارتفاع معدل البطالة، وهناك العديد من الدول العربية التي تطبق برامج الاصلاح الاقتصادي بالتعاون مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي واخرى تطبق برامج خاصة بها تتضمن ايضا خصخصة القطاع العام (الاسكوا، (أ) ١٩٩٧).

المراجع باللغة العربية

- الاسكوا (ب ١٩٩٧) الفقر في غرب اسيا، نيويورك، الامم المتحدة.
- الاسكوا (أ ١٩٩٧) مؤشرات مختارة في منطقة الاسكوا ، نيويورك، الامم المتحدة.
- الامانة العامة لجامعة الدول العربية، الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي، صندوق النقد العربي، ومنطقة الاقطار العربية المصدرة للبترول (١٩٩٩-٢٠٠١)، التقرير الاقتصادي العربي الموحد.
- المؤسسة العربية لضمان الاستثمار (١٩٩٤و٢٠٠١) مناخ الاستثمار في الدول العربية، الكويت.

المراجع باللغة الانجليزية

Abdel- Khalek, Gouda & Kanma Korayem (Forthcoming) "Economic and Social Implications of Globalization for The Arab countries", a Paper presented in The International Conference on Arab Development Challenges of The New Millenium, Rabat- Morocco, June 26-28, 2000, organized by The Arab Planning Institute (API)- Kuwait, Publisher: Ashgate, England, forthcoming publication of The API.

Amsden , Alice (2000), Industrialization under New WTO Law, Paper Prepared for The High- level Round Table on Trade and Development: Directions for the Tweny- First Century, UNCTADX, Bangkok. February 12.

Boughzala, Mongi (1997) Impact on workers of reduced trade berriers :The case of tunisia and Morocco, International Lobour review, Vol 136 (3).

Burtlrss Gary (1995), International Trade and The Rise in Earnings Inequality, Journal of Economic Literature, Vol, 33, June.

Camdessus Michel (1998) Toward a New Financial Architecture for a Globalized World Address of The Managing Director of The International Monetary Fund at The Royal Institute of International Affairs, London, May 8.

---

[٢٨] ترتفع نسبة العمالة في القطاع العام الى اكثر من ذلك اذا ما قارناها باجمالي العمالة الوطنية، فنسبة العمالة في القطاع العام الى العمالة الوطنية تبلغ ٩١% في الكويت، اذ يبلغ الاجر ٢-٣ من اكثر من اجر السوق (الاسكوا (أ) ١٩٩٧).

Cardoso Fernando H. (1996) Social Conseque.
Nces of Globalization , Margindlization or Improvement, The Indian International Center, New Delhi.
Castle, Robert, D.P.Chundhri & Chris Nyland (1998)Integration of Market Economies and The Rights of Labour: International Regulation of Labour Standards in Ammon Levy-Livermore(ed) Handbook on The Globlization of The World Economy, Cheltenham, UK, Edward Elgar.
Currie, Janet and Ann Harrison (1997), Sharing The costs: Impact of Trade Roform on Capital and Labour in Morocco, Journal of Labor Economics. Vol 15 (1).
El- Erian . Mohamed and Shahpassand Sheybani (1997), Private Capital Flow in The Development of The Arab Countries, in Donald Heisel (ed) The Middle East in a Changing World, Caior Papers in Social Science, Vol. (20) (2).
Feenstar, Robert C,(1998) Integration of Trade and Disintegation of Production in The Global Economy, Journal of Economic Perspectives, 12 (4), Fall Economics Vol. 42.
Head, Keith (1997)" Lecture 2: Globalization- Definition, Evidence, Mechanisms", April 23. World Wide Web.
http://Pacific.commerce.ubc.ca/Keih/Lectures/mne2html.
Hirst Paul & Graham Thompson (1998) Globalization in Question:The International Economy and Possibilities of Governance, Cambridge:Polity Press, 3rd edition.
Hollist, W.Ladd& F.Lamond Tullis (eds) (1987) pursuin food security, Strategies and Obstacles in Africa, Asia, Latin America and The Middle East, Boulder (US), Lynne Rienner Publishers Inc.
International Monetary Fund (IMF) (1997) World Economic Outlook, Washington, DC, May.
Jilberto, Alex E.F.& Andre Mommen (1998) Globalizations Versus Regionalization, in Alex E.F.Jilbrto& Andre Mommen (eds) Regionalzation and Globalization in The Modern World Economy, London: Routledge.
Kharioush, Hosni A & Bassam El-Hammoury (2000) "Arab Investments Abroad (Determinants and Solutions)", Arab Economic Journal, Vol 19 (19), Spring.
Kim, Kwan (1997) Income Distribution and Poverty:An Interregional Comparison, World Development Vol 25 (11).
Korayem ,Karima (2000) Social Implications of Globlization on The Developing Countries" GlobaLIZATION AND The South:Economic and Social Implications, Center for Developing Countries Studies Faculty of Ecomics and Political Science, Cairo University, Cairo.

--------------- (1998)" Causes of Poverty in the Arab Countries:An Economic Perspective, in Korayem, Karima & Maria Petmessidou (eds) Poverty and Social Exclusion in The Mediterranan Area, Comparative Research Prgramme on Poverty (CROP) Bergen, Norway.

Lall, Sanjaya (1995) Employment and Foreign investment :Policy options for developing countries, International Labour Review, Vol 134 (4-5).

Lubbers , R.F.M (1998) The Dynamic of Globaliztion, Tilburg University seminar, November 26.

Obstfeld, Maurice (1998) The Global Capital Market: Renefactor or Menace? Journal of Economic Perspectives 12 (4) Fall.

Ruppel, Fred & Earl Kellog (eds) 1991 National and Regional Self-Sufficiency Goals, Implications for Inetrnational Agriculture, Boulder (US) Lynne Rienner Publishers Inc.

Sachs, Jeffrey (1998) International Economice:Unlocking The Mysteries of Globalization, International Economics, Spring.

Safadi, Raed& Sam Laird (1996) The Uruguay Round Agreements: Impact on Developing Countries, World Development 24 (7).

Tanner, Carolyn& Alan Swinbank (1998) Agricultural Trade Liberalization:Regionalism Verus Multilateralism, in Ammon Levy-Livermore (ed) Handbook on The Globalization of The World Economy, Cheltenham UK: Edward Elgar.

Thomas Caroline & Peter Wilkin (eds) 1999 Globaliztion Human Security and The African Experience, Bouler (US)Lynne Rienner Publishers Inc.

Thomas, Caroline& Peter Wilkin (eds) 1997 Globalization The South, Houndmills:Macmillan Press Ltd.

World Bank 2000a, Entering The 21st Century:World Development Report 1999/2000 Oxford U.Press.

World Babk (2000b) Global Economic Prospects and The Developing Countres 2000.

Zarrouk Jamal & F.Zallio (2000) Integration Free Trade Agreements, Paper Presented to The Third Mediterranean Development Forum, Cairo March 5-8.

جدول رقم (١) السكان والقوة العاملة في الدول العربية١٩٩٨

	السكـان		القوة العاملة		النسبة المئوية للقوة العاملة		
	العدد بالالف (١)	معدل النمو السنوي % (٢)	العدد بالالف (٣)	% من السكان (٤)	الزراعـة (٥)	الصناعة (٦)	الخدمات (٧)
المجموعـة (١)، دول البترول							
أ ـدول مجلس التعاون الخليجي	٢٨٤٦٩	٢,٩(٥)	١٠٤٠٤	٣٦,٥	١٠,٣(٤)	١٢,٩(٤)	٧٦,٨(٤)
الامارات المتحدة	٢٧٧٦	٥,٦٩	١١٦٦	٤٢,٨	٢,٤	١٩,٢	٧٧,٤
قطر	٧٣٤	٥,٤٤	٣١٩	٤٣,٥	١,٩	٧,٥	٩٠,٦
الكويت	٢٢٧١	٢,٨١	١٢٥١	٥٥,١	١,٩	١٨,٩	٧٩,٢
البحرين	٦٤٢	٣,٥٧	٢٧١	٤٢,٢	٠,٧	٢٩,٩	٦٩,٤
المملكة العربية السعودية	١٩٧٥٨	٢,٦٠	٦٦٩٨	٣٣,٩	١١,٤	١٠,٣	٧٨,٣
عمان	٢٢٨٨	١,٤٠	٦٧٧	٢٩,٦	٣٥,٦	١١,٥	٥٢,٩
ب. الدول الاخرى	٥٦٧٧٥	٢,٠(٥)	١٧٤٦٩	٣٠,٨	١٩,٩(٤)	٢١,٥(٤)	٥٨,٦(٤)
١.ليبيا	٥١٧١	٢,٥٢	١٧٠٦	٣٣,٠	٩,٢	١٩,٤	٧١,٤
٢ العراق	٢١٧٩٥	٢,٣٠	٦٠١٥	٢٧,٦	١٢,٦	٢٢,٦	٦٤,٨
٣. الجزائر	٢٩٨٠٩	١,٧٥	٩٧٤٨	٣٢,٧	٢٦,٣	٢١,١	٥٢,٦
المجموعة (٢) الدول العربية الاخرى	١٧٥٣٠٩	٢,٥(٥)	٦٤٧١٤	٣٦,٩	٣٧,٥(٤)	١٩,٠(٤)	٤٣,٥(٤)
١.لبنان	٣٤٠١	٣,٣٧	١٠٩٥	٣٢,٢	٥,٧	٣٥,١	٥٩,٢
٢.تونس	٩٣٣٣	١,٢٨	٣٦٤٠	٣٩,٠	٢٩,٢	٢٥,٨	٤٢,٠
٣.الاردن	٤٧٦٣	٣,٥٤	١٣٩٦	٢٩,٣	١٠,٥	٨,٤	٨١,١
٤. مصر	٦٠٧٠٦	٢,١١	٢٤٥٢٥	٤٠,٤	٢٩,٥	٢١,٨	٤٨,٧
٥. المغرب	٢٨٧٨٣	٢,٠٠	١٠٩٩٥	٣٨,٢	٣٧,٢	٢١,٢	٤١,٦
٦. جيبوتي	٦١٣	١,٨٨	...	...	...	...	...
٧. سوريا	١٥٥٩٧	٣,٢٩	٥٠٣٨	٣٢,٣	٢٦,٦	٢٦,٩	٤٦,٥
٨.موريتانيا	٢٤٣١	٢,٤٠	١١٢٨	٤٦,٤	٥٩,٢	٥,١	٣٥,٧
٩ السودان	٣٢٦١١	٣,٠٠	١١٧٠٧	٣٥,٩	٥٩,٨	٩,٤	٣٠,٨
١٠.اليمن	١٧٠٧١	٢,٥٧	٥١٩٠	٣٠,٤	٥١,٣	١٠,٢	٣٨,٥
الاجمالـي (٣)	٢٦٠٥٥٣	٢,٤١	٩٢٥٨٧	٣٥,٩	٣٥,٦	٢٠,٠	٤٤,٤

ملاحظات: في الجدول ١-٣، الدول مرتبة تنازليا حسب متوسط نصيب الفـرد مـن النـاتج المحلي الاجمالي.

(١) تقديرات اولية.

(٢) حسبت من الاعمدة رقم ١و٤.

(٣) لاتشمل فلسطين والصومال بسبب عدم توفر البيانات لاغلب المؤشرات.

(٤) الوسط المرجح بأستخدام القوة العاملة في الدول المختلفة كأوزان.

(٥) الوسط المرجح بأستخدام سكان كل دولة كأوزان.

المصدر: الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون ١٩٩٩، جدول الملحق ٢/٧و ٢/١١.

جدول رقم (٢)الانتاج والاستثمار في الدول العربية ١٩٩٨

	الدخل المحلي الاجمالي (بادولار)		الهيكل الانتاجي [١] (% من الناتج المحلي الاجمالي)				معدل الاستثمار (% من الناتج المحلي الاجمالي)
	متوسط نصيب الفرد [٢]	(بالمليون)	الزراعة [٣]	الصناعة التحويلية	الصناعة الاستخراجية	القطاعات السلعية [٤]	
	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
مجموعة (١)، دول البترول							
دول مجلس التعاون الخليجي	٨١٦١	٢٣٢٣٣٤	٤,٩[٦]	١٠,١[٦]	٢٧,٢[٦]	٥١,٤[٦]	
الامارات المتحدة	١٦٨٧٨	٤٦٨٥٢	٣,٤	١١,٨	٢٢,٠	٤٩,٢	٣٠,١
قطر	١٤٢٥١	١٠٤٦٠	٠,٨	٩,٠	٣٦,٨	٥٥,٥	٢٤,٥
الكويت	١٣٦٦٤	٣١,٣٢	٠,٥	١١,٩	٣٠,٩	٤٦,٥	١٤,٣
البحرين	٨٦٤٨	٥٥٥٢	٠,٩	١٢,٤	١٣,٥	٣٣,٣	١٧,٦
المملكة العربية السعودية	٦٣٦٢	١٢٥٧٠٤	٧,٠	٩,٧	٢٧,٨	٥٤,٦	٢١,٠
عمان	٥٥٦٦	١٢٧٣٤	٢,٩	٤,٧	٣١,١	٤٣,٥	٢٤,٠
و الدول الاخرى	٢٨٢٥	١٦٠٣٧٩	٢١,٩[٦]	٩,٠[٦]	١١,٨[٦]	٤٩,٢[٦]	
ليبيا	٦٨٨٤	٣٥٩٩	٧,٦	١٠,٧	١٦,٢	٤٤,٤	١٨,٦
العراق	٣٦٤٩	٧٩٥٣٠	٣٣,٣	٧,٨	٣,٢	٤٨,٢	١٧,٢
الجزائر	١٥١٨	٤٥٢٥	١١,١	٩,٧	٢٣,٠	٥٤,٦	٢٧,٢
مجموعة (٢) الدول العربية اخرى	١١٤٢	٢٠٠١٥١	١٧,٧[٦]	١٥,١[٦]	٥,٠[٦]	٤٥,٨[٦]	
لبنان	٤٧٥٤	١٦١٦٨	٧,٨	٩,١	٠,٠	٢٧,٠	٢٩,١
تونس	٢٠٥٣	١٩١٦٥	١٢,٤	١٨,٢	٣,٦	٤٠,٩	٢٧,٨
الاردن	١٥٢٤	٧٢٥٨	٢,٥	١١,٦	٣,٣	٢٤,١	٢٥,٠
مصر	١٤٤١	٨٧٤٦٥	١٦,٤	١٧,٤	٦,٠	٤٦,٦	٢٢,٢
المغرب	١٢٩٧	٣٧٣٤١	١٧,٣	١٧,٣	٢,٠	٤٩,٤	٢١,٩
جيبوتي	١٢٢٨	٧٥٣	٢,٣	٣,٦	٠,٠	١٩,٢	١٨,٦
سوريا	١٠٢٩	١٦٠٤٩	٢٩,٢	٨,٥	١٢,٩	٥٥,٢	٢٠,٤
موريتانيا	٣٨٠	٩٢٣	٢٢,٥	٩,٥	١٠,٧	٤٨,٨	١٥,٣
السودان	٣١٥	١٠٢٨٦	٤٨,٦	٨,٠	٠,٠٧	٦٣,٧	١٥,٤
اليمن	٢٧٨	٤٧٣٩	١٦,٧	١٢,٢	١٨,٩	٥٤,٥	٣٦,٣
اجمالي [٣]	٢١٩٦	٥٩٢٨٦٤	١٣,٦	١١,٥	١٥,٦	٤٦,٠	٢٢,١

ملاحظات ومصادر:

(١) حسبت من الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جدول ملحق ٣/٢.

(٢) حسبت من جداول ملحق ٥/٢ و٧/٢ من المصدر السابق.

(٣) يشمل صيد الاسماك و الغابات.

(٤) تتكون من الزراعة، الصناعات التحويلية، الصناعات الاستخراجية، وقطاع الكهرباء و الغاز والماء.

(٥) لاتشكل فلسطين والسودان لعدم توفر البيانات.

(٦) الوسط المرجح بأستخدام الناتج المحلي الاجمالي للدول كأوزان للترجيح.

جدول رقم (٣)التجارة البينية وموازين العمليات الجارية فيما بين الدول العربية ١٩٩٨

	نسبة صادرات البترول الى الاجمالي (%)	نسبة الصادرات البينية الى الاجمالي (%)	نسبة الواردات البينية الى الاجمالي (%)	الميزان التجاري (% الناتج المحلي)	ميزان العمليات الجارية (% من الناتج المحلي)	صافي الواردات المنتجات الزراعية (... الاجمالي (مليون دولار)	نص... النا... (دو...
	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
المجموعة (١)، دول البترول							
أ .دول مجلس التعاون الخليجي							
١.الامارات المتحدة	٣٣,٨	٥,٦	٥,٢	٦,٨	٣,٨	١٤٠٣	٥
٢.قطر	٦٢,٠	٧,٩	٩,٠	٣,٤	١٩,٩-	٢٧٣	٢
٣.الكويت	٨٧,٣	٤,١	١٣,١	٧,٥	١٠,٣	١٢١٦	٠
٤.البحرين	٥٠,٨	٣٤,٨	١٣,٤	١,٢	١٧,٦-	٢٩٤	٧٤
٥.المملكة العربية السعودية	٨٠,٦	١٥,٤	٦,٢	٩,٤	١٠,٠-	٤٤٦٤	٣٢
٦.عمان	٦٩,٩	٢٠,١	٢٤,٦	٢,٢-	٢٠,٨-	٤٨٦	٦
ب. الدول الاخرى							
١.ليبيا	٦٥,٩	٧,٣	٦,٦	١,٢	٠,٨-	١٢٣٢	٤
٢.العراق	...	٣,٢	٧٥,٥	...	...	١,٣٨	٩
٣.الجزائر	٦٥,٦	٢,٧	٤,٨	٢,٢	٢,٦-	٢٦٦٧	١
المجموعة (٢) الدول العربية الاخرى							
١.لبنان	...	٤٧,٦	٨,٦	٣٦,٢-	٣٣,٩-	١٠٢٥	٢
٢.تونس	٤,٢	٥,٨	٦,٩	١٠,٧-	٣,٤-	٢٦٦	٩
٣.الاردن	...	٤٤,٧	١٩,٤	٢١,٨-	٠,٠	٦٤٠	٩
٤.مصر	٢٨,٦	١٤,٥	٣,٨	١٢,٣-	٢,٩-	٢٩٩٦	٠
٥.المغرب	...	٦,٦	٩,٧	٨,٧-	٠,٧-	٥٩٩	١
٦.جيبوتي	...	...	...	...	...	٧٣	١
٧.سوريا	٤٩,١	٢٧,٩	٧,٩	١,١-	٠,٤	٣,٥-	-
٨.موريتانيا	...	٨,١	٥,٩	٣,١	٣,٣	١٠٢	٣
٩.السودان	...	٤١,١	٢٧,٥	١١,١-	٩,٣-	٢١٩-	٧-
١٠.اليمن	٩٤,٤	١١,١	٢٩,٥	١٤,٠-	٥,١-	١٠٨٨	٦
الاجمالي [٣]	٦٠,٩	١٠,٩	٨,٥	١,٢-	٥,١-	١٩٣١٦	٧٣

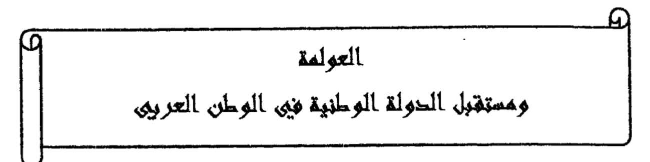
ملاحظات ومصادر:

العمود (١) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٥/٥و ١/٩.

الاعمدة (٢) و (٣) و (٤) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٨/١و ٢/٨.

العمود (٥) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٣/٢ و ١/٩.

العمود (٦) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٣/٨



العولمة
ومستقبل الدولة الوطنية في الوطن العربي

الاستاذ المساعد الدكتور

حميد نفل النداوي

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

شهد عقد التسعينات من القرن الماضي جملة من المتغيرات على الساحة الدولية كان من ابرزها انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط النظم الاشتراكية في دول اوروبا الشرقية، وتزامن ذلك مع شيوع استخدام مفهوم "النظام الدولي الجديد" حيث انهارت التوازنات الدولية وتكرست القطبية الاحادية وجرى الترويج لمفاهيم وافكار مختلفة كان من ابرزها العولمة.

حيث درج الخطاب السياسي والاعلامي الغربي بزعامة الولايات المتحدة الامريكية للترويج لفكرة مفادها ان العولمة سوف تزيل الحواجز لبين الدول وانها ستضع شعوب العالم امام فرصة كبيرة للتقدم وضع المستقبل.

ان اهمية الدراسة تكمن في تحليل مضمون وابعاد العولمة في اطارها السياسي وتحديد طبيعة العلاقة بين العولمة والدولة اولا وحجم التأثير ثانياً وهذا بالتأكيد يتطلب الاجابة على الاسئلة التالية:

١. ما العولمة؟ وما هي تجلياتها المختلفة؟ وما هو تعريفها؟
٢. ما طبيعة الجدل النظري حول دور الدولة؟
٣. ما هي التحديات التي تواجه الدول الوطنية في ظل العولمة؟

اولاً: العولمة: المفهوم والتعريف:

تعني العولمة في معناها اللغوي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله[1]. والعولمة هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة الكلمة الانكليزية "Globalization" والكلمتان الاخريان هما الكوكية والكونية.

والعولمة في اللسان العربي من "العالم" ويتصل بها فعل "عولم" على صيغة "فوعل" وهي من ابنية الموازين الصرفية العربية. ونلاحظ على دلالة هذه الصيغة انها تفيد وجود فاعل يفعل وهذا ما نلاحظه على صيغة "Zation-" في الانكليزية على خلاف صيغة "ism-" في "Globalism" التي تعني العالمية. وربما ستكون الغلبة لـ"العولمة" لشيوع استخدامها في هذه الفترة[2]. وارتباطها بمجالات وميادين اخرى كالسياسة وسميت بالعولمة السياسية أي النفوذ السياسي العالمي وارتبطت ايضاً بالاقتصاد والاعلام والثقافة وسميت بالعولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية[3].

واذا كان الكثير من الباحثين يرى في العولمة "متغير اقتصادي اجتماعي سياسي لم يشهد التاريخ الاقتصادي له مثيلاً ذلك انه يشمل تغييرات جذرية في الاقتصاد والسياسية والثقافة والاجتماع والتكنولوجيا هدفها تهيئة الاجواء لمرحلة اقتصادية جديدة تتميز بعده انماط حديثة[4].

فان التباين كان واضحاً في تحديد تعريف دقيق لها نظراً لتعدد الآراء حولها والتي تتأثر اساساً بأنحيازات الباحثين الايديولوجية واتجاهاتهم ازاء العولمة رفضاً او قبولاً[5].

وفي الحقيقة فان جميس روزناو استاد العلوم السياسية الامريكي كان مصيباً في دعوته للكشف عن جوهر العولمة قبل صياغة تعريف شامل لها عبر ثلاث عمليات.

---

(١) محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية عشر اطروحات. ورقة قدمت الى العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٨، ص٣٠٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر مداخلة احمد صدقي الدجاني ضمن المناقشات التي دارت حول بحث السيد يسين في مفهوم العولمة ورقة قدمت الى العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مصدر اسبق، ص٦٢.

(٣) عبد الجليل كاظم الوالي: جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢٤، العدد ٢٧٥، كانون الثاني ٢٠٠٢.

(٤) الدكتور محمود خالد المسافر، العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص٨٨.

(٥) السيد يسين، في مفهوم العولمة ورقة قدمت الى العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مصدر سابق، ص٢٥.

العملية الاولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس والعملية الثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول والعملية الثالثة هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات وكل هذه العمليات قد تؤدي الى نتائج سلبية بالنسبة الى بعض المجتمعات والى نتائج ايجابية بالنسبة الى بعضها الآخر[٦].

وهكذا نلحظ عدد كبير من الدراسات العربية والاجنبية التي تناولت موضوع العولمة والتي عكست المواقف من هذه الظاهرة في ثلاثة اتجاهات[٧]

الاتجاه الاول. يرفض العولمة بالكامل بأعتبارها اعادة انتاج لنظام الهيمنة الرأسمالي القديم.

الاتجاه الثاني. يقبل العولمة من دون تحفظات باعتبارها لغة العصر القادم.

الاتجاه الثالث. يرى ضرورة فهم القوانين المحركة للعولمة باعتبارها عملية تاريخية ولكن ليس معنى ذلك التسليم بحتمية القيم التي تقوم عليها في الوقت الراهن. وانما التفاعل الواعي في اتجاه "تعظيم" المنافع التي تبشر بها و"تدنية" التكاليف الاجتماعية المقترنة بالاندماج فيها والتكامل معها.

وتأسس على هذا التباين والاختلاف اختلافاً آخر يكمن في تعريفها وهذا يشابه الى حد ما اختلاف الفلاسفة فيما بينهم في تعريف الفلسفة فكل فيلسوف عرف الفلسفة تعريفاً ينسجم وطبيعة النظام الفلسفي الذي يضعه، ولهذا فالعولمة مشابهة للفلسفة من هذه الناحية أي من ناحية اختلاف التعريف بين مفكريها فاذا كانوا سياسيين كان التعريف سياسياً او كانوا اقتصاديين او اعلاميين او ثقافيين كانت تعريفاتهم اقتصادية او اعلامية او ثقافية[٨].

وتأسيساً على ذلك يمكن القول ان تعريف العولمة يختلف باختلاف تجلياتها وابعادها ومؤشراتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاتصالية وهذا ما تكشف عنه التعريفات التالية:

العولمة تعني من الناحية النظرية التدفق الحر للبضائع والافراد ورؤس الاموال وكذلك المعلومات عبر بلاد العالم وهي تمثل استراتيجية وجد الفريق للقوي او هو يظن كذلك انها تخدم مصالحه[٩].

---

[٦] السيد يسين. في مفهوم العولمة. مصدر ستبق ص٢٧.

[٧] نفس المصدر. ص٣٣. انظر كذلك محمد ابراهيم منصور. العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي. المستقبل العربي السنة ٢٥ العدد ٢٨٢ آب ٢٠٠٢، ص١٤٥.

[٨] عبد الجليل كاظم الوالي. مصدر سابق ص٦٠.

[٩] باسل محمد حسن العزاوي. العولمة ومستقبل النظام الاقليمي العربي. رسالة ماجستير معهد الدراسات القومية والاشتراكية. الجامعة المستنصرية. بغداد ص٢٧. نقلاً عن د.عقاف علي ندا. العولمة والعالم. صحيفة الاهرام ٢نيسان ١٩٩٩ ص١٠.

والعولمة على حد وصف توماس فريدمان وهو احد دعاة العولمة "عملية ديناميكية مستمرة تنطوي على ذلك التكامل الصارم في الاسواق وفي الدول والامم وفي التكنولوجيات الى درجة لم تحدث من قبل تمكن الافراد والشركات والدول والامم من التجول حول العالم والوصول الى مسافات ابعد واعمق وارخص من أي وقت مضى[(١٠)].

ويذهب المفكر السوري واستاذ الفلسفة صادق جلال العظم الى صياغة تعريف عام للعولمة كونها "حقبة التحول الرأسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ[(١١)].

وهناك من يشدد على ان العولمة نسق جديد من العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية بين مختلف دول العالم تتجاوز الحدود الجغرافية وتختصر المسافات وتتحدى مفاهيم السيادة[(١٢)] وهي الدعوة الى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الانسان والحريات الفردية وهي اعلان لنهاية سيادة الدولة ولنهاية الحدود ولتكامل حقل الجغرافية السياسية[(١٣)].

ويلخص برهان غليون العولمة في "كثافة انتقال المعلومات وسرعتها الى درجة اصبحنا نعيش في عالم واحد وموحد[(١٤)].

اما محمد عابد الجابري فينظر اليها كونها "ارادة للهيمنة وبالتالي قمع واقصاء الخصوصي"[(١٥)].

وهكذا يصل الكثير من الباحثين الى رؤية مفادها ان "الولايات المتحدة الامريكية هي الفاعل الرئيسي في عملية اعادة انتاج نظام هيمنة جديد تحت شعار العولمة والعولمة كما نعرفها اليوم هي عولمة امريكية اساساً ومحاولة لعولمة نمط الحياة الامريكي[(١٦)].

---

(١٠) محمود خالد المسافر. مصدر سبق ذكره. نقلاً عن توماس فريدمان ٢٠٠٠ ص٣٠-٣١.

(١١) السيد يسين. مصدر سابق ص٢٨ نقلاً عن صادق جلال العظم. ما هي العولمة ورقة بحثية (تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٩٦.

(١٢) حليم بركات. المجتمع العربي في القرن العشرين. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ٢٠٠٠ ص٢٨.

(١٣) انظر تعقيب طلال عتريسي على بحث السيد يسين في مفهوم العولمة في العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ص٤٤.

(١٤) محمود خالد المسافر. العولمة الاقتصادية. مصدر سابق ص٩٤ نقلاً عن برهان غليون وسمير امين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة. دار الفكر. دمشق ١٩٩٩.

(١٥) محمد عابد الجابري. العولمة والهوية الثقافية. عشر اطروحات. مصدر سابق ص٣٠١.

(١٦) لمزيد من التفاصيل انظمة اسامة امين الخولي: مقدمة لندوة العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مصدر سابق ص٩.

ووفقاً لهذا وذاك ليس المهم الاسهاب في وصف العولمة وانما "هدف ومسرح هذه الظاهرة الذي هو ازالة الحضور التقليدي للدولة الوطنية والمهددة في الوقت الراهن بكيانات "فوق وطنية" خارجية وبكيانات "قبل وطنية" داخلية[١٧].

ثانياً.. "الجدول النظري حول دور الدولة"

(١) الماركسية-اللينينة واضمحلال الدولة.

ان فكرة الغاء دور الدولة واضمحلالها لم تكن وليدة العولمة بل كانت موضع تنبؤ منذ قرنين من الزمان بدءاً بـ امانوئيل كانت[*] في كتابه السلم الدائم ١٧٩٥ مروراً بكارل ماركس الى كتابات برتراند رسل خلال الخمسينات والستينات.

وخلافاً لرأي المفكرين البرجوازيين فأن ماركس لم ينظر الى الدولة كظاهرة حتمية وابدية بل هي حدث تاريخي تحقق يوم انقسم المجتمع الى طبقات متصارعة احتكرت بعضها ملكية وسائل الإنتاج وسخرت الدولة لتحقيق اغراضها[١٨].

وعلى ذات المستوى من التفكير تنظر الماركسية الى النظريات التي تعتبر الدولة على انها شخص قانوني ينظم المصالح المشتركة ويحميها ليست سوى محاولات نظرية لتغطية استغلال الطبقة الحاكمة[١٩].

واتساقاً مع هذه الافكار تربط الماركسية نشوء الدولة بنشوء الملكية الخاصة وتطورها واضمحلالها بأضمحلال هذه الملكية "فالدولة لم توجد منذ الازل فقد وجدت مجتمعات كانت في غنى عن الدولة ولم يكن لديها أي فكرة عن الدولة وسلطة الدولة وعندما بلغ التطور الاقتصادي درجة معينة اقترنت بالضرورة بأنقسام المجتمع الى طبقات غدت الدولة بحكم هذا الانقسام امراً ضرورياً[٢٠].

ومن الواضح اتصال نظرية الدولة عند ماركس وسائر فلسفته على المادية التاريخية فهو يؤكد في نقده لفلسفة الدولة والقانون عند هيغل بأن ماهية الانسان تكمن

---

[١٧] مصطفى بن تمسك. العولمة وتنامي خطاب الهوية في العولمة والنظام الدولي الجديد سلسلة كتب المستقبل العربي ٣٨-مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤ ص٣٣.

[*] يرى كانت ان مصير الانسانية متجه نحو تكوين دولة عالمية واحدة وان سيرها في هذا الطريق بطيئاً تحفه الكثير من الصعاب والعقبات وقد آن للدول ان تفعل ما فعله الافراد فتخرج من حالتها الطبيعية الوحشية ويتعاقد بعضها مع بعض لحفظ السلام. انظر الدكتور حسن علي الذنون. فلسفة القانون. مطبعة العاني بغداد ١٩٧٥. ص٦٣.

[١٨] اسكندر غطاس: اسس التنظيم السياسي في الدول الاشتراكية. دار الهنا للطباعة القاهرة ١٩٧٢ ص٣٥.

[١٩] طعيمة الجرف. نظرية الدولة والمبادئ العامة الانظمة السياسية ونظم الحكم مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص٣١٠.

[٢٠] ماركس-انجلو. المختارات. دار التقدم موسكو ١٩٧٥ ص٤١٢.

في جانبه الاجتماعي دون السياسي، ومن ثم رفض ما ذهب اليه هيغل من ان الدولة تجسيد سام للعقل والفكرة ويسمو على الحياة الاجتماعية.

"الدولة ليست حقيقة وحسب بل اعلى انواع الحقيقة-انها الفكرة الالهية التي تقوم على الارض[٢١]. وبذلك خلعت الماركسية عن الدولة ثوبها الروحاني الذي دثرها به هيغل حين جعلها تجسيد لفكرة مطلقة وحكماً اعلى يمثل قمة الاخلاق وسلطة فوق البشر تسمو على الافراد.

فالدولة عند ماركس وانجلز لا تستطيع ان تسلخ عن اساسها الاقتصادي وقاعدتها المادية بل تستمد واقعها من العلاقات القائمة بين الطبقات الاجتماعية.

ويحاول لينين في كتابه "الدولة والثورة" تحديد المعاني التي اشارت اليها النظرية الماركسية حول مسألة الغاء الملكية الخاصة وزوال الطبقات واضمحلال الدولة... "لا يمكن للدولة ان تضمحل تماماً الا عندما يطبق المجتمع قاعدة من كل حسب كفاءاته ولكل حسب حاجاته أي عندما يعتاد الناس مراعاة القواعد الاساسية للحياة في المجتمع ويصبح عملهم منتجاً بحيث يشرعون يعملون طوعاً وحسب كفاءاتهم[٢٢]. ولكي تزول الدولة او تضمحل يجب ان يعتاد الناس على حياة مختلفة يعملون فيها طوعاً ودون اكراه او استغلال وهذا الامر لا يتم في المرحلة الاشتراكية التي سماها ماركس بـ الطور الاول او الاسفل في المجتمع الشيوعي "لان الشيوعية في طورها الاول في درجتها الاولى لا يمكن ان تكون ناضجة تماماً من الناحية الاقتصادية لا يمكن ان تكون خالية تماماً من تقاليد او آثار الراسمالية"[٢٣].

ان الاساس لاضمحلال الدولة اضمحلالاً تاماً هو تطور الشيوعية تطوراً كبيراً يزول معه التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي[٢٤] وتقليل الفوارق بين الريف والمدينة والوصول الى درجات عالية من التطور العلمي والتكنولوجي.

غير ان هذه الاهداف لم تحقق ولم تظهر اية مؤشرات عن اضمحلال الدول وانحسار وتراجع دورها في الاتحاد السوفيتي "السابق" ودول اوربا الشرقية لا بل انها لجأت الى اجراءات وممارسات متقاطعة مع كل القيم الديمقراطية والاشتراكية وهي كالآتي:

١. الدور الكبير للدولة وتدخلها المباشر في مناحي الحياة المختلفة.
٢. سياسة العزلة والمواجهة ازاء العالم الخارجي.

---

(٢١) مارسيل بريلو. جورج ليسكييه. تاريخ الافكار السياسية. الاهلية للنشر والتوزيع. بيروت ١٩٨٦ ص٣٢٦.
(٢٢) لينين. الدولة والثورة. دار التقدم موسكو ١٩٧١ ص١٢٠.
(٢٣) نفس المصدر ص١٢٥.
(٢٤) المصدر نفسه ص١٢١.

٣. الارادية والتعجيل المفروض في بناء الاشتراكية من الاعلى عن طريق سلطة الدولة.
٤. النظام الهرمي والمركزي لصنع القرارات وكذلك الرقابة في جميع مجالات الحياة بما فيها الثقافة والفنون تحت سيطرة الحزب والدولة بما لا يترك معه للجماهير مجالاً يذكر رغم مبدأ "الديمقراطية-المركزية" للمشاركة في إعداد القرارات ومتابعة تنفيذها.
٥. إنكار دور وموقع ومصالح الافراد بحجة اعطاء الاولوية لمصلحة المجتمع التي اعتبرت هي الاساس.
٦. اندماج الدولة بالحزب الحاكم واخضاع جميع المنظمات الجماهيرية لسلطة الحزب وقصر نشاطها على القيام بدور "الحزام الناقل" بين السلطة المركزية ورعاياها مؤدية الى قهر المجتمع واغتراب الفرد.

وبمرور الزمن تراكمت هذه السلبيات والاخطاء وقادت الى انهيار الاتحاد السوفيتي والنظم الاشتراكية في دول اوروبا الشرقية.

(٢) دور الدولة في ظل العولمة

يتسم دور الدولة منذ بزوغ عصر الدولة القومية ولحد الان بالتغير من عصر الى آخر. لذلك فأن ما يبدو الان من تعديل وتكيف في ظل العولمة لا يعني بالضرورة تراجعاً وانحساراً بل "تحول وتغير مرحلي تقتضيه ظروف التداخل والانفتاح التي يتصف بها الاقتصاد العالمي اليوم[٢٥]".

وفي الحقيقة فان دور الدولة او وظيفتها يتحدد بثلاثة عوامل[٢٦]:

الطبيعة الاجتماعية والسياسية للدولة التي تحدد بدورها نوع المجتمع من حيث علاقات السيطرة الاجتماعية فيه، والثاني مرحلة التطور التي يمر بها المجتمع أي الشوط الذي قطعته الدولة في ميدان التقدم الحضاري والثالث ما يجري على الساحة العالمية من تطورات وانعكاس هذه التطورات على الوضع الداخلي.

وإتساقاً مع هذه التصورات لا يزال الجدل قائماً بين تيارين متناقضين حول دور الدولة ومستقبلها حيث يشدد انصار العولمة على "ضرورة انتقال كل شيء من أسر الدولة القومية الى رحاب الانسانية الواسعة ومن الولاءات للاقتصادات الضيقة

---

[٢٥] خالد محمود المسافر، مصدر سابق، ص٢٧٠.
[٢٦] انظر تعقيب منير الحمش على بحث جلال امين. العولمة والدولة الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مصدر سابق، ص١٩٢.

والثقافات المحلية المتعصبة الى الاسواق المفتوحة على الاقتصاد والثقافة الانسانية دون شروط"[٢٧].

ان ما يدعو اليه انصار العولمة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدولية هو "تنظيم وادارة الاقتصادات الوطنية والعلاقات الاقتصادية الدولية عن طريق عملية تعميم كبرى للنظام الرأسمالي على الصعيد العالمي بواسطة التحرير المتزايد للاقتصادات الوطنية مما يقتضي الحد من تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية وتقليص دورها الاجتماعي[٢٨]. واعتبار ما حصل في الفترة المنصرمة او ما يحصل حتى الان تجاوزاً على قوانين السوق وآلياتها وعلى الحرية الاقتصادية وحرية الافراد واعاقة التطور الاقتصادي[٢٩].

وهكذا يقترن الحديث عن العولمة بالحديث عن افكار جديدة من حقوق الانسان والديمقراطية الى الاشادة بالعقلانية والتعلم وبقدرة التقانة الحديثة على التغلب على كل ما يعترض الانسان من عوائق ومشكلات والهجوم على التعصب بكل اشكاله الديني او القومي او العرقي وكل هذا يصور على انه جزء لا يتجزأ من ظاهرة العولمة، كما يصور كل من يقف في وجه العولمة على انه يقف في الحقيقة ضد التحرر من كل هذه الصور من الاستعباد استعباد الدولة، استعباد الجهل والفقر[٣٠].

اما التيار المناهض للعولمة فيرى ضرورة التمييز بين اضمحلال الدولة وانحسار دورها وبين التغيير في وظيفتها وتكيفها مع الاوضاع الراهنة ويؤكد على حضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي "وانه ليس شرطاً ان يخضع الاقتصاد العالمي لمبدأ واحد ينطبق على جميع بلدان العالم فما تدعو اليه بلدان الرفاهية عن تراجع وانحسار دور الدولة واعطاء قوى السوق مجالاً اوسع يجري عكسه تماماً في البلدان الصاعدة التي تحتاج الى دعم الدولة ومشاركتها في بناء الاقتصاد الوطني[٣١].

---

[٢٧] عبد الامير السعد، العولمة مقاربة في التفكير الاقتصادي، مصدر سابق، ص٨٩.

[٢٨] د. منير الحسش، الشركات المتعدية الجنسية، منظمة التجارة العالمية، مؤسسة بريتون وودز، وفرض جدول اعمال اقتصادي وسياسي على الدولة الوطنية في د. احمد البرقاوي وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤، ص١٣٢.

[٢٩] كاظم حبيب. مشاركة في الحوار الجاري حول الموقف من قطاع الدولة في الاقطار العربية. دراسات في التنمية العربية. الواقع والآفاق سلسلة كتب المستقبل العربي ١٣. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٩٨ ص٢٠٣.

[٣٠] جلال امين. العولمة والدولة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية دراسات الوحدة العربية. مصدر سابق ص١٦٤.

[٣١] عبد الجليل كاظم الوالي. مصدر سابق ص٧٠.

ان هذا الدور للدولة هو امر مفروغ منه ولا يوجد خلاف من حيث المبدأ حوا اهمية هذا الدور في ادارة الاقتصاد الوطني وانما يدور الخلاف في الغالب حول محتوى السياسات ونوعية التخطيط ومدى مركزيته ومدى التفصيل فيه، والتأكيد على انه لا يوجد حل واحد مناسب في كل الظروف والاحوال وان اختيار الوسائل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغايات من ناحية وبالواقع والامكانات من ناحية ثانية وبالآثار التي يمكن ان تترتب على هذا الخيار او ذاك من ناحية ثالثة[٣٢]. ويمكن الاستدلال على تعاظم هذا الدور في النشاط الاقتصادي في المجتمعات الصناعية والنامية ان "نسبة الانفاق الحكومي ارتفعت في الدول الصناعية من ٢٠% من الناتج الاجمالي قبل الحرب العالمية الثانية الى ٤٧% في منتصف التسعينات وارتفعت نسبة هذه العلاقة في الدول المتخلفة من ١٠% الى ٢٥% في الفترة نفسها[٣٣].

وفضلاً عما سبق فأن الدولة عندما تتعرض منشآت القطاع الخاص للازمات تلجأ لمساعدتها على حل ازماتها والامثلة على ذلك كثيرة ومعروفة فخلال ازمة البورصات العالمية في شهر تشرين الاول ١٩٨٧ تدخل المصرف المركزي الامريكي بفعالية للحيلولة دون انهيار النظام المصرفي الامريكي وخلال الايام الاخيرة من شهر تشرين الثاني ١٩٩٧ اعلنت وزارة المالية اليابانية والمصرف المركزي الياباني عن دعمها للمنشآت المالية المنهارة لتمكينها من تسديد التزاماتها المحلية والاجنبية[٣٤].

وضمن هذا السياق لابد من الاشارة الى وثيقة غاية في الاهمية والقيمة صدرت عن البنك الدولي عام ١٩٩٨ وهو من الد اعداء الدولة ففي تقرير البنك الذي يحمل عنوان "الدولة في عالم متغير" تمسك باستمرار الدولة وتفعيل دورها وفي هذا الخصوص يعيد البنك استخدام مفهوم الحكم الجيد الذي صكه في تقريره لعام ١٩٩٠ كقرين لدولة الالفية الثالثة ويضع ثلاثة شروط اساسية لتحقيق جودة الحكم هي:[٣٥]

١. انشاء مؤسسات قطاع عام فاعل
٢. الحد من الفساد والتصرفات التحكمية للدولة.
٣. تسهيل العمل الجماعي الدولي.

---

[٣٢] ابراهيم سعد الدين عبد الله. دور الدولة في النشاط الاقتصادي في الوطن العربي قضايا عامة ونظرة مستقبلية في سليمان الرياشي وآخرون سلسلة كتب المستقبل العربي "١٣" دراسات في التنمية العربية. مصدر سابق ص١٦١.

[٣٣] عبد الامير السعد. العولمة مقاربة في التفكير الاقتصادي مصدر سابق ص٩١.

[٣٤] محمد الاطرش. العرب والعولمة. ما العمل. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. مصدر سابق ص٤١٨.

[٣٥] انظر تعقيب نيفين مسعد على بحث جلال امين العولمة والدولة مصدر سابق ص١٨٥.

ثالثاً: الدولة الوطنية في الوطن العربي وتحديات العولمة

يختلف دور الدولة باختلاف النظام الاقتصادي-الاجتماعي في المجتمعات التي توجد الدولة على قمتها، كذلك يتأثر هذا الدور بموقع الدولة في النظام الدولي، فالدور الذي تلعبه الدولة وتمارسه في المجتمعات الصناعية المتقدمة يختلف عن دور الدولة في المجتمعات النامية[٣٦].

واذا كانت الدولة في كلتا النظامين الرأسمالي والاشتراكي قد استندت الى تراث فكري وسياسي واقتصادي في صياغة برامجها وتنفيذ خططها فأن الدولة في المجتمعات النامية قد واجهت جملة من المعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد ورثت عن المرحلة الاستعمارية اقتصادات مشوهة يتعايش في اطارها اكثر من اسلوب من اساليب الانتاج وتتصف بمحدودية الترابط الداخلي وضعف القاعدة الانتاجية ومستوى الكفاءة والدخل بالنسبة الى الفرد الواحد من السكان. فضلاً عن استمرار ارتباطها بالمركز بالعديد من الآليات التي تبقيها في وضع التبعية والاستغلال من قبل الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة[٣٧].

واذا كان هناك نوعاً من التوافق على طبيعة المشكلات فأن الاختلاف في المعالجة كان هو السمة الغالبة ومرد ذلك الاختلاف يعود الى خلفيات القوى السياسية التي تولت دفة الحكم ومنظومة الافكار السياسية التي تؤمن بها، فلقد سادت فكرة الدور الشامل والمركزي في صياغة خطط وبرامج التنمية في الفترة التي تلت الاستقلال في الكثير من بلدان العالم الثالث لكنها لم تحقق الاهداف المرجوة. ونتيجة للاخفاقات المستمرة التي لازمت هذه التجارب اضافة الى الدروس المستفادة من تداعي النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقية والتي ادت الى اعادة نظر شاملة في اساليب ادارة المجتمع وادارة الاقتصاد الوطني في اتجاه المزيد من الديمقراطية والمصارحة والمشاركة سياسياً والحد من التخطيط التفصيلي والاعتماد بدرجة اكبر على السوق وعلى المؤشرات والدوافع الاقتصادية لتوجيه النشاط الاقتصادي[٣٨].

وتضمن التوجه الجديد ايضاً التأكيد على ضرورة "توزيع الموارد بعدالة تهدف الى التغلب على حالات عدم الانصاف الواضحة وتكون قادرة على تحفيز التكامل بين المجالين الاقتصادي والاجتماعي وعلى تعزيز دور المجتمع المدني ودفع القطاع الخاص نحو المشاريع الاكثر انتاجية[٣٩].

[٣٦] ابراهيم سعد الدين عبد الله دور الدولة في النشاط الاقتصادي مصدر سابق ص١٣٢.

[٣٧] نفس المصدر ص١٣٣.

[٣٨] ابراهيم سعد الدين عبد الله. نفس المصدر السابق.

[٣٩] حسن كريم. مفهوم الحكم الصالح. المستقبل العربي السنة ٢٧ العدد ٣٠٩ تشرين الثاني ٢٠٠٤ ص٤٩.

وفي هذا السياق ومن خلال هذا الجدل الفكري والسياسي والاقتصادي تبرز قضية الدولة من جديد لتصبح موضوعاً للدراسة والتحليل ويمكن الاشارة هنا الى المشروع البحثي المتميز[*] الذي انجزه مجموعة من الباحثين والمفكرين برعاية مركز دراسات الوحدة العربية ومع التأكيد على ان مشروع الدراسة لاستشراق المستقبل قد توقع ثلاثة سيناريوهات اساسية لمستقبل الوطن العربي فأن مركزية نظام الدولة في كل منها لا تخطئها العين، ونقطة الارتكاز في السيناريوهات الثلاثة هي اثبات ضرورة الوحدة العربية او التكامل العربي في صورة او في اخرى ومع ذلك فأن السيناريوهات الثلاثة وطن عربي اكثر تجزيئاً ودول عربية يدفعها تعاون وتنسيق ووطن عربي موحد سياسياً تعكس جميعا اقراراً بالدور المركزي لنظام الدولة[٤٠] وضرورة الاهتمام بهذه المؤسسة وتعزيز دورها وزيادة فعاليتها وانها قادرة عند توفير المستلزمات المطلوبة على تحقيق اهدافها.

ومع ذلك فأن نظام الدولة يمر بأزمة تتردد اصداؤها في طبيعة وحجم المشكلات التي عجزت الدولة من التغلب عليها حتى "غدت بعض الحكومات العربية تواجه اخطار التفكك والانقسام الداخلي واشكالات الوحدة الوطنية[٤١]".

وضمن هذه المعايير فأن مشكلة الهوية هي المشكلة الرئيسية التي تهدد الدولة الاقليمية القطرية وان فشل الدولة في خلق هوية مجتمع تجمع الانتماءات المتنوعة وتتمح الافراد مشاعر الامن والاستقرار يقود الى حالة من الاغتراب واللاانتماء وفتور في شعور التوجه ازاء الوطن ونظامه السياسي[٤٢].

ان الدول الاقليمية القطرية وبصرف النظر عن الهوية التي اختارتها "هوية وطنية قطرية او الهوية العربية القومية، او الهوية الاسلامية" تواجه مشكلة بناء هوية وطنية شاملة حيث "ينطوي الاختيار بين هويات متنافسة على استبعاد او اغتراب احد القطاعات او التكوينات الاجتماعية من المجرى الرئيسي للحياة السياسية العامة في

(*) يحمل هذا المشروع عنوان "استشراق مستقبل الوطن العربي" ويشما اربعة محاور العرب والعالم. التنمية الاقتصادية العربية، المجتمع والدولة، النمذجة المنهجية الشاملة للتفاعلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقومية والعربية الجامعة والاقليمية والدولة خير الدين حسيب وآخرون. مستقبل الامة العربية. التحديات والخيارات. التقرير النهائي لمشروع استشراق مستقبل الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٨٨ نقلاً عن يوسف الصواني القومية العربية والوحدة في الفكر السياسي العربي. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٨ ص١٨٢.

(٤٠) خير الدين حسيب ةآخرون. مستقبل الامة العربية. التحديات والخيارات مصدر سابق ص١٨٢.

(٤١) ثامر كامل محمد. الدولة في الوطن العربي عل ابواب الالفية الثالثة بيت الحكمة بغداد ٢٠٠١ ص٣١٨.

(٤٢) علي اسعد وطفة: اشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة. المستقبل العربي السنة ٢٥ العدد ٢٨٢ آب ٢٠٠٠ ص١٠١.

الدولة القطرية[٤٣]. والمشكلة الرئيسية الثانية التي تواجه الدول العربية هي الشرعية والتي يمكن النظر اليها كفكرة او معتقد تتعلق بأساس السلطة وكيفية ممارستها وعليه فالسلطة تكون شرعية اذا كان من يمارسها وطريقة ممارسته لها تتفق والرأي السائد في المجتمع حول هذه الامور. وبمعنى آخر ان جوهر الشرعية هو قبول الاغلبية من المحكومين حق الحاكم في ان يحكم وان يمارس السلطة، فالشرعية هي اولاً وقبل كل شيء معتقد أي ايمان غالبية اعضاء المجتمع ايماناً حقيقياً بأن السلطة يجب ان تمارس بطريقة معينة دون غيرها والا فقدت مبرر طاعتها وان شرعية النظام السياسي تتأتى من خلال "تأييد الافراد وقناعاتهم بفعالية ذلك النظام ومن ثم التوافق على رؤية النظام ومبادئه من ناحية وقناعات الافراد والجماعات من ناحية اخرى[٤٤] والمشكلة الخطيرة والحساسة الثالثة التي تواجه الدولة في الوطن العربي هي المشاركة السياسية التي تمثل مؤشراً "تفاعلياً" لصحة العلاقة بين المجتمع والدولة وبقدر ما تكون الدولة تعبيراً اميناً عن مجتمعها بقدر ما تزداد المشاركة السليمة المنتظمة لافراد المجتمع في الشؤون العامة بصفتهم الفردية ام الجماعية[٤٥]. وبكل ما يترتب على ذلك من التزامات على عاتق النظام السياسي تتحدد "بتكييف فلسفته واجراءاته ومؤسساته لاستيعاب هذه الرغبة والاستجابة لها دون اخلال بسلطاته وادواره او تعريض اجهزته ومؤسساته لاي خطر او تهديد[٤٦].

ولفت ادب التنمية السياسية الانتباه الى مسألة غاية في الاهمية وهي طبيعة العلاقة الوثيقة بين المشاركة السياسية والتنمية السياسية وقد انعكس ذلك على مواقف المهتمين بموضوعات التنمية السياسية فقد اعتبر هانتغتون المشاركة السياسية احد عناصر التنمية السياسية في حين صنفها لوسيان باي ضمن ازمات التنمية السياسية[*] وعدت هذه الازمات مشروطة في حلها بحل أزمة المشاركة اولاً ودائماً بمعنى ان المشاركة السياسية غاية ووسيلة في آن واحد[٤٧].

فالمشاركة السياسية في كل دولة عربية هي "شرط اساسي ومقدمة لابد منها لتحقيق الوحدة والتكامل بين هذه الدول فعندما تتوحد الجبهة الداخلية في كل بلد وتسود

---

[٤٣] سعد الدين ابراهيم. المجتمع والدولة في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ٢٠٠٠ ص٣٣١-٣٣٢.

[٤٤] ثامر كامل محمد. الدولة في الوطن العربي مصدر سابق ص١٧٢.

[٤٥] سعد الدين ابراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص١٨٦.

[٤٦] علي عباس مراد، التنمية السياسية وازمة المشاركة محاولة في تحديد المفهوم، مجموعة باحثين مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص١٢٤.

[*] هذه الازمات هي ازمة الهوية، ازمة الشرعية، ازمة المشاركة، ازمة الاندماج، ازمة التغلغل، ازمة التوزيع. انظر ثامر كامل محمد، الدولة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص١٩١.

[٤٧] ثامر كامل محمد، الدولة في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص١٩١.

النظرة المجتمعية الى قضايا الامن والتنمية فان هذه الدول لن تجد بديلاً للمضي الى الامام للتكامل والتوحد، وعندئذ ستزول الكثير من معوقات التنمية التي نراها اليوم[٤٨].

وفيما يتعلق بالمشكلة او "القضية" الرابعة وهي **التنمية المستقلة** فعلى الرغم من عدم تبلور مفهوم محدد للتنمية المستقلة عند الكثير من الباحثين والاقتصاديين الا ان غالبيتهم يتفق على انها تتمثل في اعتماد الوطن العربي على نفسه كبديل لاعتماده على الخارج والاتجاه الى تكوين اقتصاد عربي متشابك ومتكامل كبديل لاندماج كل قطر عربي على حدة في الاقتصاد العالمي وان مثل هذه التنمية تستند بالضرورة الى بناء قاعدة علمية وتقنية تمكن العرب من المشاركة والمساهمة في التقدم العلمي والتقني العالمي وعدم الاكتفاء بدور المتلقي[٤٩].

وفي ذات المعنى يجب التأكيد على ان هذا التغيير الارادي المقصود الذي يحرر البلد من التبعية والاستغلال يتعدى الجانب الاقتصادي الى شموله الجوانب الاجتماعية والسياسية ايضاً مع اهتمام خاص بالقرار المستقل بكيفية استخدام الموارد المحلية واسلوب التعامل مع العالم الخارجي فضلاً عن اهمية المشاركة الديمقراطية في اتخاذ وتنفيذ القرارات والعمل على تطوير قدرات الانسان العربي واطلاق طاقاته الابداعية وتعطي لذلك تنمية الانسان اهتماماً خاصاً باعتباره صانع التنمية الحقيقي[٥٠].

واتساقاً مع هذه الافكار وبغية تحقيق التنمية المنشودة فالضرورة تقتضي التأكيد على مسألتين اساسيتين[٥١]:

المسألة الاولى: البعد القومي للتنمية في مقابل فشل التنميات القطرية بما يقضي اعادة نظر شاملة لمجمل العلاقات الاقتصادية العربية بهدف اقامة تكتل اقتصادي قوي يستطيع مخاطبة التكتلات الدولية الاخرى من منطق الندية لا من منطق التبعية.

المسألة الثانية: هي البعد الانساني الامر الذي يستوجب حشد جميع جهود الشعوب والتلاقي معها في مواجهة التحديات التي تفرزها العولمة.

ان هذه المشاكل "الازمات" والتي عجزت الدولة القطرية عن ايجاد الحلول المناسبة لها تعرض الامن القومي والسيادة الوطنية للخطر في ظل اتساع حركة الولايات المتحدة الامريكية في المناورة السياسية بعد ان تمكنت من تسخير المنظمة

---

(٤٨) يوسف خليفة اليوسف، المشاركة السياسية والتنمية في دول مجلس التعاون الخليجي المستقبل العربي، السنة ٢٥، العدد ٢٩٠، نيسان ٢٠٠٣، ص١٢٣.

(٤٩) سعد حسين فتح الله، التنمية المستقلة لمتطلبات، والاستراتيجيات والنتائج مر راسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٥، ص٣٩.

(٥٠) ابراهيم سعد الدين عبد الله، دور الدولة في النشاط الاقتصادي في الوطن العربي، قضايا عامة ونظرة مستقبلية، مصدر سابق، ص١٤٢.

(٥١) منير الحمش، الشركات المتعدية الجنسية، مصدر سبق ذكره، ص١٣٥.

الدولية وحلق شمال الاطلسي ضد الدول التي لا تنسجم توجهاتها مع الاهداف والمصالح الحيوية للولايات المتحدة، وان محاولتها في نشر مفاهيم العولمة ما هو الا لدعم موقعها بشبكة من اشكال الوجود العسكري بغية احداث تعديلات في موازين القوى المختلفة لصالح الهيمنة الامريكية باستخدامها العولمة المسلحة[٥٢]، ومن ثم عولمة الصراع باشكاله ووسائله المختلفة ومن ضمنها الحرب لاشراك دول كثيرة اخرى لا مصلحة لها بها او ربما تكون ضد مصالحها الوطنية ولكنه يخدم في نهاية الامر مصالح الولايات المتحدة الامريكية بالمرتبة الاولى ومن ثم حلفائها[٥٣].

واذا كان النظام السياسي الدولي في ظل الحرب الباردة القائم على التوازن بين القوتين العظميين يدعو في "الظاهر" لاستقلال الدول واحترام سيادتها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية. فان النتائج التي تمخضت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط النظم الاشتراكية في دول اوروبا الشرقية قد فتح الباب على مصراعيه امام الولايات المتحدة للترويج لـ(نظام دولي جديد) يدعو الى "الديمقراطية وحقوق الانسان ومحاربة الارهاب" يقوم على مبدأ سيادة الامن الدولي كبديل عن سيادة الدول ومن ثم تقوم المنظومة الامنية التي هي اساس ذلك النظام على دعائم ثلاث هي[٥٤]:

١. اساس مرجعي يتكون من مجموعة المعاهدات السارية التي تقيم نظاماً دولياً للتسلح وللتداول الدولي للاسلحة ولا يشمل ذلك النظام بالتأكيد الولايات المتحدة والدول الحليفة لها.
٢. اداة تنفيذ هي الحلف الاطلسي الذي يجري العمل على توسيع عضويته باتجاه الشرق وتوسيع منطقة عملياته باتجاه الجنوب.
٣. ان حلقة الوصل بين المرجعية التي تضفي الشرعية وبين اداة التنفيذ التي تحيل القانون الى قوة بطش هي مجلس الامن الجهة التي يناط بها اصدار القرارات في مسائل الامن الدولي.

ان هذه الطروحات المتعلقة بمفهوم الامن تهدف لتبرير التدخل الخارجي بمختلف شعاراته واشكاله وآلياته وهذا ما ساهم في ان يصبح (النظام الدولي الجديد) مجرداً من اية شرعية قانونية او اخلاقية على الرغم من ادعاء الولايات المتحدة الامريكية بأنها ملتزمة بالشرعية الدولية وتمنحها مصداقية، الا انها في الواقع بعيدة

---

(٥٢) حميد الجميلي، يوغسلافيا، الابعاد الاقتصادية للعدوان الامريكي-الاطلسي، مجلة الحكمة، العدد١٠، بيت الحكمة، بغداد١٩٩٩، ص٢٩-٣٠.

(٥٣) ضياء الدين جمال، اهداف الستراتيجية العسكرية الامريكية الجديدة، مجلة الحكمة، العدد٢٢، بيت الحكمة، بغداد٢٠٠٢، ص٣٣.

(٥٤) انظر تعقيب مجدي حماد على بحث جلال امين العولمة والدولة في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص١٩٦.

عن الشرعية في سلوكاياتها من خلال ممارستها لسياسة القوة والنهب والاخضاع، سياسة دكتاتورية عالمية اتخذت من القانون الدولي والشرعية الدولية ادوات لتنفيذ مخططاتها(٥٥).

وبذلك اصبحت سياسة التدخل والعمل على تغيير الانظمة السياسية التي لا تنسجم توجهاتها مع اهداف الادارة الامريكية بالقوة وهي "رؤية فلسفية امريكية لمستقبل النظام الدولي فبعد ان كانت الولايات المتحدة تدعم فكرة الحفاظ على الوضع الراهن اصبحت تتبنى فكرة تغيير الوضع القائم وان استلزم ذلك عدم احترام مبادئ السيادة الوطنية والتدخل بالشؤون الداخلية للدول الاخرى(٥٦).

ان المسألة الاساسية التي يجب التركيز عليها ان ظاهرة العولمة اخضعت مفهوم السيادة وغيره من المفاهيم الرئيسية في علم السياسة للمراجعة واعادة التعريف وبدأنا نلحظ موجهة من الكتابات(*) التي تشكك في المفهوم التقليدي للسيادة الوطنية لقائم على نموذج الدولة التي تراقب بشكل مستقل شكل ومضمون سياستها العامة وتعتبره اما مفهوماً مهجوراً او انه ينتمي الى تقليد مذهبي في طريق الفناء واما متجاوز نظرياً وغير نافع عملياً(٥٧).

ان محاولات اضعاف سلطة وتجريد السيادة من مضمونها الحقيقي يعرض الدولة الى خطرين كبيرين: الخطر الاول سلب السيادة ونقلها الى مؤسسات دولية

---

(٥٥) وجيه حميد زيدان، الولايات المتحدة الامريكية والارهاب الدولي رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، نقلاً عن ابراهيم ابراش، حدود النظام وازمة الشرعية في النظام الدولي الجديد في العرب وتحديات النظام العالمي الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٩، ص١٢٨.

(٥٦) مصطفى علوي، السياسة الخارجية الامريكية وهيكل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد١٥٣، يوليو ٢٠٠٣، ص٦٧.

(*) يشير الامين العام السابق للامم المتحدة بطرس بطرس غالي الى ذلك بقوله "من المقتضيات الفكرية الرئيسية لزماننا ان نعيد التفكير في مسألة السيادة لا من اجل اضعاف جوهرها الذي لم تعد له اهمية حاسمة في الامن فالتعاون الدولي وانما بقصد الاقرار بانها يمكن ان تتخذ اكثر من شكل وان تؤدي اكثر من وظيفة وهذه الرؤية يمكن ان تساعد على حل المشاكل سواء داخل الدول او في ما بينها.

انظر بطرس بطرس غالي، نحو دور اقوى للامم المتحدة، السياسة الدولية، العدد١١١، كانون الثاني ١٩٩٣، ص١١.

(٥٧) سعيد الصديقي، هل تستطيع الدولة الوطنية ان تقاوم تحديات العولمة؟ المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد٢٩٣، تموز/ يوليو ٢٠٠٣، ص٩١.

كمنظمة التجارة العالمية والمؤسسات المالية الاخرى او لصالح ترتيبات اقليمية "كالمشروع الشرق الاوسطي" او مشروع الشرق الاوسط الكبير[٥٨].

والخطر الثاني الذي يواجه الدولة القطرية هي مخططات التجزئة والتفتيت بادواتها الطائفية والعنصرية والتي تهدف الى "استيقاظ وايقاظ اطر للانتماء سابقة على الامة والدولة، اعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي.. والدفع بها جميعاً الى التقاتل والتناحر والافناء المتبادل الى تمزيق الهوية الثقافية الوطنية.. الى الحرب الاهلية[٥٩].

وفي ظل هذه التحديات الداخلية والخارجية عجزت الدولة القطرية عن تأسيس مفهوم قانوني وسياسي يعمل على "انضاج السياسات الوطنية العقلانية وتنمية مفهوم المسؤولية الاجتماعية وتنظيم التضامن الاجتماعي وتسهيل التواصل الانساني أي كممارسة لسلطة سياسية بالمعنى الحديث[٦٠].

وتأسيساً على هذه التصورات فان معالجة الاوضاع الداخلية يجب ان تكون لها الاولوية لانها المقدمة الضرورية الصحيحة لمواجهة التحديات وهذه مهمة تنطوي على "ضرورة توفير مجال مناسب لكل من السلطة او السياسة من ناحية وبين المصلحة الخاصة او السوق من ناحية ثانية وبين القيم او الاخلاق من ناحية ثالثة. اما السياسة فأداتها الرئيسية هي الدولة. واما المصالح الخاصة فان السوق هي الكفيلة بتحقيقها واما القيم فان المجتمع المدني هو الامين عليها. والمجتمع السليم هو ذلك المجتمع الذي يوفر مكاناً لكل من هذه المجالات في توازن دقيق بينهما[٦١].

وبأعتبار الدولة أداة السياسة الرئيسية واللاعب الاساسي بين بقية اللاعبين لابد لها ان تكون ديمقراطية ولكي تكتسب هذه الصفة يجب ان تتمثل فيها المبادئ والمؤسسات والآليات التالية[٦٢]:

١. الا يكون في الدولة الديمقراطية من حيث النص او على ارض الواقع سيادة لفرد او لقة من الناس على الشعب.

---

(٥٨) محمد ابراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص١٤٩.

(٥٩) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر اطورحات في العرب والعولمة، مصدر سبق ذكهر، ص٣٠٤.

(٦٠) مهيوب غالب احمد، الاصلاح الديمقراطي العربي بين برامج الداخل ومشاريع الخارج، المستقبل العربي، السنة ٢٧، العدد ٣١٤، نيسان ٢٠٠٥/٤، ص١٤٩.

(٦١) انظر تعقيب حازم البيلاوي على بحث اسماعيل صبري عبد الله، العرب والعولمة، العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة) في ندوة العرب والعولمة، مصدر اسبق، ص٣٩١.

(٦٢) لمزيد من التفاصيل انظر علي خليفة الكواري، مفهوم الحزب الديمقراطي، ملاحظات اولية، المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد٢٩٦، تشرين الاول ٢٠٠٣، ص٤٧، وما بعدها.

٢. الاخذ بمبدأ المواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات السياسية والقانونية على الاقل.
٣. التوافق على شرعية دستور ديمقراطي وهذا الدستور هو تعاقد مجتمعي متجدد وليس منحة او مكرمة او ما هو اقرب اليها، كما لابد للدستور الديمقراطي من ان يرتكز على اركان عامة مشتركة من حيث النص والتطبيق على ارض الواقع اولهما الشعب مصدر السلطات وثانيهما سيطرة احكام القانون والمساواة امامه وثالثهما عدم الجمع بين السلطات الثلاث ورابعها ضمان ممارسة الحريات العامة وخامسها تداول السلطة وفق آلية انتخابات دورية حرة ونزيهة.

وهكذا فان الديمقراطية في التحليل الاخير هي عملية تعبر عن صيرورة اجتماعية ولابد من خلق وانضاج شروطها الداخلية سواء أكانت اقتصادية (معدل معقول من التنمية الاقتصادية" ام اجتماعية "العدالة الاجتماعية وتقوية المجتمع المدني) ام ثقافية (نشر ثقافة سياسية ديمقراطية) ام سياسية (تفكيك الهياكل السياسية للاستبداد وتنمية القوى الديمقراطية واستعداد النظم الحاكمة لتقاسم السلطة مع قوى سياسية اخرى)(٦٣).

واذا كانت قدرة الدولة على الصمود في مواجهة تحديات العولمة تمثل شرطاً داخلياً فان استكمال هذه المهمة بشرطها الاخر يتمثل في ضرورة القيام بمراجعة شاملة ونقدية لحقيقة ان الوطن العربي كنظام اقليمي وعلى الرغم من كل معوقات القوة التي يمتلكها يعتبر من اضعف الانظمة الاقليمية واكثرها سلبية في التعامل مع المتغيرات الدولية.

ان واقع النظام الاقليمي العربي يشير الى ان العرب لا سبيل لهم في مواجهة تحديات العولمة الا من خلال الوسائل التالية:

١. تفعيل النظام الاقليمي العربي من خلال اجراءات بناء الثقة بين عناصره وهذا يتطلب تغليب لغة الحوار والاقناع على ما سواها والاقرار بان "ازمة الدول العربية يمكن التغلب عليها فقط اذا تحقق شكل من اشكال الاتحاد بينها فليس هذا الاتحاد ضرورياً للتنمية والتقدم فحسب بل انه المتنفس الحقيقي الوحيد للدولة العربية المختنقة(٦٤).
٢. العمل على تبني "اصلاحات سياسية واقتصادية تأخذ بالحسبان المصالح العليا للمجتمع العربي واعادة النظر في الاسس والقواعد التي تقوم عليها غالبية نظم

---

(٦٣) الدكتور حسنين توفيق ابراهيم، النظم السياسية العربية، الاتجاهات الحديثة في دراستها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥، ص١٤٥.
(٦٤) محمد عابد الجابري، اشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص٨٠.

الحكم العربية"[٦٥] والسعي لارساء ممارسة ديمقراطية حقيقية تمنح الانظمة العربية شرعية دستورية ورضا وتأييد شعبي.

٣. العمل على بلورة رؤية ستراتيجية واضحة لمفهوم الامن القومي العربي تسعى في حدها الادنى لتوحيد المواقف من الصراع العربي-الصهيوني والهيمنة الامريكية على المنطقة.

خاتمة

١. لا تخرج العولمة عن كونها نسق جديد من العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين مختلف دول العالم تتجاوز الحدود الجغرافية وتختصر المسافات وتتحدى مفاهيم السيادة. وهي اعادة انتاج نظام هيمنة جديد تحت شعار العولمة تكون الولايات المتحدة الامريكية هي الفاعل الرئيسي في هذا النظام على الرغم من الدعوة الى اعتماد الديمقراطية وحقوق الانسان.

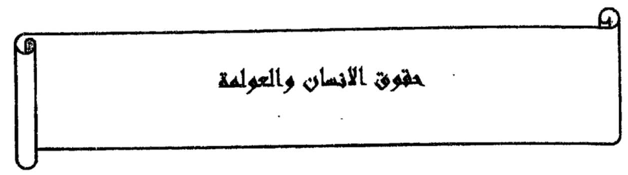
٢. ان فكرة اضمحلال الدولة وتراجع دورها هي من الافكار التي تناولها الفكر السياسي بدأ بـ(امانوئيل كانت) مروراً بـ(كارل ماركس) وبرترانددرسل واخيراً منظري العولمة ومع ذلك فان الدولة لم تختفي ولم ينحسر دورها كما تصوره هؤلاء المفكرين.

٣. التأكيد بأن دور الدولة يتسم بالصيرورة والتبدل ويختلف من مرحلة الى اخرى ويتأثر بالمتغيرات الدولية بدرجة كبيرة وعليه فان الفكرة المركزية التي يجب ابرازها هي ضرورة تكييف هذا الدور وتطوير استجابة ناجحة لمواجهة هذه التحديات وهذه مهمة تتطلب اعادة نظر شاملة في اساليب ادارة المجتمع والاقتصاد الوطني في اتجاه المزيد من الديمقراطية والمشاركة السياسية.

٤. ان قدرة الدولة الوطنية في مواجهة تحديات العولمة تبقى ناقصة ما لم يدعمها نظام اقليمي عربي تسوده لغة الحوار والاقناع والعمل على تبني اصلاحات سياسية واقتصادية تحقق لهذا النظام شكل من اشكال القوة والتأثير في المحيط الدولي تتناسب مع عناصر القوة التي يمتلكها الوطن العربي.

---

[٦٥] **باسل محمد حسن العزاوي، العولمة ومستقبل النظام الاقليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١، ص٢١٣.**



حقوق الانسان والعولمة

الاستاذ المساعد الدكتور
لطيف كريم العبيدي

المدرس المساعد
ياسين محمد الدليمي

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

أن حقوق الإنسان والعولمة آخذا يشغلان حيزا كبيرا في الفقه السياسي والقانون الدولي، والفكر السياسي بشكل عام في الحياة السياسية على المستوى الدولي وعلى المستوى الإقليمي وعلى المستوى المحلي.

ورغم التقاطع بين المصطلحين على المستوى العملي، إلا أن هناك من يعتبر بأن قضاء حقوق الانسان ينمو في ظل العولمة، والبعض الآخر ينحو عكس ذلك.

ولتسليط الضوء على هذين المفهومين من الناحية النظرية والعملية فقد جاء خيارنا لهذا الموضوع، وقد استخدمنا منهجين أكاديميين لإثبات صحة إحداهما وهما المنهج التاريخي الوصفي إضافة غلى المنهج التحليلي. وذلك وفق الهيكلية البحثية الآتية:-

المبحث الأول : تحديد المفاهيم والمصطلحات والأبعاد وهي تضم:-

أ. حقوق الإنسان مصطلحا سياسيا.
ب. العولمة مصطلحا سياسيا.
ج. البعد الزماني والمكاني لحقوق الإنسان والعولمة.

المبحث الثاني : عالمية و عولمة حقوق الإنسان و تضمن : -

أ. عالمية حقوق الإنسان .
ب. عولمة حقوق الإنسان .

المبحث الثالث: تحليل الفكر السياسي لحقوق الإنسان والعولمة وتضمن:-

أ. الجانب الفلسفي
ب. الجانب السياسي
ج. الجانب الإستراتيجي

ومن ثم الخاتمة والتي ستتضمن أهم النتائج والتوصيات .
وقائمة الهوامش والمصادر .

المبحث الأول
تحديد المفاهيم والمصطلحات والأبعاد

أ. حقوق الإنسان مصطلحا سياسيا:

حقوق الإنسان اصطلاحا يعنى بكافة الحقوق الضرورية والمهمة والتي لا يستطيع الإنسان أن يؤدي دوره في الحياة دون وجودها. والحق كلمة لها كثير من المعاني وحسب وجودها في مجال الجملة، ومن معانيها " الحق مصلحة مستحقة شرعا والحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا " وموضوعة حقوق الإنسان تعني مبدئيا أن الإنسان يمتلك حقوقا لمجرد كونه إنسانا بعيدا عن جنسه أو لونه أو لغته أو أصله العرقي أو القومي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وهذه مرتبطة ولصيقة به ويجب على جميع البشر من مجتمعات أو حكومات أن تعترف بكرامة وحقوق الفرد وأن تنميته هو أساس العدل ودعامة السلام ، وحقوق الإنسان هي حقوق طبيعية لا تعطى ولا تمنح ولا توهب من احد لأحد فهي حقوق أصيلة متأصلة في طبيعة الإنسان وهي نابعة من صميم كيانه، فليس للمجتمع أو الدولة أو السلطة أو أي قوة ذات تأثير تدعي أنها صاحبة الحق أو الفضل منها للأفراد. في هذا الإطار من الفهم نجد أن مفهوم "حقوق الإنسان" قد ورد في المادة الاولى من الاعلان العالمي لحقوق الانسان (يولد جميع الناس احراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق)[1].

وكذلك أريد به " مجموعة من الحقوق متصلة بتصور معين للإنسان يقوم في جوهره على الحرية يمكن لكل فرد بصفته تلك أو بصفته عضوا في المجتمع وجزء " من الإنسانية من قدرات وإمكانيات في علاقاته مع الآخرين ومع مجموع السلطات[2] وحقوق الإنسان هي حقوق فردية وجماعية وهذه الرؤية قررتها مسيرة التطور التاريخي لحركة حقوق الإنسان، وان الإنسان بصفته الإنسانية المجردة يمتلك مجموعة من الحقوق التي تلازم وجوده وتفرض على الآخرين احترامها لأن احترامها هو جزء من احترام الشخصية الإنسانية وشرط من شروط استقامة الحياة الإنسانية .

أن الأهمية التي حظيت بها حقوق الإنسان في الوقت الحاضر جاءت بفضل التقدم الكبير الذي وصلت اليه البشرية في مجالات الحياة، منها التطور الفكري والوسائل المعتمدة في الحياة ومنها هذه الفكرة " حقوق الإنسان " حيث إنها خضعت للقانون

---

(١) الاعلان العالمي لحقوق الانسان، المادة الاولى.

(٢) عبد الفتاح عمر، حقوق الانسان والتحول الحضاري في العالم اليوم، المجلة العربية لحقوق الانسان، العدد ١، لسنة ١٩٩٤، ص٩٥ .

وتأثرت به فهي لم تعد كما كانت في الماضي أسيرة القيم والمفاهيم المجردة أو تحت طائلة الأماني التي يرغب فيها الإنسان دون أن يحققها، حيث شهدت الفترة الحالية تحولا كبيرا في مسألة الاعتراف بهذه الحقوق من أطر وطنية وقومية ضيقة ترتبط بقيم وفلسفة كل شعب وأمانيه إلى أطر وآفاق إقليمية وعالمية واسعة معمقة الاتجاه الجماعي التضامني على صعيد تنسيق العمل أو تطور الأفكار، حيث يمكن أن نطلق عليه الآن عصر التنظيم الدولي الجماعي، وتماشيا مع هذا العصر نلاحظ توسع دائرة الاهتمام والوعي بقضية حقوق الإنسان متبنية فهم العالمية ولا غية الخصوصية التي كانت في العصور القديمة، حيث أصبحت هذه القضية قضية عالمية لا تخضع لسياسة كل دولة على حده وإنما أصبح الدور للمنظمات الدولية العالمية إلى جانب الدول حيث شهد العالم حركة عالمية وميدان عمل حي لحماية حقوق الإنسان في ظل الكثير من المنظمات الدولية التي تهتم بهذا الجانب .

ب. العولمة مصطلحا سياسيا:

العولمة لفظة تعني الشيء على مستوى عالمي، وتفيد في تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة ليصبح العالم كله بأفاق اللا محدود، إطار الحركة فيه متجاوزا الحدود الجغرافية المعرفة للدول، وهذه الحركة تعد نمطا من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية الخاصة بأمة معينة على جميع أنحاء العالم، وتشير المصادر على إنها تعني المزيد من الاندماج في الأسواق والسلع والخدمات ورؤوس الأموال انسجاما مع الاندفاع السريع لتحرير التجارة الدولية وأسواق رأس المال وغيرها من الشؤون الاقتصادية، وبدايات يرونها كان في هذا المجال وكنتاج للثورة العلمية والتكنولوجية التي مثلت نقلة نوعية في تطور الرأسمالية العالمية، وهي بهذا إنتاج للرأسمالية العالمية. لقد اتفق الكثير من الباحثين الاجتماعين والاقتصاديين والسياسيين على إنها ظاهرة ذات جذور تاريخية وثيقة الارتباط بالتحولات الكبيرة في نمط الإنتاج الرأسمالي وهذا النمط وظيفته خلق إنتاج تكون السوق العالمية قاعدته، إلا إننا لا يمكن أن نركز على الجانب الاقتصادي والمالي للعولمة فأن هناك جوانب سياسية وحضارية وثقافية وإعلامية وعسكرية وفكرية وايدلوجية، هذه الجوانب مكتسبة طابع العالمية وتكون متلاحمة غير قابلة للفصل بين الداخل والخارج، ولو عرجنا عن مجمل التعاريف التي شارك فيها الكثير من الباحثين من عرب وأجانب نجد هناك قياسات مشتركة بين هذه التعاريف وهناك اختلاف في الرؤية تعتمد على أراء كتابها ضمن سياق الفهم العام لهذه الرؤى فمنها ما يعطي رؤية اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو إيديولوجية، إلا أن مجمل الفهم العام للعولمة هو رفع جميع الحواجز الجغرافية والكمركية والإدارية أمام حركة التجارة والمال والتقنية والمعلومات من اجل جعل

العالم قرية صغيرة تسيطر عليها دولة عظمى[3]، وقاعدتها الأساسية هي التي أوضحتها اتفاقية التجارة الدولية (الجات) والتي تقوم على تركيز الصناعة والتكنلوجيا والتنمية والتقدم الاقتصادي الشامل في الدولة ذات القاعدة المؤهلة الآن وهي دول الغرب الصناعي و دول العالم الثالث تتحول إلى دول مستهلكة وأسواق رائجة لصناعة الدول الكبرى والى مصادر للمواد الطبيعية والأيدي العاملة الرخيصة اعتمادا على قاعدة تقيم العمل وتحديد التخصيص، إذن العولمة بهذا المعنى هي إفراز التطور الرأسمالي في ظل هيمنة دول المركز ونظام عالمي جديد للتبادل غير المتكافئ، وعلية ظهرت الحاجة إلى أسواق الدول الصناعية من خلال سوق عالمية واحدة، وهذا استعمار جديد وليس ثوبا جديدا من خلال الشركات متعددة الجنسيات أو نظام دولي جديد يريد فرض سيادته عن الجميع من خلال وسائل الإعلام ووسائط الاتصال الاجتماعي ومفاتيح التقدم التقني لا الوسائل التقليدية للحروب القديمة كالمال والسلام، وعلية فأن اتساع نطاق العولمة السياسي للنظام الأمريكي تكلفت المنظمات الدولية بعولمة القانون الدولي والشرعية الدولية وحقوق الإنسان وعولمة مواثيق نظم الحرب والسلم وطرائق التعاون الدولي، وبذلك عولمة السياسة في أوسع معانيها التي تشمل تنظيمات الحكم وشروط التعاون الدولي والعلاقات الدولية العامة وأصبح المجتمع الدولي يضبط دقائق هذه العولمة ويتحكم بها من اصغر مكوناتها، وبأشراف الأمم المتحدة بمرافقها وعلى رأسها مجلس الأمن، حيث كثرت الذرائع في تدخل الدول الكبرى في شؤون الدول الصغرى أو فرض عقوبات على الدول بأشكال متعددة، تارة بأسم الشرعية الدولية وتارة بأسم حقوق الإنسان، أو حقوق الأقليات أو حتى باسم الديمقراطية[4] وبسبب عدم وجود في اللغة العربية اصل كلمة العولمة سماها بعض المفكرين العرب بـ"الكونية"[5] و"العولمة" و"الليبرالية الجديدة"[6] ومن التعاريف للدولة في قاموس "وبستر" " اكتساب الشيء طابع العالمية جعل نطاقه وتطبيقه عالميا[7] وعرفها "روبرت سون" بأنها "اتجاه نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد

---

[3] انتصار عبد الواحد العكيلي، ايديولوجيا العولمة، رسالة دبلوم المعهد العالي، الجامعة المستنصرية سنة ٢٠٠٤، ص١٧.

[4] د. لطيف كريم محمد / العولمة في الفكر السياسي المعاصر / مجلة بحوث و دراسات الوطن العربي العددان ٦ - ٧ بغداد / ١٩٩٩ / ص٦٣ .

[5] محمود خالد المسافر - العولمة الاقتصادية - هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب ط ١ / بيت الحكمة / بغداد / ٢٠٠٢ / ص٨٧ .

[6] سيار الجميل - العولمة- الموضوعي والذاتي في المشهد العربي الراهن / صحيفة الزمن / بغداد / العدد (١٦٩٧) ٢٠٠٣ .

[7] عبد الخالق عبداللة / العولمة - جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها - مجلة عالم الفكر / العدد (٢) / الكويت ١٩٩٩ ص٤٣ .

والمجتمعات بهذا الانكماش"[8] كما عرفها "كلينتون" "عملية فتح الحدود للأفكار والمعلومات والانسان والثروة والتكنولوجيا للعبور بحرية بين الدول"[9]. كما أنها تعني نشر وتعميم مفاهيم الديمقراطية الليبرالية وما يتبعها من رخص للسلطوية والشمولية في الحكم وإبدالها بالتعددية السياسية والالتزام بحقوق الإنسان واستخدام الأمم المتحدة في حماية حقوق الإنسان، والأقليات والتدخل الدولي الإنساني. ومن خلال التعاريف المتعددة للعولمة والتي اختلفت كما ذكرنا المحاولات في إعطاءها الصورة الواضحة والأبعاد الحقيقية إلا انه يمكن تشخيص أربعة أبعاد أساسية لهذا المفهوم وهي الأبعاد السياسية التي توضح قضايا سياسة عالمية جديدة ومرتبة بالوضع الدولي الجديد، وأبعاد اقتصادية وتشكل بمجملها العولمة الاقتصادية، وأبعاد اجتماعية يبرز فيها المجتمع المدني العالمي الجديد وتشكل فئة العولمة الاجتماعية ،والبعد الثقافي الذي يشير إلى بروز الثقافة والوعي والإدراك ووسائط ثقافية عالمية[10].

ج: البعد الزماني والمكاني لحقوق الإنسان والعولمة:

أن العولمة مشروع محتمل لنظام عالمي جديد ،اقتصادي وثقافي يسعى إلى تهجين العالم وتجريده من خصوصيات وفرض وضع كوني للحداثة يحمل قيم القوة العظمى في العالم وهذه القوه هي العنصر الفاعل الرئيسي والوحيد في عملية إنتاج هذا النظام وخصائصه ومزاياه الجديدة تحت غطاء العولمة[11]. وكثير من المفكرين يرون أن هذه العولمة " عولمة زائفة " لأنها تدور في الحيز الأمريكي ومنهم المفكر الفرنسي " ريجيس دو بريه " وان نمطها السياسي والاقتصادي والثقافي نمطا أمريكيا ويرى أنها أشبه بتمويه الطابع المحلي بطابع شمولي جامع، وهي ثقافة مطبوعة بطابع الشمال تحديدا، ومن هذا الفهم نجد أن العولمة قد تعني " الأمركة"[12] ويمكن أن نعرف أن العولمة هي حقيقة مادية وتعد خطرا إستراتيجيا يهدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي لدول العالم ويهدد هويتها القومية[13] وقد اختلفت أراء علماء الاجتماع السياسي في بدايات ظهور العولمة، فيرى البعض أن بداياتها تعود إلى النظام الإقطاعي في العصور الوسطي في أوربا الذي غلبت علية سمة الدولية والعالمية،

---

(8) نفس المصدر.

(9) محمد الجوهري / العولمة والثقافة الإسلامية / ط١ / دار الأمين / القاهرة ٢٠٠٢ / ص٢٦.

(10) عبد الخالق عبد الله / تعقيب / ندوة العرب والعولمة / ط٣ / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت / ٢٠٠٠ / ص٥٢.

(11) كامل حيدر/مأزق العولمة المؤمركة/في كتاب العولمة واثرها في الاقتصاد الغربي/بيت الحكمة/بغداد ٢٠٠٢ ص١٥٣.

(12) ريجس دوبريه، جان زيغلو / كي لانستسلم / المركز العربي / بيروت ١٩٩٥ ص١٤.

(13) د. لطيف كريم محمد / مصدر سابق / ص٥٣.

ومنهم من يحددها بعد الثورة الفرنسية، منطلقا من مبادئ هذه الثورة في مجال حقوق الإنسان التي حسبتها في مجال الحرية والإخاء والمساواة وحق تقرير المصير وأظهرتها لائحة حقوق الإنسان التي أقرتها الجمعية الوطنية الفرنسية عام (١٧٨٩) كما أن الفترة التاريخية أبان حرب نابليون بونابرت قد كانت توجهاتها نحو تحقيق عولمة بوسائل سرية[١٤] وعندما نادى الطبيعيين بحرية النشاط الاقتصادي وعدم تدخل الدولة فيه في منتصف القرن الثامن عشر، وصفوا بذور الفكر الاقتصادي الرأسمالي الحر وقوام العولمة الاقتصادية، وظهور الشركات المتعددة الجنسية والتي أدت إلى الحاجة إلى التوسع وغزوا أسواق جديدة[١٥]. أما المفكرين الذين راو أن العولمة قد ظهرت في القرن العشرين وخاصة فترة الأربعينات قد أعطوا مراحل عدة في ظهور ها في هذه الفترة، ففي مراحلها الأولى ظهرت مع مشروع مارشال الأمريكي عام ١٩٤٧ لأعمار أوربا بعد الحرب متمثلا بظهور عدة منظمات تأخذ صفة العالمية، أما المرحلة اللاحقة فهي بدايات النصف الثاني من عقد الخمسينيات ، حيث ظهرت سوق مشتركة ضمن معاهدة روما، وسوق أوربية مشتركة ومن ثم اتحاد اقتصادي ونقدي، أدى إلى ظهور فضاء اقتصادي وتجاري ونقدي واجتماعي أوربي يعد حجراً إضافيا في بدايات بناء العولمة،غير ان المفكرين الذين رحبوا بظهور العولمة في هذه المراحل تحدثوا عن العالمية وليس العولمة، لان الفارق بين العالمية والعولمة واضح واحدهما تلغي الأخرى، فقد تبنت العالمية القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافة والديمقراطية أنما العولمة تخص التقنيات والسوق والسياسة المعلوماتية[١٦]، أما المرحلة القريبة وتحديدا عام ١٩٨٥، بإعلان الرئيس السوفيتي (غورباتشوف) بانتهاج سياسة (بروسترويكا) من أصلاح وانفتاح، وسقوط حائط برلين عام ١٩٨٩، والحرب العراقية الكويتية وما لحقها من إطاحة بكل المعادلات والتحالف، وأدت إلى هيمنة الولايات المتحدة الامريكية على العالم، من هنا نفهم ان التوجه الديمقراطي على المستوى العالمي يمثل أحدى سمات عصر العولمة بقيادة الولايات المتحدة متخذة من فكرة التعددية السياسية والتي تقوم على مفاهيم التعددية البنوية والتداول الحر بين القوى السياسية واحترام منظومة حقوق الإنسان رغم ان هذه الديمقراطية فيها من المناورة

(١٤) طاهر خلف البكاء / رؤية تاريخية في العولمة والوقت المناسب منها / مجلة دراسات في التاريخ والآثار / العددان ١٢-١٣ / الجامعة المستنصرية بغداد / ٢٠٠٢ ص٢٦٧.

(١٥) عبد الكريم عامر/العولمة واثرها على مستقبل الأقتصاد اليمني/جامعة صنعاء / صنعاء ٢٠٠٠ ص٢.

(١٦) سيرج لاتوش / العولمة ضد الاخلاق / مجلة شوون الشرق الاوسط / العدد (٧١) مركز الدراسات الستراتيجية للبحوث والتوثيق / بيروت / ١٩٩٨ / ص٩٩.

السياسية والتلاعب بالألفاظ والمغالطات الكثيرة، فتشجع الدول التي لا تخضع لسيطرة الغرب .

انتهاج مبدأ الديمقراطية تشجيعا سلميا او حتى بالضغط لغرض تحولها من القوى الاخرى المنافسة، وتكون هناك ثغرة للتدخل في شؤون هذه الدول باسم الديمقراطية أو حقوق الإنسان أو الأقليات، ونلاحظ مسألة مهمة في هذا المجال، ان القوى العظمى تحاول وعلى أساس تطبيق فكرة الديمقراطية ان تجعل نظام الحكم في هذه البلدان لامركزياً مما يفقد الحكومة القدرة على السيطرة وفرض الضوابط المناسبة والتي تبني سياسيات تحررية اقتصادية(١٧) وهنا لابد ان ننوه إلى أن حقوق الإنسان لا تمارس بشكل مطلق او منفلت بل تمارس بشكل محدود ومشروط قانونا وحسب متطلبات الزمان ومكان أي ان هناك خصوصية وقيود على ممارسة حقوق الإنسان وهي ليست قيود رغبوية مزاجية بل هي قيود مقننة تتوزع ما بين محددات أمنية تتصل بالمصلحة العامة او النظام الوطني والقومي للدولة وأخرى محددات تتصل بالمصلحة العامة والنظام العام والصحة والكوارث الطبيعية .

وخلاصة القول: أننا نميل إلى الرأي الذي يحدد البعد الزمني والمكاني بالفكرة التي تؤكد على ان بداية العولمة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وذلك للدور الجديد الذي أفرزته هذه المرحلة للولايات المتحدة سياسيا وعسكريا واقتصادياً، كما أن هذه الفكرة (العولمة) ارتبطت بنمط الحياة الامريكية لأنها أخذت طابع الهيمنة رغم ان بدايتها اخذ طابع التعاون مع أوربا، ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي تفردت امريكا بنمط الحيات السياسية والعالمية نظرا لقدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والإعلامية وظهرت بشكل واضح في حرب الخليج الاول والثانية، وبرز القطب الواحد وبذلك أصبحت العولمة حقيقة واضحة وليس خيالا كما يذكر بعض الكتاب ،فأصبح هناك دور كبير لأمريكا في عولمة قول القانون الدولي وقواعد حقوق الإنسان ومسألة حقوق الأقليات مما أعطى لها دورا بارزا للتدخل في شؤون العالم الداخلية والخارجية بأسم حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، المسألة الديمقراطية، قضايا الغذاء وحق تقرير المصير، فلسفة البحث عن أسلحة التدمير الشامل، وأصبحت تسيطر المنظمات الدولية والاقليمية والعالمية، إضافة إلى تكوينها تحالفات وجيوش تتخطى حدود الدول، وأصبح لها قواعد لعابرة القارات ثابتة ومتحركة بحجة ما ذكر سابقا، كما ان المنظمات الاقليمية والدولية والإنسانية اخذ يشير بركب الولايات المتحدة طوعا او كرها طبقا لنفوذها وهيمنتها وقدراتها المتعددة .

(١٧) د. رياض عزيز هادي / العالم الثالث اليوم / قضايا – تحديات / ط١ / دار الشؤون الثقافي العامة / بغداد / ١٩٩٧ ص ٧٤ .

المبحث الثاني
عالمية وعولمة حقوق الانسان

أولا: عالمية حقوق الأنسان :

نقصد هنا بالعالمية هو سمو القيم والأهداف الأخلاقية والارتقاء الحضاري الإنساني بهدف تعميق العمل العالمي المشترك الخاص بالقضايا والمشكلات والمتطلبات الإنسانية، أي خلق شعور وإحساس عالمي مشترك تجاه هذه القضايا التي تخص الإنسان، هذه النزعة الإنسانية العالمية أنما هي تهدف الى تحقيق طموح أنساني مشترك يتمثل بتقارب التيارات الفكرية والفلسفية والعقائدية، ينبثق من الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر، وهذه الأفكار قديمة في تاريخ الحضارات والفلسفات العقائدية والسياسية. فالمسيحية قد اقتبست فكرة الإخاء العالمي واقتبست فكرة القانون الطبيعي فيما بعد كما هي الأفكار الخاصة بالمساواة والإخاء والعدالة قد طرحها الرواتيون حيث تولدت النظرية السياسية العالمية فجميع الأفراد طبيعيا أخوة ومواطنون في جمهورية عالمية واحدة[١٨]. وأفكاره هذه منبعثة من فهم الخلاص للجنس البشري وهي عالمية الفكرة لأنها حسبما جاء في انجيل متي " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بأسم الرب والأبن وروح القدس"[١٩] و"ليس هناك يهود وإغريق ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى فكلهم سواء في يسوع المسيح"[٢٠] أذن المسيحية دين عالمي وأفكارها ومعتقداتها عالمية. أما الشريعة الإسلامية نجد أنها عالمية المعتقد حيث أن الفكر الإسلامي جاء فكرا إنسانيا شمل جميع الناس دون اختصاص بفئة او ملة او زمن وكل أفكاره ومفكريه اتصفوا بعالمية الطروحات الا انه لا يلغي الخصوصية العربية التي ظهرت في آيات القرآن الكريم وان كانت هذه الخصوصية منسجمة مع عالمية الفكرة، ففي الآيات الكريمات من القرآن الكريم." وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا"[٢١].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[٢٢] معتمدا مبدأ المساواة بين الناس، كما انه عزز مسالة الإنسان دون أعتبار لدينه او جنسه او مركزه، وقد قفل حقوقه وصانها وحماها ووضع قوانين وتشريعات وقواعد تنظم حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وبشكل عالمي أي لكل الناس رغم ان هنا كل النبس يقصد بها المؤمنين

---

[١٨] د. غانم محمد صالح – الفكر السياسي القديم – بغداد – جامعة بغداد / ١٩٨٠ ص١٤١ .

[١٩] انجيل متي ص ٢٨ – ٢٩ .

[٢٠] المصدر نفسه ص ٢٨- ٣٠ .

[٢١] سورة سبا الايه (٢٨) .

وأصحاب التوجه الإيماني العالي حيث حدد مسألة التقوى هي الفيصل بين الناس جميعا " لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى " وكان واجبا على الدولة الإسلامية في كفالة الحرية للفرد المسلم ولذا في مقولة الشيخ الجزائري "عبد الحميد بن باديس" مثلا في ذلك حيث قال " حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة،ومقدار ما عنده من حياة هو ما عنده من حرية والمعتدى عليه في شيء من حريق كالمعتدى عليه في شيء من حياته. وما انتشر الإسلام في الأمم إلا لما شاهدت فيه تعظيم للحياة والحرية ومحافظة عليها وتسوية بين الناس فيها مما لم تعرفه تلك الأمم من قبل لا من ملوكها ولا من أحبارها ورهبانها[٢٢] كما يكفل الإسلام حرية الحقوق كافة ويبطل كل توجه فردي باتجاه اغتصاب حقوق الآخرين حيث نظم العلاقة في الوراثة والحقوق بين الذكر والأنثى ولم يخصص في ذلك حيث قصد عموم الناس[٢٣]. وفي العصر الروماني تجسدت نظرية شيرشون عن القانون الطبيعي بأنه قانون عام ينبثق من واقع العناية الإلهية للعالم، وهو قانون يماشي الطبيعة وينطبق على كل الناس وهو قانون خالد ولا يتغير، وان العالم فيه عالم واحد له قانون واحد صالح لجميع الأمم ولجميع الأوقات[٢٤]. وفي العصر الحديث نشأت هناك فلسفتان كل واحده منهما تنظر إلى مسألة حقوق الإنسان من زاوية وأيديولوجيا خاص بها، فالرأسمالية التي قدست الحرية الفردية من خلال ما طرحته من أفكار ومعتقدات مستندة إلى أفكار ادم سميث وريكاردو (دعه يعمل دعه يمر) ولكن بنفس الوقت أهملت التوجه الإنساني للناس الفقراء ولم تنصفهم ،والفلسفة الثانية هي الماركسية والتي تتقدم على مبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج وبنفس الوقت مثلت الإبداع الفردي والحقوق الفردية، وصبح هناك صراع بين هاتين الفلسفتين انتهى بسقوط الفلسفة الماركسية عام ١٩٩، وذكر ذلك (فاكويا ما) في كتابة نهاية التاريخ .

إن التطور الرأسمالي المعاصر قد أنتج فكرة عدم اعتماد الحدود القومية لمصالح القوى الكبرى ،حيث لم يعد مفيد لهذه القوى تنمية اقتصادها وإدارتها إلا في إطار عالمي يساعدها في ذلك الاختراق الثقافي لدول الجنوب على ضوء معطيات الواقع الاقتصادي والتكنولوجي الذي افرز بضائع ومواد مكدسه تبحث عن سوق عالمية للمدخرين.

---

(٢٢) سورة الحجرات، الاية ١٣.

(٢٣) محمد سليم العوا / الحرية في أصولها الإسلامي / الانترنيت **http.llwww cdhrap net** .

(٢٤) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الاول، ط٤، القاهرة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢، ص١٧٤.

ثانيا : عولمة حقوق الإنسان :

إن ظاهرة العولمة ومنها عولمة حقوق الإنسان ليست ظاهرة حديثة وليست وليدة عصرنا الحاضر بل لها أصول تاريخية ويمكن لنا إن نجدها منتجة في تطور الرأسمالية الصناعية الحديثة وقبلها ظهور تنظيمات الدولة ومؤسساتها فتمثل ذلك في القرون التاسع عشر وكان استعماريا عسكريا،والقرن العشرين وكان إمبرياليا سياسيا وان القرن الحالي سيكون بغطاء اقتصاديا علته الحالة الإنسانية كضياع الحقوق الإنسانية وحجبه فرض نظاما سياسيا ديمقراطيا للشعوب.

إلا إن ما يخص حقوق الإنسان فأن العولمة قد تكون أكثر وضوحا بعد نهاية الحرب الباردة وشيوع الأسلحة النووية والذرية حيث زادت كثيرا الحركات العالمية و المؤسسات التي تنادي بالحقوق الفردية المدنية وأصبحت أكثر وضوحا وزاد الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي والمواطنة العالمية مكونا ما نسميه الآن بالنظام العالمي الجديد، الذي تهدم فيه حائط برلين ومعه منظومة أوربا الشرقية ومن ثم الاتحاد السوفيتي حيث انفردت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى هيئت الأجواء لإيجاد نظام اقتصادي جديد، وهيمنت الولايات المتحدة على النفط العالمي وهواهم مصدر من مصادر الطاقة فأصبحت تحكم العالم بمشيئتها وبهذا تهدمت الأسوار التي كانت تحمي بعض الأمم من تيار العولمة، وانتهت عزلة كثير من دول العالم وخاصة دول أوربا الشرقية والصين، فاندمجوا راغبين أو مضطرين إلى الدخول إلى تيار العولمة ومن إفرازات ذلك زيادة السلع والخدمات في العالم ،زيادة السكان، تبادل المعلومات والأفكار وأصبح عنصرا غالبا في العلاقات الدولية، وتوسيع الشركات متعددة الجنسية وما حصل من تغيير ملحوظ في مركز الدولة بعد نمو العلاقات بين المجتمعات[٢٥].

ومن خلال رصد كتابات المفكرين في هذا المجال نجد إن هناك الكثير من الأفكار التي تدور حول مفهوم العولمة فيما يخص الإنسان في عموم الأرض وعلى اختلاف الأنظمة السياسية منها فيما يخص البعد الاقتصادي. للعولمة وما يتأثر المجتمع بالمؤثرات الاقتصادية غير المعهودة في السابق ومنها البعد الثقافي حيث ظهور مفاهيم ووعي وإدراك وقناعات ووسائل ثقافية متنوعة سوقت كسلعة تجارية، وفيها أيضا البعد السياسي الذي تمثل في هيمنة القطب الواحد على مجمل القضايا السياسية العالمية وأيضا البعد الاجتماعي الذي يستوضح من خلال بروز المجتمع المدني العالمي وعموم القضايا الاجتماعية الإنسانية والتي تجسد العولمة الاجتماعية[٢٦]. وهناك ملاحظات

---

[٢٥] د. جلال امين – العولمة والدولة / بحث في العرب والعولمة / ط١ / بيروت مركز دراسات الوحدة العربية / ١٩٩٨ /ص ١٥٥ .

[٢٦] عبدالله عبدالله / في كتاب (العرب والعولمة) مصدر سابق / ص ٥٢ .

عامة تخص العولمة لابد للبحث انه يشير لها عند الكتابة عن موضوع مهم كموضوع العولمة فيما يخص حقوق الإنسان وعلاقة ذلك بالنظام السياسي الدولي الجديد فنلاحظ:

أولا : تقلص سيادة الدولة في عصر العولمة وانحسار قوة الدولة لاسيما في البلاد الأقل نموا حيث تحولت الدولة في نظر الكاتب (سمير أمين) من دولة نامية إلى دولة قاصرة لأنها تعمل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا تحت وصاية دول كبيره[٢٧].

ثانيا : إن العولمة تعني فيما تعنيه إذابة الدول الوطنية وإلغاء الحدود القومي في المجالات الاقتصادية والمالية والتجارية[٢٨].

ثالثا : في زمن العولمة هذا يسود الأمر الدولي بدلا من سيادة الدول ذاتها .

رابعا : تقوم على مبدأ طمس السيادة وحمايتها والإيتاء ببدائل عنها هي الديمقراطية – حقوق الإنسان–حرية السوق).

خامسا : ظهور ظاهره الإخضاع العسكري بدلا من الحرب الباردة .

سادسا : ظهور المفاهيم الجديدة (الإرهاب) (موجات الهجرة) و(الحد من التسلح) (مراقبة التسلح).

أن من المظاهر السياسية للعولمة هو اهتمامها الكبير لمسالة مهمة إن مسائل العصر وهي قضية حقوق الإنسان التي اعتبرت مسألة عالمية وأضحت مقاييس شرعية أي نظام حكم بمدى التزامه واحترامه وتطبيقه لهذه المسألة وهذا ما نلاحظه من الكم الهائل من المعاهدات والاتفاقيات والعهود الدولية والتي كان أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصبح يمثل المرجعية الدولية لحقوق الإنسان، كما شكلت لجان ومزق عمل متعددة مختصة بحقوق الإنسان في الأمم المتحدة واحتلت هذه اللجان واليات عملها ثقلا نوعيا وكميا مهما في دبلوماسية الدول وذلك للدور المتنامي لقضية حقوق الإنسان في السياسة الدولية كما شكلت محاكم دولية حياتية لمحاكمة منتهكي حقوق الإنسان[٢٩]. وكما ذكرنا في المباحث الماضية فأن هذه القضية أصبحت من القضايا المهمة والأدوات الأساسية في نطاق الاستراتيجيات الدولية، حيث أصبحت قضية حقوق الإنسان ذريعة كما هو الحال في الديمقراطية، ومسألة الأقليات، وقضايا اخرى كحجة التدخل في الشؤون الداخلية لكثير من الأنظمة السياسية، فأصبحت إعداد التقارير السنوية عن انشطا كانت حقوق الإنسان في كل دول العالم، وتتبعها أدانه أمريكية ومن ثم تصبح ادانه عالمية، مما يضفي الشرعية لتدخل تحت هذه الذرائع

---

(٢٧) محمد محمود الامام / تعقيب على بحث جلال امين / العولمة والتحولات الاجتماعية ص٨٨ .

(٢٨) المصدر نفسه /ص١٠١ .

(٢٩) باسل يوسف/دبلوماسية حقوق الانسان المرجعية القانونية والاليات بغداد/بيت الحكمة/٢٠٠٢ص ١١٠.

الإنسانية، وهذا ما أكده تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة (خافير دي كويلار) بمقولة "بأن الالتزام الأخلاقي للدفاع عن المضطهدين يجب أن تكون له الأفضلية فوق احترام الحدود والوثائق القانونية[٣٠] وأيضا هذا الكدمة اتفاقية برلين عام ١٩٩١ عندما جعل أحقية الدول الاعضاء في المؤتمر بأن تتدخل لوضع حد لانتهاكات حقوق الإنسان والقوانين الدولية داخل أي دولة عضو في المؤتمر، كما أقر حق التدخل في الشؤون الداخلية من خلال التقرير السنوي للامين العام للأمم المتحدة في عام ١٩٩١[٣١]، ومشروع كوفي عنان عام ١٩٩٩ الذي يسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول بأسم الأمم المتحدة تحت ذريعة حماية حقوق الإنسان[٣٢] ومن هنا نرى إن مسألة حقوق الإنسان أصبحت مسألة عالمية أصبح فيها التدخل في شؤون الدول تدخلا إنسانيا وعرف هذا على انه التهديد العسكري أو التدخل العسكري الفعلي من قبل دولة أو مجتمع محارب بهدف حماية حقوق الإنسان[٣٣] وما كان في البوسنة والهرسك وكوسوفو وأفغانستان، إلا شاهد ودليل على ذلك وما الحرب على العراق بحجة أسلحة الدمار الشامل وتحت ادعاء مساعدة الشعب العراقي وتخليصه من الدكتاتورية المتسلطة إلا دليل وحجة أخرى لهذا الأمر. وصفوة القول إن هناك ذرائع كثيرة ومتعددة تسعى لها دول الشمال ضد دول الجنوب لكي تحقق الهيمنة والنفوذ والسلطة، والتطبيق العملي لهذه الذرائع هو الوصول إلى حكومة مركزية عالمية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وتلغي فيها سلطات الدول الإقليمية والقومية والوطنية.

---

[٣٠] ضاري رشيد الياسين / سياسة التدخل الامريكي في العالم / قضايا شرم او سطية / مركز دراسات الشرق الاوسط / الاردن ١٩٩٩ ص ٤٤

[٣١] د. رياض عزيز هادي /العالم الثالث والنظام الدولي الجديد / اراء ومواقف دار الشؤون الثقافية / بغداد / ١٩٩٢ ص٢١٠ .

[٣٢] رعد كامل الحيالي / نظريات معاصرة في الصراع الحضاري /ط١ / شركة الخنساء بغداد / ٢٠٠٢ ص٦٥ .

[٣٣] حسين مصطفى احمد الجنابي / الوضع الدولي الجديد وانعكاسات على القضايا القومية / رسالة ماجستير غير منشور / الجامعة المستنصريه / ٢٠٠٣ ص٧٥ .

المبحث الثالث
تحليل الفكر السياسي لحقوق الإنسان والعولمة

أولا: الجانب الفلسفي :

في خضم الظروف التي يعيشها العالم اليوم هناك من يتحدث عما يسمى (أخلاقيات العولمة) وما تفرزه هذه المسميات من تحديدات للمسؤولية في جميع مبادئ الفهم سواء كان هذا اتصالا في مؤسسات المجتمع المدني (العولمة من أسفل) ام فني يعلق في عولمة السوق او تحديث الاتصالات ووسائلها (العولمة من أعلى) ، ويجب ان يكون مدركا ان السبيل الوحيد لتحقيق المثل العليا لتطبيق حقوق الإنسان في العالم الجديد في ان يكون البشر إمرارا ومتحررين من الخوف والفاقة وتهيئة الظروف الضرورية لتمكين كل إنسان من التمتع بحقوق الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمدني، بما ينسجم والشركات الدولية التي برزت على الساحة منذ ظهور هذا المفهوم على وجه البسيط والى ان وضعت لهذه الشركات حماية قانونية .ان الدعوة الى العولمة ذا بعد أيديولوجي فهي تدعم وتبرر دعم دول الأيديولوجيات ونضوجها في العالم بكل دلالاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وفي نفس الوقت يبرر الوقوف ضد أيديولوجيا بعينها وهذا يعني ان العولمة تتجاهل البعد الأيديولوجي للأخر وتطمس أيديولوجيته وتشوه صورته الحقيقية وتعطي لنفسها الأسبقية في هذا المجال بذرائع شتى تختلقها من خلال نزع الشرعية عن اية أيديولوجيا واكسبها لنفسها بعد الإيهام بتحرير منظومتها من الايدولوجيا، ففي التوجه الليبرالي تنتهي الايدولوجيا باكتشاف البشرية أحلام العدالة والحرية والمساواة وهي متطلبات حقوق الإنسان ، فالعولمة هي أيديولوجيا تؤمن بنهاية القومية وإلغاء الحدود والقضاء على سيادة الأوطان والأمم وتكوين إنسان جديد ذا هوية عالمية بعيدة عن خصوصياته واتجاهاته العقائدية والدينية وما هي سوى قناع يخفي مساعي فرض الهيمنة على العالم كله، وبرزت الحاجة للرأسمالية للبحث في وضع جديد يساعدها في استئناف عملية التراكم الراسمالي، وما العولمة هنا الاستراتيجية استعمارية للهيمنة على اقتصاديات العالم وتفادي انهيارها الاقتصادي وهذا يتفق مع توجهات الراسمالية بعد ان فشلت مدارسها الاقتصادية في حل أزمة الركود التي تعيشها منذ ربع قرن[٣٤]. وعلية فأن العولمة هي نموذجا عالميا للهيمنة في بنيتة العميقة ويكرس الموقع

[٣٤] عبد علي عبد الكاظم / العولمة / مجلة دراسات اقتصادية / العدد (١) سنة (٢) بيت الحكمة بغداد / ٢٠٠٠ ص١٩ .

المتميز للولايات المتحدة التي اعتمدت النظام الراسمالي طريقا لنموها وبلورتها[٣٥]، وبهذا نفهم ان العولمة لم تكن تطورا عفويات تلقائيا لقوى معقدة شديدة التنوع وإنما عمل هام لمؤسسات اقتصادية للنظام الراسمالي العالمي ، فالعولمة تعني الأمركة " إذا ما فهمت على أساس من ارجحية المساهمة الامريكية في الإنتاج الثقافي المعنوي الذي يملا الفضاء العالمي الجديد الذي أنشأته ثورة المعلومات[٣٦].

ثانيا : الجانب السياسي :

في الوضع العالمي الجديد فأن الدعوة نحو احترام حقوق الإنسان هي عنصر أساسي في التوجه الفكري السياسي والأيديولوجي رغم ان هذا التوجه ليس يحدث العهد وإنما هو قديم جراء اتصالات إنسانيه ونضال طويل تكرس فيه الكثير من العهود والصكوك والمواثيق والإعلانات وأنشئت فيه منظمات وهيئات هدفها الدفاع عن حقوق الإنسان وحمايتها، كما أدخلت هذه في كثير من وساير الدول، إلا إن رغم كل ما صدر عن هذه المنظمات والهيئات بقي كلمات مكتوبة عن الملفات وأوراق العمل لان العالم يعيش اليوم انتهاكا كبير لحقوق الإنسان ليس فقط في الدول الضعيفة ولكن حتى تلك الدول التي تدعي الديمقراطية ولها القدرة على الهيمنة والوصاية على العالم والإنسانية، ففي الوضع العالمي الجديد نرى إن هناك تيارين في المسار السياسي والفكري لهذا النظام الذي هو نتاج العولمة هما التيار الديمقراطي وفقا للفهم العام لهذا المفهوم وهو مأمون الجانب إذا ما كان هذا المفهوم قد اعتمد ليكون أساسا للنظام السياسي والآخر محفوف بالمخاطر والانتكاسات والعودة إلى نقطة البداية وهي الدكتاتورية والتي يخشى إن تدفع بلدان العالم الثالث نحوها دفعا، رغم إن هناك توجه بشان موضوع هذه البلدان بشكل ايجابي نحو الديمقراطية في بلدان محددة الا أن ظواهر التشتت والتشرذم في جو من الفوضى الدولية الجديدة، وإظهار مسألة حقوق الإنسان والديمقراطية كوسيلة للاستعمار المباشر وتفجير المشاكل والأزمات المرشحة عرقيا لأستخدمها في التكوينات السياسية المعاصرة في ظل سيادة مفاهيم العولمة الجديدة، إضافة إلى تغيير القيم المجتمعية وباتجاهات مختلفة سواء كانت سياسية او ثقافية او اقتصادية او تحت مسميات العلمانية أو السلفية او الأصالة المعاصرة ، والحداثة والتقليد، والوافد والموروث، أظهرت لنا كل هذه كثير من الحالات كاصفاف وتهميش الدولة وانهيار العمل السياسي المنظم، وانهيار آليات اقتصاد السوق، وظهور

---

[٣٥] عز الدين اسماعيل/العولمة وازمة المصطلح/مجلة العربي/العدد (٤٩٨) الكويت / ٢٠٠٠ ص١٩٧ .

[٣٦] برهان غليون، سمير امين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩، ص٤٦ .

حالة التفاوت في الثروات والمداخل، وتقوية النظام الطائف وانهيار الثقافة السياسية المعتمدة على مفاهيم الصالح العام وزيادة في هموم الناس بحثا عن لقمه العيش الرغيد[٣٧]، وتعد العمولة من جانبها السياسي مرحلة تطوير لاحقة للعمولة الاقتصادية والثقافية لان عمولة الدول قد يكون مشروع مستقبلي، وان قيامة ليس من السهولة كما يقوم عالم بلا حدود اقتصادية وثقافية[٣٨] فيكون الجانب السياسي فيها متحورا بالنظام العالمي الجديد الذي ينشر مفاهيم الديمقراطية الليبرالية، مبعدا ورافضا السلطوية او الشمولية في الحكم، متبنيا التعددية السياسية وملتزمات بمبادئ ومواثيق حقوق الإنسان في العالم والحماية الدولية للأقليات والتدخل الدولي الإنساني وغيرها من آليات النظام الدولي الجديد[٣٩] ومثلما نرى هناك تدخلا في الشؤون الثقافية والقومية والوطنية وسمي الاختراق الثقافي كذلك هناك اختراق سياسي للأنظمة الوطنية من خلال التدخل في شؤونها بأسم الشرعية الدولية، وباسم حقوق الإنسان للديمقراطية ، حيث تم تدويل بعض القضايا الوطنية الى طورها العالمي بحجة ان هذه القضايا لا يمكن ان تحل الا بأجراء عالمي جماعي، مثل مكافحة أسلحة الدمار الشامل والاتجار بالمخدرات، والإرهاب، وانتهاك حقوق الإنسان وغيرها والقضية بمجملها ان مجلس الأمن ومنظمة الأمم المتحدة قد اتسعت في مجالات عملها وصلاحياتها في التدخل في الشؤون الداخلية للدول بدعوى منع الانتهاكات لحقوق الإنسان وحماية السلم والأمن الدوليين والضرورات الإنسانية، وتزايد واتساع صلاحيات ونشاطات الأمم لو اتحدت فيما يتعلق بالمراقبة وتقصي الحقائق او فرض عقوبات معينة على الأقطار او الأنظمة السياسية وأحيانا زعامات بعينها، ولو عرجنا على النظام السياسي العربي نجد ان الاتهام في ميدان الديمقراطية وحقوق الإنسان وفق المفهوم الأمريكي للعولمة يعطي شعورا متزايد ا في نية الضغوط والتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية والتعامل معها بازدواجية واختراق أنظمتها السياسية لتحقيق مصالح الدول المهنية السياسية والاقتصادية والأمنية[٤٠] كما حصل للعراق والضغوط على سوريا وليبيا والسودان بالوقت الحاضر.

---

(٣٧) جورج قرم / القوى الدولية الجديدة / في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي بيروت / مركز دراسات الوحدة العربية / ١٩٩٩ ص٩٨ .

(٣٨) عبد الخلق عبد الله / العولمة / مصدر سابق ص٨٦ .

(٣٩) سيد ياسين / مفهوم العولمة / ندوة (العرب والعولمة) ط٣ / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت / ٢٠٠٠ ص٣٢ .

(٤٠) نبا موسى سلمان /العولمة تاثيراتها المستقبلية على الامن القومي العربي رسالة ماجستير غير منشورة / الجامعة المستنصرية / ٢٠٠٣ ص ٨٧ .

ثالثا: الجانب الإستراتيجي

ان المرحلة الانتقالية التي وضعتها الولايات المتحدة الأمريكية والتي بدأت منذ عام ١٩٤٧ والى عام ١٩٩١ كان تحولا جديدا في مشروعاتها في الهيمنة على العالم، فبعد الحربين العالميتين الأولى والثانية بدأت تبشر بنظام دولي جديد لها الدور الفاعل فيه في الأحداث العالمية.، فبد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي ادى الى انتهاء الحرب الباردة وتهيئة فرص سانحة للولايات المتحدة الامريكية لم تكن مسبوقة في مضامينها وأبعادها ، وقد أوضح نكسون " فلدينا فرصة تاريخية لكي نعيد ترتيب العالم "، ومتفائلا عن أمكانية الولايات المتحدة بقيادة العالم ويمكن للعالم ان يتبع خطاها[٤١] كما انه أعطى النصح الإستراتيجي فيما أذا أرادت[٤٢] أمريكا إن تبقى دولة عظيمة " فأن ما تحتاجه اليوم هو رسالة ما وراء السلام " ومن هذا نفهم ان الأمركة والدعوة إلى العولمة يعتبران مشروعا إستراتيجيا للسيطرة والإخضاع وتعميم الثقافة الامريكية بعد ان صار واضحا أنها الدولة العظمى قوة وقدرة وتسليحا حيث أوضح بوش الأب" أن القرن القادم يجب ان يكون أمريكيا"، "ولا بديل للقيادة الأمريكية"، وقول نيكسون قبلة "يجب على امريكا ان تقود العالم[٤٣]، من هنا ان بعد استراتيجيا للعولمة قد تجسد من خلال تجاوز الجانب الاقتصادي الى مرحلة هامة في أطار تطبيقاتها نحو تغيير الحياة في العالم تلك جوانبها من هيمنة الرأسمالية الامريكية والثقافية الامريكية وأنماطها الإستراتيجية والاستهلاكية ومن توجهات قادة الولايات المتحدة الامريكية[٤٤] بضرورة خوض المعركة الأيديولوجية على كل الساحات ابتداء من حقوق الإنسان إلى تصدير النمط الأمريكي يجعلنا نفهم ان الأمركة والعولمة ومتطلبات حقوق الإنسان هي ليست أسطورة بل حقيقة مادية وخطرا إستراتيجيا يهدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي لدول العالم ويهدد هويتها ويمس الثقافة بمعناها العام وكل ما ينطوي في فكر الإنسان من تصورات ونظريات وممارسات وتعميم ثقافة عالمية فيها النموذج الأمريكي هو الإطار العام بوصفه ثقافة عالمية كونية[٤٥] ومحاولة الترويج لها وزعزعة القناعة بالثقافات الوطنية وبالتالي السيطرة على الإدراك ومن ثم إخضاع النفوس من خلال تعطيل العقل وتكييف المنطق ، وهذا ما أكده كتاب أمريكان وإستراتيجيون ومحللون غربيون منهم

---

[٤١] ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صدقي مراد، دار الهلال القاهرة ١٩٩٢، ص١٩.

[٤٢] ريتشارد نيكسون / ما وراء السلام / الاهلية للنشر والتوزيع / عمان / ١٩٩٥ / ص١٩ .

[٤٣] المصدر السابق، ص٩.

[٤٤] د. لطيف كريم محمد / مصدر سابق ص٥٢ .

[٤٥] د.حسين علوان حسين، العولمة الثقافية والثقافة العربية، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، العاني٦-٧مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٩ ص٩١.

(فاكو ياما) في كتابه نهاية التاريخ، والبروفسور (صموئيل هنتكتون) في كتابه صدام الحضارات.

الخاتمة:

لا ريب أننا ندخل عصرا جديدا في بداية القرن الحادي والعشرين، فيمثل هذا العصر في ضرورة قد حسمت لصالح نظام القطب الواحد. وان هذا الحسم لم يكن حتى عسكريا واقتصاديا وحضاريا فحسب بل وفي تصورنا المتواضع هو بزرع فكر سياسي جديد نستطيع ان نسميه (الفكر السياسي العالم ما بعد العولمة) يحول هذا الفكر ان يجسد شرعيته ويرسخها ليس في الانجازات القديمة والاقتصادية والسياسية والإعلامية وإنما في أدق المواضيع اهتماما وتأثير في النفوس والعقول إلا وهو موضوع (حقوق الإنسان).

وعلية فقد ركز (ادارة العولمة) على هذا الجانب باعتباره بشكل هما وقاسما مشتركا لكل الشعوب بغض النظر عن جنسيتهم وجنسهم ودينهم وطافتهم او انتمائهم الاثني او السياسي.

وبناء على ذلك فأن النتائج والتوصيات التي توصلنا أليها في هذا البحث المتواضع هي :

١. بالرغم من ان حقوق الإنسان قد تصطدم بالعولمة او نتقاطع معها، إلا أن الإلية التي استخدمها أدارة العولمة غالبا ما تستغل حقوق الإنسان كمبرر للهيمنة والنفوذ والسلطات .
٢. أن العناصر الجيوبولتيكة للهيمنة هي عناصر قوية جدا ولا يمكن مقاومتها في ظل النظام الدولي الراهن وتحالفاته وأسلوب عملة المؤثر والدقيق .
٣. أن الفكر السياسي لعالم العولمة وحجته وحقيقته القوية جدا (قوى دولية كبرى وقوى العظمى) تستخدم (المسألة الديمقراطية، حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، مسألة الفقر، العدالة ....). تشكل هذه المطالبة او تكتسب شرعية محلية وإقليمية ودولية والرأي العام الدولي والوطني مع هذا التوجه وعلية يفترض التعامل بعقلانية مع هذه المطالب حتى وان نادت بها ادارة العولمة بعبارة أخرى ان تدخلها المجتمعات المحلية باختيارها ولكن قبل دخولها يفترض ان تعلم ما لها وما عليها وان تكون هناك عولمة على مستوى جغرافي معين قبل الدخول في العالم الفسيح للعولمة. ومن باب أول للعرب أن يحددوا (فكر سياسي عربي جديد) قبل الانجراف مع الفكر السياسي لعالم العولمة وما بعدة لكي يستفيدوا من امتيازات العولمة أولا، ولا تضيع هويتهم ثانيا.

معنى الديمقراطية ومعوقات قيامها

العراق (انموذجا)

الاستاذ المساعد الدكتور

عزيز جبر شيال

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

يتوقف مسار الديمقراطية في أية دولة على التجربة السياسية لتلك الدولة وما أدت إليه من محصلة في مجال المشاركة السياسية وحقوق الإنسان والأمن والتنمية، كما يتوقف على نوعية البنى الراهنة في كل من الدولة والمجتمع، ومن هنا فان البحث في الديمقراطية برؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية لابد من ان يجري في إطار كيان سياسي يتحرك فيه الأفراد والجماعات ويتفاعلون ضمن إطار منظومة قانونية وأعراف تقليدية وظروف عامة تخص ذلك الكيان وتحدد علاقة الحاكم بالمحكوم وتؤثر على علاقة السلطة بالمجتمع والتفاعل بينهما. ان هذه المجموعة من الفرضيات تثير مجموعة تساؤلات سيحدد على ضوئها مسار بحثنا هذا والتي يمكن إجمالها بالآتي:-

١. ما هو مفهوم الديمقراطية المعاصر؟ وهل يتعلق هذا المفهوم بالمشاركة في الحكم أم يتجاوزه إلى التداول على الحكم؟
٢. ما هي الأسباب التي أدت إلى إعاقة الديمقراطية في العراق؟
٣. كيف السبيل لإقامة مجتمع ديمقراطي في العراق؟

ان الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تمثل محاولة متواضعة من جانبنا للإسهام في المسيرة الديمقراطية التي يسعى إليها مجتمعنا والتي دفع في سبيل إرسائها آلاف الضحايا.

الفصل الأول
في معنى الديمقراطية:

الديمقراطية مصطلح شائع الاستعمال منذ عصور موغلة في القدم، وبقدر تعلق الأمر ببحثنا سنحاول تجنب الغوص في تفاصيل هذا المصطلح وتأصيله، بيد انه لابد من التأكيد على حقيقة مهمة وهي عدم وجود تعريف مانع جامع لها وذلك لكون هذا المصطلح يأخذ تحديده من خلال المضمون العقائدي لزمان ومكان استخدامه إضافة إلى شكله التطبيقي، إذ لو كان للمصطلح مضمون عقائدي وشكل تطبيقي واحد لما انتشر الحكم الديمقراطي وتكيف مع مختلف الثقافات دون ان يصطدم مع جوهر عقائد المجتمعات وقيمها المختلفة.

ان الديمقراطية المعاصرة تغلب عليها صفة المنهج فهي في المقام الأول نظام حكم ومنهج سلمي لإدارة اوجه الاختلاف في الرأي والتعارض في المصالح، ويتم ذلك من خلال إقرار وحماية وضمان ممارسة حق المشاركة السياسية الفعالة في عملية اتخاذ القرارات الجماعية الملزمة للجماعة السياسية بما في ذلك تداول السلطة عن طريق الانتخاب وفق شرعية دستور ديمقراطي[1].

ان عدم وجود تعريف جامع مانع للديمقراطية صالح لكل زمان ومكان لا ينفي ان الديمقراطية لها قوانين (قيم تتجلى في مبادئ ومؤسسات وآليات وضمانات الدستور الديمقراطي كما ان للديمقراطية قيم لابد من مراعاتها وهي الحرية والمساواة والعدل والتسامح)[2]، وان هذا الفهم يقودنا إلى ان البحث في موضوع الديمقراطية لا نريد منه ان يكون بحثا نظريا خالصا يستهدف الكشف عن ماهية الديمقراطية وخصائصها وطبيعتها وانما هو بحث نظري تقوده خلفية عملية تنطلق من مسلمة ان الديمقراطية مصطلح تجاوز الحدود الجغرافية الضيقة وبيئة النشأة وانفتح على الفضاء العالمي الرحب متجاوزا التربة التي أنبتته لينساب في أطراف الأرض مشرقا ومغربا وهو ما يتيح الاستفادة منه في تنظيم حياتنا السياسية.

ان تجنبنا الخوض في النقاش النظري الخالص حول الديمقراطية ينبع من القناعة الراسخة باننا أمام مشكلة عملية بالأساس واننا نحتاج إلى تفكير عملي يدرك أهمية البحث في الأسس دون ان يغرق فيها، ولا يختصر الظواهر في أبعادها النظرية بغض

---

(1) **Robert A. Dahl, Democracy and its criteria's, New York Yale University Press, 1989, pp. 1-9.**

(2) علي خليفة الكواري ((نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية في اقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية)) مجلة المستقبل العربي العدد ٢٦٧ – ١١ مايو ٢٠٠١ ص٢٦٧ ١١ مايو ٢٠٠١ ص٩.

النظر عن خلاصاتها الواقعية ويركز اهتمامه على فهم الواقع وتغييره بالقدر الذي يمكنه من دون مغالاة أو تعسف.

ان نظرتنا إلى الديمقراطية باعتبارها منهج أو أداة قابلة لان تكون أداة مجردة من حمولتها الثقافية والعقائدية المباشرة التي ارتبطت بها في التجربة التاريخية الغربية وقابلة لان تصبغ بصبغات ثقافية وحضارية عديدة، ومن هنا يصبح للحديث عن عالمية مفهوم الديمقراطية معنى جديدا يضيف له أبعادا أخرى تغنيه بتجارب جديدة تجري على قاعدة مرجعيات أخرى غير المرجعية الغربية إذ ان النظر إلى الديمقراطية باعتبارها منهجا أو آلة أو قالبا فارغا يتقبل مضامين مختلفة باختلاف حضارات العالم وثقافاته سيجنبنا الكثير من الصراعات الهامشية في عملية تبني الديمقراطية في بيئتنا العراقية ذات المرجعية الإسلامية.

وتقوم الديمقراطية من حيث المبدأ العام على خمسة أركان أساسية وهي:-

- ممارسة السلطة العامة من قبل ممثلين منتخبين في انتخابات حرة وعامة أي الاعتراف بالسيادة الشعبية.
- تكريس دولة القانون التي تتضمن احترام القانون وتطبيقه بالتساوي على جميع أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم.
- تامين العدالة الاجتماعية من خلال نظام للتكافل والتصحيح يضمن عدم تعسف الأغلبية الاجتماعية ثقافيا وسياسيا.
- ضمان الحريات الفكرية والسياسية والتنظيمية.
- إدارة مسؤولة وذات كفاءة.

ان الأركان المذكورة آنفاً تمثل الديمقراطية باعتبارها وعاءاً يمكن ان تملأه الشعوب بما تراه مناسبا لقيمها الثقافية والاجتماعية وهنا لابد لنا من ذكر المقومات الاجتماعية أو المرتكزات التي يستند إليها نظام الحكم الديمقراطي سواء كان في شرق العالم أو غربه شماله أو جنوبه وهذه المرتكزات هي:[٣]

- اعتبار المواطنة مصدر الحقوق ومناط الواجبات.
- الإقرار بان الشعب مصدر السلطات.
- الاحتكام إلى شرعية دستور ديمقراطي.
- قيام مجتمع مدني ونمو رأي عام مستنير.

---

(٣) خالد الحسن – إشكالية الديمقراطية والبديل الإسلامي في الوطن العربي. أوراق سياسية ١٤ – دار الجيل – عمان ١٩٨٨ ص ١٤٩ – ١٥٠.
وللمزيد من التفصيلات بصدد تعريف الديمقراطية انظر: د.عبد الجبار احمد عبد الله ((الديمقراطية الأمن القومي العربي)) مجلة العلوم السياسية – كلية العلوم السياسية جامعة بغداد – العدد ٢٧ السنة الرابعة عشر كانون الثاني ٢٠٠٣ ص٥٦ – ٥٨.

٥. تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي.

وبما ان مجتمعنا يفتقر إلى التجربة الديمقراطية نرى ان علينا ان نوضح هذه المرتكزات إذ ان كثير من المواطنين يردد مفهوم الديمقراطية بطريقة أو بأخرى تبعا للثقافة الفرعية التي ينطلق منها في تحديد موقفه من المجتمع والحريات وفقا لمعطياتها حيث لم تصبح الديمقراطية قيمة اجتماعية عامة تحدد على ضوئها مواقف المجتمع العراقي بتكويناته المختلفة، فالديمقراطية مثلها مثل أي فكرة وممارسة نبتة تاريخية نشأت ربما في حضن مدنية معينة في المرحلة الأولى، لكن شيئا لا يربطها ربطا حتميا ولا نهائيا بهذه المدنية وانما هي ثمرة حضارية تشارك فيها جميع المدنيات تماما كما ان الكمبيوتر نشأ في حضن المدنية الغربية لكن لا شيئا لا يمنع الصيني والعربي والأفريقي من إدراك القيمة العلمية والنجاعة العملية لهذا الاكتشاف ويقبل عليه ويطمح إلى السيطرة على تقنيته ويكون من اكثر الناجحين في العمل عليه، وطالما ليس هناك وجود لديمقراطية جاهزة ولا ناجزة ولا نموذجية في أي مكان فأي بناء لديمقراطية محلية هو تجربة تاريخية خاصة وإبداعية، مثل أي تجربة إبداعية يستدعي النجاح فيها تشغيل المخيلة وتجنب الحلول المعروفة واكتشاف الآليات الناجعة في الظرف المعين تبدوصعبة ومعقدة تحتمل التقدم والتراجع والفشل والنجاح، فإعادة توزيع السلطة في أي مجتمع من المجتمعات ليست قضية نظرية ولا إيمانية ولا ثقافية ولكنها تستدعي معركة حقيقية ذلك انها تمس مصالح فئات وطبقات حية.وموجودة على الساحة وقادرة على الحركة والقتال للدفاع عن مكتسباتها وان تكريس الحريات السياسية ليست مسألة أخلاقية أو قيمية ولكنها مسألة مرتبطة مباشرة بالتوزيع المادي للموارد فمتى ما تمكن المواطنون من حرياتهم السياسية صار بإمكانهم الاعتراض على الاستخدام الاحتكاري لهذه الموارد من قبل نخبة دائمة وقائمة سواء أكانت أرستقراطية ملكية أو ثورية جمهورية[٤].

ان تجربة العراق الديمقراطية تجربة مشوهة حيث لا يزال مجتمعنا يفتقر إلى نموذج من الحكم السياسي الحي القادر على بلورة حد أدنى من الإرادة الجمعية والتعبير عن المصالح المتعددة والمتباينة للمجتمع والعمل على تقنينها وتوفير الإطار المناسب للتوفيق فيما بينها وتجاوز تناقضاتها وحلها بطريقة سلمية وعلى الأخص في عهد صدام حسين حيث أدت الفترة التي حكم فيها العراق الى تصفية سياسية مباشرة للتعددية الموروثة في الحقب السابقة ولم يكن من الممكن الحفاظ على الحكم المطلق من دون الدخول في حروب داخلية وخارجية مستمرة كان من نتيجتها التدمير السياسي والمعنوي والاقتصادي للمجتمع والبلاد معا.

---

(٤) د.برهان الدين غليون – معوقات الديمقراطية في الوطن العربي – بحث منشور على موقع الجزيرة في الانترنيت بتاريخ ٢٠٠١/٩/٧ ص١٤-١٥.

وفيما يأتي توضيح للأركان التي يستند إليها نظام الحكم الديمقراطي:

١. اعتبار المواطنة مصدر الحقوق ومناط الواجبات: ويقصد بها ان يكون ولاء الفرد للوطن هو المصدر الأساسي لتمتعه بحقوقه إذ ان أية قيمة أخرى لا يمكن ان تمثل البديل لضمان العيش الكريم الآمن والمطمئن .. ان ديمومة الرابطة الوطنية تعبر عن نفسها بكونها تمثل أزمة في المجتمع إذ يجب ان يتوصل الناس في الدولة الجديدة إلى إقرار ان اقليمهم الوطني هو وطنهم الحقيقي، كما يجب ان يشعروا كأفراد بان هويتهم هوية الدولة الوطنية وليست هوية الوحدات الاجتماعية الفرعية عرقية كانت أو دينية أو طائفية، وهو ما يتجسد من خلال سيادة الإحساس بالمواطنة والانتماء إلى هوية وطنية موحدة بين أبناء الوطن الواحد(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا حالة الفساد السياسي التي سادت في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة وعلى الأخص الفترة التي تلت استيلاء صدام حسين على السلطة في العراق إذ اتسمت بسمات أدت إلى تعطيل نمو الرابطة الوطنية لا بل أسهمت في تفتيت تلك الرابطة، حيث لاحظنا فساد الصفوة السياسية وقيامها على أساس من اعتبارات الانتماء العرقي والديني والطائفي وليس على الإنجاز والكفاءة والتفوق، وفساد الأجهزة التنفيذية وعجزها عن أداء دورها ووظائفها المرسومة لها بما يحقق الأهداف الاجتماعية ويخدم مصلحة المجموع فقد زادت الممارسات غير القانونية الأخلاقية كالرشاوى وتقاضي العمولات واختلاس الأموال العامة والعمل على إصدار قوانين تخدم المصالح الخاصة مما أدى إلى تفتت داخلي لعموم البناء الاجتماعي وزيادة حدة مشكلة عدم الاندماج اجتماعيا وسياسياً وقوميا بكل ما يترتب على ذلك من تصاعد في حدة الصراعات الداخلية التي كادت ان تصل وبسهولة كبيرة إلى حرب أهلية حيث أدى القمع المتواصل للحركة الوطنية الكردية إلى ظهور نزعات انفصالية كان بالإمكان ان تتحقق لولا الوعي الوطني لقيادة الحركة الوطنية الكردية وجماهيرها ومتغيرات الوضع الإقليمي والدولي، كما ان التعامل غير المنصف والإجرامي مع بعض المذاهب والأديان وعلى الأخص المذهب الشيعي أدى إلى إضعاف الرابطة الوطنية ولولا الوعي الوطني للقيادات الشيعية لحلت بالوطن كارثة، وقد أثبتت الأحداث التي تلت احتلال العراق عمق الوعي الذي تتمتع به القيادات الوطنية بمختلف انتماءاتها وتوجهاتها في سعيها لتأكيد الرابطة الوطنية ووحدة العراق أرضا وشعبا ونقد المرحلة السابقة ونبذ سلبياتها. ولغرض ديمومة هذا الزخم ينبغي السعي إلى المزيد من المشاركة في عملية رسم السياسات وصنع القرارات وباقي الفعاليات السياسية من خلال تكييف القوانين والإجراءات لاستيعاب هذا المطلب ناهيك عن معالجة الاختلال

---

(٥) د.علي عباس مراد – التنمية السياسية وأزمة المشاركة، محاولة بين تحديد المفهوم – بحث في مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث – جامعة بغداد، ١٩٩٠ – ص١٢٣.

الحاصل في نسب وأساليب توزيع الموارد والثروات والخدمات على وحدات المجتمع وأفراده، وتقليد أساليب النظام السابق في حرمان الناس من مصادر الرزق تحت مبررات واهية أو بحجة الانتقام بسبب موقف سياسي أو انتماء عقائدي أو عرقي أو حزبي. ان هذا لن يتحقق إلا من خلال ترشيد السلطة السياسية وعقلنتها وتحقيق مبدأ سيادة القوانين وإقامة دولة المؤسسات وتوسيع قاعدة المشاركة السياسية للمواطنين والسعي لمصالحة وطنية تنبذ الأساليب المتخلفة في التعامل مع الآراء المناهضة بحيث تؤدي إلى ان يقوم الفرد بالبحث عن ولاءات تضمن له تحقيق ذاته وتسهل له تحصيل رزقه وتحفظ كرامته.

٢. الإقرار بان الشعب مصدر السلطات: ان الإقرار بهذا المبدأ ليس بالأمر الجديد في الفكر السياسي والاجتماعي والقانوني إذ عولج هذا الموضوع من قبل العديد من المفكرين والفلاسفة ويقوم هذا المبدأ على إقرار المساواة القانونية فيما بين أفراد المجتمع وعليه فان المساواة بين الأفراد تدحض أي مبرر لسيطرة فرد على فرد آخر لان السلطة في المجتمع لا تعود إلى فرد وانما تعود إلى الجميع. وفي الحقيقة من اللحظة التي أصبحت فيها السلطة دنيوية بدا اصلها الشعبي اكثر انسجاما مع العقلية العامة، وتبعا لذلك اكثر فعالية وكان الأمر يقتضي آنئذ في الواقع إيجاد أساس يبرر طاعة الأفراد للسلطة من ناحية ومن ناحية أخرى إقامة حواجز تمنع ان تكون السلطة مطلقة إستبدادية وكان الكابح الوحيد في الواقع الذي يحول دون انزلاق السلطة على طريق الاستبداد خارج نطاق إقامة المؤسسات السياسية هو هذا الاعتقاد الشائع في المجتمع لدى الحكام والمحكومين بان السلطة يجب ان لا تمارس إلا لمصلحة المجتمع ... وإذا كانت السلطة تأتي من الشعب فمن المنطقي إذن ان تمارس المصلحة الهيئة الاجتماعية أي سلطة الشعب ذاته ... والحكام وان مارسوا السلطة فانهم ليسوا سوى وكلاء عن الشعب فحسب ويستطيع ان يحاسبهم على كيفية قيامهم بوظائفهم إذا اقتضى الأمر[٦].

ان اعتبار الشعب مصدر السلطات تعني بالإضافة إلى ما ذكرناه تحقيق مساهمة واسعة للشعب بابنائه ومؤسساته المدنية وقواه السياسيةفي رسم السياسة العامة ووضع القرارات واتخاذها وتنفيذها وإعادة هيكلة وتنظيم بنية النظام السياسي وعلاقاته مما يتلاءم وصيغة المشاركة الأوسع للشعب في العملية السياسية وفعالياتها. وان هذه المشاركة هي التي تحدد شرعية السلطة السياسية فشرعية النظام انما تتحقق بقبول الشعب بحق الحاكم في جق استخدام القوة لتطبيق القانون والنظام المتفق عليه اجتماعيا

---

(٦) للمزيد من التفصيلات انظر د.نوري لطيف – القانون الدستوري – دار الحرية للطباعة – بغداد – ١٩٧٦ ص٦٦-٧٠ ود.صادق الأسود – علم الاجتماع السياسي – جامعة بغداد – ١٩٨٦ ص٢٩٩-٣٠٠.

وسياسيا، ولن تكون هذه الشرعية قائمة ومتحققة ما لم يكن للشعب دور في اختيار الحاكم بما يؤكد رضاهم عنه وقبولهم به[٧].

٣. الاحتكام إلى شرعية دستور ديمقراطي: لم يعد ثمة شك في ان الديمقراطية المعاصرة ممارسة مقيدة بدستور ديمقراطي يختلف من حيث طريقة وضعه وإقراره وإجراءات تدعيمه حيث يجب ان يتم وضع ومناقشة وإقرار الدستور الديمقراطي من قبل جمعية وطنية تاسيسية منتخبة انتخابا عاما حرا ونزيها وهذه نقطة البداية في عملية التحول الديمقراطي التي يجب ان تليها حصانة للشرعية تتمثل في حكم القانون واستقلال القضاء ونزاهته ممثلا في المحكمة الدستورية هذا إضافة إلى قدرة المجتمع المدني والرأي العام على إيقاف أي تعد للسلطة التنفيذية على الشرعية الدستورية[٨].

ان جوهر السلطة ليس في وجود الدستور لأنه باستطاعة الأفراد كتابة أي نص دستوري على الورق فإذا لم يتلاءم والظروف الاجتماعية السياسية يصبح مجرد كلمات جوفاء لا حياة فيها[٩] لهذا فان اعتماد صيغة الجمعية التاسيسية يتفق ومبدأ الشعبية فالشعب هو صاحب السلطة التاسيسية والدستور هو التعبير عن هذه السيادة، وان وسيلة الجمعية التاسيسية هي اكثر الوسائل ديمقراطية لاقرار الدستور حيث تمثل الهيئة المنتخبة لمختلف أوساط الرأي العام وتمكنهم من مناقشة الدستور بصورة واسعة، وان الجمعية التاسيسية التي تنتخب على أسس ديمقراطية يمكن ان تصبح هيئة لدمقرطة البلاد[١٠]، ان قيام الجمعية التاسيسية بوضع الدستور ومن ثم عرضه للاستفتاء العام يعتبر من افضل الممارسات الديمقراطية لإعداد الدساتير لكونه يتجاوز اغلب الملاحظات السلبية التي ترد على هذه الطريقة في إعداد الدستور، كما ينبغي التنويه بان الدستور مهما بلغ من الرقي والتقدم في مواده إلا انه يبقى حبرا على ورق كما أشرنا ما لم يتم الاتفاق على آلية رقابة صارمة ومتعددة الأوجه لكي نضمن دستورية القوانين ونمنع التعسف في إصدار قوانين تهيئ الأجواء لسيطرة فئة أو طبقة أو جماعة معينة[١١].تلغي الاخروتمنع مشاركته وتوقف الاحتكام الى الشعب عبر الانتخاب العام والتبادل السلمي للسلطة على وفق الارادة الشعبية العامة .

---

(٧) قارن مع – د.صادق الأسود – المصدر السابق – ص٢٨٧.
(٨) علي خليفة الكواري، حوار من اجل الديمقراطية، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٦ ص١٤٠-١٦٠.
(٩) د.نوري لطيف – المصدر السابق ص١٩٣.
(١٠) نفس المصدر ص٢٠٠-٢٠١.
(١١) بخصوص الرقابة على القوانين انظر د.نوري لطيف – العدد السابق ص٢١٧-٢٣٣.

كما يجب ان يؤسس الدستور على خمسة مبادئ ديمقراطية عامة مشتركة لا تقوم للدستور الديمقراطي قائمة إذا غاب أي منها[١٢].

أ. لا سيادة لفرد ولا قلة على الشعب والشعب مصدر السلطات.
ب. سيطرة أحكام القانون والمساواة امانة.
ج. عدم الجمع بين أي من السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية في يد شخص أو مؤسسة واحدة.

١. ضمان الحقوق والحريات العامة دستوريا وقانونيا وقضائيا ومن خلال تنمية فاعلية المجتمع المدني وقدرته عن الدفاع عن ممارسة الحريات العامة.
٢. تداول السلطة التنفيذية والتشريعية سلميا وفق آلية انتخابات دورية عامة حرة ونزيهة تحت إشراف قضائي كامل ومستقل وشفافية تحد من الفساد والإفساد والتضليل في العملية الانتخابية.
٤. قيام مجتمع مدني ونمو رأي عام مستنير: ان هذا الركن من أهم الأركان في كونه يتعلق بموضوع على قدر عال من الأهمية يتعلق بتنشئة الأفراد وتربيتهم إذ ان تمسك كل مجتمع إنساني يتوقف على فهم أفراده لقيمه وقواعده المشتركة أي انه كل ما تنطوي عليه فكرة الثقافة في الواقع، وهذا الفهم المشترك لا يكتسبه الفرد عند ولادته ولكن يحصل عليه خلال مراحل حياته المختلفة وبما يؤهله للمساهمة كعضو فاعل في نشاطات الجماعات المتنوعة والمجتمع الشامل، ومع ان مرحلة الطفولة والصبا تعتبر حاسمة في تكوين شخصية الفرد ومضمونها عبر دخوله في الثقافة السائدة في وسطه العائلي الاجتماعي إلا ان عملية التنشئة الاجتماعية لا تتوقف عند هذه المرحلة وانما تستمر حتى في مراحل الرشد من حياة الإنسان فهي تجربة العمر كله[١٣].

وتعتبر التنشئة الاجتماعية السياسية أهم رابطة بين النظم الاجتماعية والنظام السياسي،وان تنظيم هذه الرابطة هي محور اهتمام الأحزاب السياسية وقادة الرأي العام في سعيهم إلى تحقيق تنمية سياسية من حيث هي فعالية تهدف الى زيادة جدوى النظام السياسي وفاعليته في مواجهة المشكلات التي تعترضه عبر إعادة جدولة القيم والافضليات وفقا للإطار الفكري للنظام القائم وتوسيع النشاط والتعاون عن طريق بلورة دور المواطنين في المشاركة بوضع جدولة تلك القيم والافضليات[١٤].

---

(١٢) علي خليفة الكواري ((مفهوم الديمقراطية المعاصرة: المبادئ العامة المشتركة للدستور الديمقراطي)).
(١٣) د.صادق الأسود مصدر سبق ذكره – ص٢٥٧.
(١٤) د.علي عباس مراد – المصدر السابق – ص١٢٠.

ان قيام مجتمع مدني ونمو رأي عام مستنير يتطلب بالإضافة إلى العوامل المعنوية المتمثلة بالنوايا الصادقة توفر شروط مادية أهمها:

أ. وجود نظام سياسي مؤمن بالمشاركة الجماهيرية وبمبادئ الديمقراطية.
ب. وجود دستور ضامن للمشاركة وحام لها.
ج. وجود مؤسسات مؤهلة لتنظيم المشاركة الجماهيرية وتجسيدها بحيث تغدو هذه المؤسسات اقرب ما تكون إلى مدارس لتدريب الشعب على ممارسة الديمقراطية والحوار الهادئ وتقبل الرأي الآخر مهما كان مختلفاً.
د. إطلاق الحريات وعدم اعتبارها منحه من الحكام الجدد وانما هي هدية انتزعها الشعب عبر معاناة طويلة جراء أنظمة سيطرة فاسدة.
ه. الابتعاد عن النفاق الاجتماعي والسياسي ومحاربة ظاهرة التملق والتزلف والتمسك بالصيغ الموضوعية في اشغال المناصب الحكومية والوظائف العامة.
و. تنمية وتشجيع روح التسامح ونبذ العنف وطي صفحة الماضي الكئيب وإشاعة روح التفاؤل والأمل.

ه. تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي: أم من أهم أسباب تأخر المطلب الديمقراطي في بلادنا هو غياب تيار ديمقراطي حقيقي يؤصل لقيم الاختلاف والتعدد بغض النظر عن المكاسب السياسية المباشرة، بل يوجد هو نوع من التحزيب للديمقراطية التي أصبحت مجرد لافتة سياسية فجة توظف في الصراع السياسي بين التيارات أو المعسكرات والتي يتمترس كل منها خلف مقولات الديمقراطية ويعمل على احتكارها لتكون رافدا لمعركته السياسية والحزبية، ومما لا ريب فيه ان تحزيب الديمقراطية سيكون ضار بمن يتبناه في المنظور الاستراتيجي برغم ما قد يحققه ذلك من مكاسب آنية لهذا الطرف أو ذاك، ويمثل غياب التيار الديمقراطي وسيطرة التعامل التحزيبي مع مسائل جوهرية وأساسية في بنية المجتمع ونظامه السياسي نتيجة ومؤشرا في الوقت نفسه لعدم حسم موضوع المشروعية العليا في المجتمع حيث ينتهي التدافع الفكري والسياسي الذي لا تحده حدود ولا تجمعه قواعد مشتركة إلى التنافي والتنابذ والعمل على توظيف كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة في الصراع السياسي بما في ذلك تضييق دائرة الديمقراطية وجعلها مقصورة على حزب معين دون غيره والتراشق بالاتهامات التي تبدأ بالتكفير وتنتهي بالتخلف وبما يفتح المجال لبروز وتبرير قيام نظم دكتاتورية.

ان مما لا شك فيه ان وضعنا الراهن أحوج ما يكون اليوم إلى قيام كتلة تاريخية قوية تلتقي فيها جميع التيارات الفكرية والسياسية على قاعدة محاصرة الاستبداد والدكتاتورية وتهيئة الوضع والثقافة العامة لتجربة ديمقراطية تبدأ بطريقة متدرجة

وتراعي الرفق والمنهج السلمي في تغيير واقع تطبع بالقهر والاستبداد، ولابد من الإشارة هنا إلى ان من أهم المواضيع التي تؤدي إلى تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي هو حسم موضوع المشروعية العليا للدولة والتي تنتظم تحت سقيفتها الخلافات الفكرية والسياسية في بلادنا فالصراع الدائر اليوم ليس صراعا بين برامج سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة تتنافس على إقناع بصلاحية هذا البرنامج وخطأ البرنامج المقابل وانما هو صراع بين مرجعيات مختلفة ومتضادة تقف في مقدمتها المرجعيات الإسلامية والتغريبية والتحول من أحدها إلى الأخرى هو بمثابة انقلاب عميق يطال اوجه الحياة المختلفة في حين انه ليس من الممكن بلوغ الديمقراطية من دون الوصول إلى استقرار المجتمع السياسي على جملة من القوانين العامة وتحويلها إلى مسلمات يقبل بها الجميع، وإذا ما علمنا ان التداول على الحكم في الأنظمة الديمقراطية المستقرة انما هو تداول بين الشبيه وشبيهه أو بين قوى متباينة ولكنها تسلم بالعمل تحت سقف مشروعية واحدة وتتنافس في تجسيد خيار مجتمعي متفق عليه أدركنا عمق هذا الركن من أركان الديمقراطية، ان صراعاتنا هي بين النقيض ونقيضه ولذلك يتشبث كل فريق لا بمحاورة الآخر والبحث عن مواطن الالتقاء معه وانما بالعمل على استبعاده وربما القضاء عليه واستئصاله من الوجود أصلا وفي هذا قد يصبح المطلب الديمقراطي مجرد خطاب يوظف في صراع سياسي بعيد كل البعد عن مفهوم الديمقراطية الحقيقية.

ان حسم موضوع المرجعية في تصورنا يجب ان يكون لصالح التسليم بالمرجعية الإسلامية وهو أمر من شأنه ان يوفر إجماعا شعبيا وسياسيا واسعا يضفي على الحياة السياسية زخما كبيرا يمكن توظيفه في بناء الديمقراطية، وبمنطق ديمقراطي يتعامل مع الواقع كما هو ولا يتعسف عليه في تغييره لابد من الإقرار بان المرجعية الإسلامية هي المرجعية الوحيدة التي يمكن ان تحوز اليوم على أغلبية واسعة وبلا نظير وهو ما يقتضي التسليم بهذه المرجعية والعمل من داخلها والاختلاف على قاعدتها، وإذا ما علمنا ان الإسلام اقر التعدد واعتبره من غايات الخلق ((انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم)) وانه وضع مبادئ كبرى وترك تصريف شؤون الحياة التفصيلية إلى الناس باعتبارهم اعلم بشؤون دنياهم ((ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل)) إذا علمنا ذلك لم نجد مدعاة حقيقية للانزعاج من التسليم بالمرجعية الإسلامية التي تمكننا الاستفادة من توظيف ما تحوزه من إجماع ينسج في بناء الديمقراطية شريطة ان يكون المرور للمرجعية الإسلامية مشروطا بالمشروعية الشعبية واختيار الناس وان لا تؤدي

الأمور إلى تنصيب دوله ثيوقراطية تصادر أفكار الناس وتنصب نفسها حكماً فوق الجميع باسم الدين[١٥].

ان توسيع قاعدة أصحاب المصلحة في الديمقراطية يقتضي بالإضافة إلى نفي شبهة كون الديمقراطية عقيدة منافية أو منافسة للعقيدة الإسلامية يأتي من خلال التأكيد المستمر على ان الديمقراطية وعاء أو منهج سلمي لإدارة اوجه الاختلاف في الآراء وتعارض المصالح كما يتطلب أيضا شراء رضا أصحاب الامتيازات والمكانات التقليدية بثمن مؤقت ومقبول إنسانيا عن طريق إلغاء تلك الامتيازات الأمر الذي يوجد مخرجا سلميا لأصحاب تلك الامتيازات.مثل شيوخ العشائر والشخصيات العامة التي قد تغري الرغبة في استمرارها بعض الجماعات بمعاداة الديمقراطية والوقوف في وجه المطالبين بها، ان أوضاعنا الحالية تغرق في حالة من القطيعة المتسعة والانفصال المتزايد بين حركة الجماهير وحركة النخبة الأمر الذي حرم حركة الجماهير من خبرة النخب وتخصصات واتساع دوائر معارفها وحرم النخب من حركة الجماهير وتأييدها ودعمها ويمكن ملامسة هذا الأمر بشكل مباشر بمجرد تفحص الحياة السياسية التي تنقسم بين تيارات جماهيرية كبيرة تقودها كفاءات متواضعة في مقابل كفاءات كبيرة بل قواعد وبلا جماهير وهو ما يمكن التمثيل عليه بالقول ان أحزابنا السياسية اما أحزاب جنرالات بدون عسكر أو أحزاب عسكر بدون جنرالات وفي ظل هذا الوضع يعجز المطلب الديمقراطي عن العثور على قاعدة عريضة أو رابطة يمكن ان تترجمه إلى حقيقة ملموسة وبحسم موضوع المرجعية وبالتدرجية يمكن ان نجد علاجا لهذا الانفصال المرضي بين النخب والجماهير أو بين العقل والوجدان بحيث يصبح المطلب الديمقراطي قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي تقاس عليه وبه درجة المواطنة.

---

(١٥) للمزيد من التفصيلات بصدد الموضوع انظر الشيخ راشد الغنوشي – مبادئ الحكم والسلطة في الإسلام ملف على موقع الجزيرة على الانترنيت ٢٠٠١/٨/١٩ www.aljazeera.net .

الفصل الثاني

معوقات قيام الديمقراطية في العراق

تقف مجموعة عوامل خارجية وداخلية لتشكل عائقا أمام قيام ديمقراطية وربما يشترك العراق مع غيره من بلدان المنطقة والتي تعاني بدرجات متفاوتة من أنظمة حكم استبدادية وشمولية لا تؤمن بالديمقراطية كأسلوب للحكم من بعيد أو قريب وان ادعت بعضها غير ذلك وامتلكت بعض المؤسسات المشوهة لتؤكد انها أنظمة ديمقراطية وفيما يلي توضيحا للعوامل المعيقة لقيام الديمقراطية:

١- العوامل الخارجية: ان الدور الخارجي هو دور متعاظم الأهمية ومن الخطأ التقليل من شأنه إذ تلعب العوامل الخارجية دورا حاسما أحيانا في ظل اختلال موازين القوى بينها وبين الدول التي لها مصالح كبرى واستراتيجية في أرضنا وإذا ما أدركنا ان الديمقراطية تجلب بين ثناياها قرارا مستقلا لابد ان تكون له تأثيرات وتداعيات على الأوضاع القائمة وعلى المعادلات الدولية المحروسة بمنطق القوة قبل أي شيء آخر، كما ان قيام نظام ديمقراطي ربما يؤدي إلى معارضة الجيران الاقربين وخاصة إذا ما أدركوا انهم سيتضررون من ذلك التوجه.

ان ضغط الجوار العربي والإقليمي والمحيط الدولي يجد صداه في التأثير الذي يمارسه على الثقافة التي لابد من ان تواكب التغيير المنشود في الحياة السياسية والفكرية الحرة الأمر الذي قد يقود إلى تبرير استخدام القوة في سبيل تغيير الثقافة الدينية والاجتماعية ونشر ما يسمى بالعلمانية

وبث روح العقلانية والعلمية في المجتمع، يضاف إلى ذلك الرؤية الخاطئة لدى البعض من ان تقود الأوضاع الحالية (وهي أوضاع شاذة) النخب إلى نخب تابعة لا عقل لها ولا إرادة خاصة ولا تقوم إلا بالتنفيذ الآلي والمباشر للأوامر التي تعطى لها وتطلب منها[١٦]، وهنا ينبغي الإشارة إلى ان موضوع التبعية يفترض حسابات أدق للمصالح تعرض بين حاجات العلاقة مع الدول الكبرى وحاجات الحفاظ على المحلية للنخبة الحاكمة من جهة ثانية بما في ذلك الحد الأدنى من الصدق والشفافية أمام الرأي العام المحلي، ولذلك فليس هناك تبعية تلغي وجود النخبة المحلية الحاكمة ومصالحها، ولكن التبعية تفترض علاقة معقدة ومرنة لتقاسم المصالح حسب ميزان القوى القائم بين النخبتين المحلية والعالمية فقد ترفض النخب التابعة القواعد العسكرية غدا وتقبل بها اليوم أو بالعكس أو قد تطالب بنظام عالمي اقتصادي جديد وتوقع بعد سنوات اتفاقات الشراكة المتوسطية أو الشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة أو الدول الأوربية أو

(١٦) تردد هذا الموضوع كثيرا في المناقشات التي اجرتها وسائل الإعلام مع مجلس الحكم أو الأطراف المعارضة وللحقيقة نقول ان هؤلاء وبسبب ضعف الخبرة وقعوا أحيانا في الفخ من خلال التوجس من عرض آراء تطمئن العراقي إلى مستقبله مثل موضوع الاحتلال والرابطة القومية العربية وغيرها.

توقع اتفاق السوق الشرق أوسطية أو غيرها[١٧]، كما ان موضوع الصراع العربي – الصهيوني يجد تأثيره كعامل خارجي في قيام الديمقراطية باتجاهين فهو قد يعرقله بحجة تأجيل البحث في مسألة السلطة ونمط ممارستها وكان النظام السابق يعول على هذه المسألة كثيرا، ولكن يبدو لنا ومن خلال توجهات النخب المرشحة لاستلام السلطة ان موضوع الصراع العربي – الصهيوني لم بعد يشغل أولوية قصوى في جدول أعمالهم وبرامجهم من ناحية حتمية الصراع والإعداد العسكري للمواجهة، وبدلا من ذلك فأنهم يدرجون الديمقراطية كعنصر أساسي في استراتيجية المواجهة باعتبار ان ما تقدمه الديمقراطية من إطار لحل النزاعات الداخلية وتهيئ صناع القرار والشعب للدخول في حل الصراعات الإقليمية والدولية بالطرق السلمية والقبول بالنتائج[١٨].

لقد أظهرت التجربة السابقة ان تأجيل الاستحقاقات السياسية بحجة تأمين شروط مواجهة العدوان لم تساعد على حل القضية الفلسطينية وانما زادت من تعقيداتها، والواقع ان تحقيق التحولات الديمقراطية السياسية أي تغيير نظام ممارسة السلطة من حيث الغايات والمبادئ والقواعد يشكل دعما للقضية الفلسطينية مما يضفيه من شفافية في العلاقة مع القيادة والشعب الفلسطيني. وتوضيحا لصدق الموقف والقرارات.

ان الأوضاع الحالية التي يمر بها العراق وضخامة المصالح الأجنبية التي افرزها واقع الاحتلال وما سينتج عنه من علاقات اقتصادية تتمثل بمصالح نفطية وتجارية ومالية كبيرة تستند إلى وجود عسكري ودور أمني ونفوذ عوامل ضاغطة على عملية اتخاذ القرارات الأمر الذي قد يشكل عقبة أمام انتقال حقيقي للديمقراطية إذ ستتدخل القوى الخارجية إذا ما تعارضت السلطة الحاكمة أو التي سيفرزها النظام الديمقراطي الجديد مع بعض المصالح غير المشروعة أو احتمال تعرض التوجهات الوطنية مع استراتيجيات الهيمنة التي تفضل التعامل مع نظام حكم تابع بشكل كامل وبما يتيح لتلك الستراتيجيات السيطرة على الموارد الطبيعية والتجارية ومتطلبات إعادة الأعمار وبناء جيش جديد وتسليحه من مصادر تابعة، ولهذا ربما لن تكون إدارة الاحتلال متحمسة بشكل عام للديمقراطية إذا لم تكن ضدها إذا تعذر إفراغ الديمقراطية من توجهاتها الوطنية وحيث لا يوجد طلب شعبي فعال على الديمقراطية أو حركة وطنية ديمقراطية يحتمل ان توازن ضغط المصالح الأجنبية أو يحتمل ان تصل إلى الرأي العام الخارجي

(١٧) قارن مع د.برهان الدين غليون – المصدر السابق ص٥-٦.

(١٨) تؤكد دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة ان النظام السياسي الجديد في العراق سيعترف بإسرائيل وقد تحدث بعض أعضاء مجلس الحكم على العكس من ذلك في حين صمت آخرون ولم يصدر تأييد أو نفي رسمي باسم مجلس الحكم.

وتكسبه ضد تصرفات حكومته في المستقبل، فان النفوذ الأجنبي صاحب المصلحة المحلية سوف يظل عامل إعاقة للديمقراطية(١٩).

٢- العوامل الداخلية: ان الدولة العراقية الحديثة جاءت بعد هيمنة أجنبية.عثمانية ثم إنكليزية، وقد قامت هذه الدولة على قاعدة التبشير برسالة التقدم واللحاق بركب الحضارة وحقوق الإنسان والديمقراطية وهو ما جعل منها مشروعا لقيادة المجتمع من رأسه في اتجاه خلق البنى والمؤسسات الاجتماعية – السياسية مما أدى إلى مقاومة المجتمع للنخب الحاكمة وهو أمر طبيعي، وبدلا من الاستجابة إلى مطالب الرأي العام والسماح بنشوء مؤسسات اجتماعية تحول مشروع التحديث الذي كان بمثابة رسالة الدولة لمجرد وسيلة خادمة لاستقرارها وهيمنتها المطلقة وجزء من قاعدة مشروعيتها وكانت النتيجة ان قضية التحديث القسري على الآليات الدفاعية وأجهزة المناعة التي كان يتمتع بها المجتمع لصالح فراغ جعل المواطن فردا معزولا محروما من كل حماية في وجه القوة الوحيدة المنظمة الوحيدة وهي قوة الدولة واصبح المطلب الديمقراطي مقابل قوة الدولة ضعيفا لا يستند إلى قاعدة سياسية واجتماعية قوية وقادرة على حمايته وبهذا عجزت المؤسسات الحديثة من نقابات وهيئات وأحزاب عن ان تملأ الفراغ إذ ظل الانتماء إليها ضعيفا لا يكاد يؤثر في مجريات العلاقة بين المواطن والدولة.

ومن العوامل الداخلية المعيقة لقيام الديمقراطية ان أصحاب المصلحة من الأفراد والجماعات في الديمقراطية كثيرون ولكنهم غير متفقين على مضمون الديمقراطية ولا يمارس معظمهم الديمقراطية على ارض الواقع على أي مستوى من مستوياتها، فالديمقراطية ما زالت شعارا يفتقر إلى وجود مفهوم مشترك متفق عليه بين الداعين إلى الانتقال إليها، كما ان ممارستها في تنظيمات المجتمع المدني يشوبها الكثير من اوجه النقص وان هذه الحالة ستعرقل قيام تنظيمات المجتمع المدني ونموها. وبالإضافة إلى ذلك فان عدم وجود رؤية واضحة لموضوع تداول السلطة سلميا يعتبر من العوامل المعيقة لقيام الديمقراطية إذ لابد من اتفاق لدى الأغلبية على وجود آليات لانتقال المنصب السياسي من شخص لآخر سواء كان الأمر متعلقا بالنظام السياسي أو بمؤسسات المجتمع المدني وفي المقدمة منها الأحزاب والحركات والجمعيات إذ ان دراستنا وملاحظتنا لأغلب الحركات والأحزاب أشرت ان أية حالة تغيير أو اقتراب حدوث تغيير سرعان ما يواجه بالانشقاقات وتكتلات بعيدة كل البعد أحيانا عن الناحية الموضوعية، وفي ظل الأوضاع الحالية في العراق فان هذا الأمر سيشكل خطرا كبيرا على قيام الديمقراطية ويرى البعض ان مثل هذه الرؤية لا تقتصر على العراق وانما هي ظاهرة عربية – إسلامية إذ ليس من الغريب القول بأن تاريخ المنطقة

---

(١٩) للمزيد من التفصيلات انظر علي خليفة الكواري – نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية في أقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربي.

العربية/الإسلامية لم يكن متناغما مع الانتقال السلمي للسلطة، فقد عرفت المنطقة العربية الإسلامية منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خلفاء وسلاطين وأمراء لم يعرفوا معنى انتقال السلطة الذي تحول من شورى إلى تعيين إلى وراثة إلى الاحتكام إلى السيف، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى لم يتحقق التداول السلمي للسلطة لأسباب عديدة كان من أهمها ان الانتخابات الحرة والنزيهة أتت عادة بأغلبية من حزب أو أحزاب تدعو للاستقلال فتدخلت قوة الاحتلال إلى تزييف إرادة الناخبين أو تعطيل الحياة الديمقراطية وجاءت الانقلابات العسكرية لتفتح صفحة جديدة ربما أسوأ من سابقتها في موضوع التداول السلمي للسلطة[٢٠] وكانت حصة العراق من هذه الصفحة كبيرة وخطيرة اختتمت بخمسة وثلاثين عاما ابتدأت منذ العام ١٩٦٨ من الاضطهاد وتكميم الأفواه وخنق المعارضين والتصفيات التي اتخذت في الأعوام من ١٩٧٩ – ٢٠٠٣ طابعا عشوائيا لم يستثن أحدا حيث انتشرت المقابر الجماعية وازدحمت الزنزانات بالمعتقلين وضاقت السجون على كثرتها بشاغليها الأمر الذي جعل النظام يشرع في العام ٢٠٠١ بإجراء حملة بناء لتوسيع سجن أبو غريب الرهيب ناهيك عن اعتقال ومطاردة عوائل المعارضين حتى وان كانوا من القياديين في الحزب أو مؤسسات الدولة إذ كانوا يوضعون تحت المراقبة الشاملة في العمل والمسكن ويمنعون من تولي أية مناصب حساسة في الدولة واستدعائهم للتحقيق معهم بشكل دوري لا لذنب اقترفوه سوى ان لهم أبناء أو اخوة معتقلين أو معدومين إذ تكفي أحيانا تهمة تافهة لإعدام أي إنسان لا بل ان بعض التهم لا تحتاج إلى شهود مثل التهجم على رأس النظام أو انتقاد تصرفاته أو سلوكية أحد أبنائه.

لقد ولدت سنوات القهر والحرمان التي امتدت لأربعة عقود تقريبا إلى ظهور حالة في المجتمع العراقي جعلت من الفرد ميالا لأحد أمرين، اما لا مبالاة مطلقة بما يجري، أو اعتماد حوار العنف فالذين تعرضوا لقسوة وبطش النظام السابق نرى قسما كبيرا منهم يتبرم من أية مناقشة لا تلائم أفكاره ومعتقداته وينطلق من مسلمات يعتقد انها صحيحة لا بل اكثر من ذلك يطالب البعض بإجراء تصفيات للمواطنين الذين عملوا مع النظام السابق وقد بدأت تطبيقات هذا الأمر في حرمان شريحة كبيرة من المجتمع من مصادر رزقهم لا بسبب ما اقترفوه من جرائم بحق الشعب والوطن وانما بسبب جهودهم في هذا المرفق أو ذاك أو في هذه المؤسسة أو تلك في حين لا يختلف الجميع على حقيقة ساطعة وهي ان قسما كبيرا من هؤلاء الناس هم مواطنون صالحون لم يكونوا راضين عن سلوكية النظام ولكن لم تتح لهم الفرصة لمغادرة الوطن لأسباب تتعلق بشدة المراقبة عليهم أو لمسؤوليتهم عن عوائل ذويهم من المعدومين أو المعتقلين

(٢٠) للمزيد من التفصيلات بصدد الموضوع انظر د.صفي الدين خربوش تداول السلطة في الوطن العربي بين التشريعات والتطبيقات – بحث منشور في الانترنيت بتاريخ ٢٠٠١/٩/٥ .

ناهيك عن ان هؤلاء يمارسون المعارضة من داخل النظام ويسقطون هيبته ويثقفون الناس لمعارضة النظام وعدم ممارسة ما يريده من تفرقة بين مختلف الطوائف والمذاهب والأعراق.

ان هذه الحالة من العلاقات الاجتماعية والتأثيرات السلوكية ربما تمثل عائقا جديا أمام قيام ديمقراطية حقيقية تقوم على أساس المصلحة وطي صفحة الماضي من خلال الاحتكام إلى القضاء العادل والنزيه عبر محاكمات علنية تتبع فيها إجراءات وأصول المحاكم العادلة بعيدا عن روح الثار والانتقام غير المشروعين... وكما أشرنا سابقا فان مجتمعنا تنقصه الخبرة وقليل التجربة بالممارسة السياسية المعاصرة إذ لا يزال قسم كبير من مؤسساتنا المدنية (أحزاب، حركات، نقابات جمعيات...الخ) يعتمد في تركيبته على مؤسسات وقيم قديمة ترجع إلى ما قبل السياسة الحديثة من أسرة وعائلة وعشيرة وطائفة ... الخ اما الخبرة السياسية الحديثة أي العمل في إطار تضامن وطني يجمع الأفراد من وراء انتماءاتهم وارتباطاتهم الأهلية الخاصة فلا تزال ضعيفة كما وان الخبرة التي تراكمت في الحقبة التي سبقت انقلاب ١٩٦٨ لم تنتقل بسهولة وأحيانا لم تنتقل بتاتا إلى الأجيال الجديدة وتعرضت إلى انقطاع كبير لعدم الاستقرار السياسي وغياب التفاعل بين النخب السياسية وتصفية بعضها لأرث البعض الآخر كل ذلك ساهم ولا يزال يساهم في هذا الانقطاع في انتقال الخبرة وبالتالي في تراكم تجربة سياسية بما تشتمل عليه من ممارسات نموذجية وتقاليد وتقنيات وقيادات وأصول معروفة ومتبعة، كما ان الانفجار السكاني الذي شهده العراق في السنوات الأخيرة أدى إلى وجود أكثرية شابة تمثل أغلبية اجتماعية من الشباب الذين يفتقرون إلى أي شكل من أشكال التأطير الاجتماعي والتربية المدنية بل والاندماج المجتمعي ولا يحظون بأي رأسمال رمزي وثقافي ذي قيمة وهم بعيدون عن الحماس للقيم والمفاهيم والمبادئ والمعايير التي لا يزال يتمسك بها جيل الآباء وربما لا نخطئ إذا ما قلنا الأجداد لان الآباء يعانون من المشكلة ذاتها فلقد عمل النظام السابق على ابعاد الفرد عن التفكير بأكثر من ذاته فهو مطارد للخدمة العسكرية أو محروم من القبول في كلية لم يتمكن من الحصول على مقعد فيها بسبب القوانين الاستثنائية والإضافات في المعدلات والدرجات التي لا علاقة للطالب بها أو ملاحق للجيش الشعبي أو النخوة أو جيش القدس أو الخروج لمسيرة أو التواجد في احتفال أو راكضا وراء لقمة عيش أو معقد نفسيا بسبب اضطراره للتملق لهذا الشخص أو ذاك أو يعاني من فقدان والده أو أحد إخوانه في حرب مجنونة أو في أحد معتقلات النظام أو اختفاء أحد ذويه، ان هذا الكم الهائل من الجمهور المفتقر للتأهيل الاجتماعي والتكوين السياسي والمدني أي الوطني ربما سيؤدي إلى تحويل هؤلاء الشباب إلى خزان واسع وهائل للحركات التي ترد على مطالب فورية أو غريزية عند الشباب سواء كانت ذات طبيعة مادية أو معنوية وذلك

لضعف التفكير العام المؤدي إلى إنضاج قرارات وتفكير على المدى البعيد ومن هنا ربما يصبحون ضحايا سهلة للمجتمع الاستهلاكي الذي تغذيه الثقافات الوافدة وكذلك يصبحون ضحايا سهلة للنخب الحاكمة التي تستغل عطشهم ورغبتهم لتحقيق الذات من اجل تجنيدهم لقاء بعض المزايا أو تحقيق بعض الرغبات في الأجهزة والمؤسسات القمعية وتحويلهم إلى قاعدة يسهل التلاعب بها واستخدامها أداة للحكم والسيطرة وسيصبحون أيضا ضحايا سهلة لحركات التمرد التي تعدهم بخلاص قريب من آفة الشعور بالفراغ المادي والروحي بل بانعدام الوجود والحق في حياة فردية واجتماعية طبيعية.

وكما أوضحنا فيما سبق فان نظام الحكم الصدامي قد استغل هذه المسالة ابشع استغلال بحيث تكونت اليوم كتل كثيفة من الشباب المفرغين من أي قضية والمدفوعين نحو صراع مرير من اجل البقاء من دون أية رعاية فعلية أو شبكات امان لا يمكن ان تشغلهم أية قضية عامة، فهم مدفوعين للبحث عن إشباع حاجاتهم المباشرة والفطرية بالغريزة وحدها، وبعيدا عن أي معايير اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية ولم تنفع الهياكل والبنى التقليدية والأسرية والطائفية والعشائرية الموروثة من إملاء هذا الفراغ بحيث لم تنفع جميع النداءات التي صدرت من تلك الهياكل مثلا في الكف عن تخريب المنشآت العامة ودوائر الدولة، وربما سيكون الحال ذاته عندما ينخرط هؤلاء الشباب في الأحزاب السياسية التي تبحث عن زيادة عددية لأغراض المنافسة دون ان تلتفت إلى النواحي الأساسية في بناء الإنسان العراقي الجديد المتحرر من عقد الخوف والانتهازية والتملق للسلطة والتي حاول النظام السابق تكريسها في مدركات الشباب من خلال خلع الأخلاقية المجتمعية والوطنية وإحلال التبعية والولاء والاستزلام لأشخاص لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

ومن المعوقات الأخرى للديمقراطية موضوع الاستئثار بالموارد العامة باعتباره حقا مكتسبا للحاكم الأمر الذي أدى إلى ظهور نوع من الشعور بان موارد الدولة ما هي إلا ميراث خاص للفئة الحاكمة انتقل إليها من الجيل الذي سبقها، ولقد عمل النظام السابق على تكريس هذا الإدراك في أذهان الناس من خلال التصرف بالموارد على أساس ان ما يصرف لتسيير شؤون المجتمع ما هي إلا هبات ومكارم من الفئة الحاكمة، ان هذا الحال الذي استمر لفترة طويلة ترافق مع فساد إداري لم يشهد له تاريخ العراق مثيلا بحيث لا يمكن إنجاز أية معاملة بسيطة أو الحصول على خدمة عامة إلا لقاء رشوة بعضها غلف بحجة الحوافز أو الضرائب مما أدى إلى ان يتوهم السواد الأكبر من الشعب بان المنصب الإداري أو السياسي موضوع للاحتكار والاستئثار، وربما يكون هذا الإدراك قد عشعش في أذهان قسم من الناس بحيث يوهمهم باتخاذ سلوكيات تتنافى والمنهج الديمقراطي القائم على مبدأ السيادة الشعبية

والذي نلاحظ اليوم إهماله من خلال الاعتماد على مبدأ الأمر الواقع كقاعدة للعمل السياسي في تسهيل ما يسمى بالسلطة الاستيلائية إذا جاز لنا التعبير ((والتي تتحقق بسبب الشوكة والقوة المادية والعسكرية المحصنة ومن دون السؤال أي سؤال عن رأي الأغلبية الاجتماعية أو الانشغال بقبولها أو رفضها، فهي سلطة الأمر الواقع ومن الصعب على سلطة الأمر الواقع ان تطور أي تفكير بالتعددية وان تفهم مضمون ومعنى التحولات الديمقراطية باعتبارها تجسيدا لإرادة الجميع))[٢١]. ان الوقوع في هذا الخطأ ربما سيعود إلى إعادة إنتاج النظام التسلطي.

الاستنتاجات والمقترحات

من خلال سير البحث يمكن استنتاج ما يأتي:

١- ان بناء الدولة الديمقراطية الحديثة يتطلب التمسك بالشرعية التي تعني خضوع كل تصرفات الدولة لقواعد قانونية يستطيع المواطنون المطالبة باحترامها أمام قضاء مستقل وان يكون صدور ذلك القانون وفق إجراءات متبعة وان تمتنع الدولة عن إتيان أي فعل لا ينسجم مع نظامها القانوني السائد وان تلتزم باحترام القيم الأساسية والأهداف العليا للمجتمع بما يؤدي إلى القبول الطوعي من قبل الشعب بقوانينها وسياستها وبعدالتها وملاءمة مؤسساتها لحاجيات المجتمع وقيمه.

٢- ان هذه العملية كما لاحظنا من خلال البحث تتطلب التركيز على التمسك بالديمقراطية كوعاءٍ أو أداة وان تكون مرجعيتنا إسلامية لنضمن رضا أوسع قطاعات المجتمع وتقوم الديمقراطية على خمسة أركان أساسية هي:

أ. ممارسة السلطة العامة من قبل ممثلين في انتخابات حرة وعامة.

ب. تكريس دولة القانون التي تضمن احترام القانون وتطبيقه بالتساوي على جميع أفراد المجتمع.

ج. تامين العدالة الاجتماعية.

د. ضمان الحريات الفكرية والسياسية والتنظيمية.

ه. إدارة مسؤولة وذات كفاءة.

٣- وتستند الديمقراطية على المرتكزات الآتية:

أ. اعتبار المواطنة مصدر الحقوق ومناط الواجبات.

ب. الإقرار بان الشعب مصدر السلطات.

ج. الاحتكام إلى شرعية دستور ديمقراطي.

د. قيام مجتمع مدني ونمو رأي عام مستنير.

---

[٢١] د.برهان الدين غليون – المصدر السابق ص١٠ .

ه. تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي.

ان قيام حكم ديمقراطي تعترضه العديد من المعوقات أهمها:

أ. المعوقات الخارجية والمتمثلة بالتأثيرات الإقليمية والدولية واحتمالات تعرض قيام حكم ديمقراطي إلى عرقلة بسبب تعارض هذا الحكم مع توجهات دول الجوار أو التعارض مع استراتيجيات الدول الكبرى وفي مقدمتها الدول المحتلة ناهيك عن تأثير عامل الصراع العربي الصهيوني والذي قد يؤدي إلى تشويه التجربة الديمقراطية.

ب. العوامل الداخلية حيث لاحظنا ما يأتي:

أولا– التجربة العراقية الوليدة لا تمتلك تجربة أو خبرة واسعة في الممارسة الديمقراطية.

ثانيا– الإرث الحضاري المتسم بعدم وجود تجربة ديمقراطية يمكن ان تسعف العراقيين في بناء تجربتهم الديمقراطية.

ثالثا– تأثيرات سنوات القهر والحرمان في إحلال قيم معرقلة للديمقراطية منها سيادة منطق العنف بدلا من الحوار واحتمال انتقال عدوى ممارسات النظام السابق في إعادة إنتاج سلطة الاستبداد.

رابعا– وضع الشباب وإهمال معالجة أوضاعهم وعدم وجود قيم وطنية صحيحة وعدم قدرة الولاءات التقليدية على كبح جماح الغرائز غير المشروعة والممارسات الخاطئة.

خامسا– احتمال اعتماد الأحزاب السياسية في تنافسها على الأسلوب الكمي في كسب الأنصار مما يؤدي إلى اعتماد صيغ النظام السابق ويشل الديمقراطية.

ولغرض قيام نظام ديمقراطي حقيقي نقترح ما يأتي:

أ. العمل على ان يكون إصدار الدستور من خلال جمعية تأسيسية.

ب. اعتماد مبدأ الشفافية عند إجازة الأحزاب السياسية بحيث تعرض برامجها وأنظمتها الداخلية للجماهير من خلال نشرها في صحافتها أو في صحف أخرى.

ج. تشكيل لجنة وطنية لأعداد برنامج موسع لتأهيل الشباب وإعادة تثقيفهم بالمبادئ الوطنية العليا.

د. العمل على إصدار لائحة عراقية لحقوق الإنسان.

ه. العمل على قيام مصالحة وطنية وإعادة صرف مستحقات الذين لم تثبت إدانتهم في ممارسة جرائم ضد الشعب والوطن.

و. توضيح المعاني الحقيقية للديمقراطية من خلال وسائل الإعلام المختلفة وان يجري التركيز على كون الديمقراطية وعاء ذا مرجعية إسلامية.

ز. اعتماد الشفافية في المواقف السياسية لمن يتولى الحكم من القضايا التي تهم المواطن سواء في أبعادها الداخلية أو الخارجية.

ح. نبذ منطق الاستعلاء عند التحدث في وسائل الإعلام وتقبل الرأي الآخر مهما كان مخالفا إذ ان قادة الرأي العام يؤثرون في آراء الناس بشكل أو بآخر وترك مقولة ((نحن اعرف من غيرنا بالعراق)) جانبا لان هذا الأمر سيجعل الناس يتمسكون بآراء ومسلمات لا يقبلون بمناقشتها.

ط. الاعتماد على المتخصصين في العلوم السياسية والاجتماعية والنفسية في وسائل الإعلام وتكليفهم بإعداد لقاءات وبرامج توعية لخلق رأي عام مستنير وعلى الأخص من الأساتذة الذين عانوا من بطش وتعسف النظام في الداخل أولا واستضافة القادمين من الخارج كأسبقية لاحقة.

ي. التركيز على ان الديمقراطية التي تهدف الى بناء مجتمع عراقي متماسك لايمكن ان تغفل البرامج الرامية الى تطبيقها كون العراق جزء من محيط اقليمي متداخل المصالح والعلاقات ومرت بفترات عداء لاذنب للشعب فيها لذا ينبغي ان يرتبط اصلاح الداخل باصلاح العلاقات وطي الماضي بكل مرارته.

موقف البلاط الملكي العراقي من نشاط الاحزاب السياسية ١٩٢١-١٩٣٩

المدرس

قيس جواد علي الغريري

مركز دراسات الكوفة

-موقف البلاط الملكي من ألأحزاب السياسية في عهد الملك فيصل الأول: بعد تتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق في ٢٣آب ١٩٢١، أدرك الملك ضرورة إيجاد تنظيم إداري يسهم في تنظيم المهام المتعلقة بالملك وعلاقاته المختلفة بالدولة والشعب. فأستحدث البلاط الملكي والذي تألف من أربع دوائر هي:

أ. الديوان الملكي.
ب. الأمناء والتشريفات.
ج. المرافقون والحرس.
د. الخزينة الخاصة.

وتعد مؤسسة الديوان الملكي من أهم دوائر البلاط الملكي، فهي المسؤولة عن أغلب شؤون البلاط، وتعتبر المرجع الرئيسي للشؤون الرسمية بين الملك والحكومة، ويدير شؤون الديوان الملكي عدد من الموظفين على رأسهم رئيس الديوان الملكي، الذي يقوم في الوقت نفسه بمهام سكرتير الملك الخاص ويقوم بعرض القضايا والمخابرات الرسمية إلى الملك وهو الواسطة لتبليغ الأوامر الملكية أيضا[1].

ويعد منصب رئيس الديوان الملكي، أحد المناصب المهمة في الدولة العراقية-آنذاك-حتى صار أشغال هذا المنصب مصدرا للتنافس بين السياسيين العراقيين، لأن لرئيس هذه المؤسسة نفوذ وسلطة توازي ما يتمتع به رئيس الوزراء ووزير الداخلية من قوة، فضلا عن إن الذي يشغله يكون على اتصال دائم بالملك مما يؤثر فيه تأثيرا شديدا على حد قول ساطع ألحصري. ويتمتع رئيس الديوان الملكي بصلاحيات كبيرة للبت في كثير من القضايا المعروضة على الملك كطلب التعيين والاسترحامات وحسم

[1] د. ك. و، البلاط الملكي، د/٤، ١٦٥-٣١١، المطبوعات وثيقة رقم(٨٦).

قضايا النزاع حول الأراضي. لذلك صار الديوان الملكي ملجأ للكثيرين، إذ عن طريقه يمكن تحقيق ما يعجز عن تحقيقه الوزراء بما في ذلك رئيسهم في بعض الأحيان، وهذا ما دفع البريطانيين إلى وصف هذا المنصب بأنه"الأكثر نفوذا والأقل شهرة" وعد ساطع ألحصري رستم حيدر أحسن من تبوأ هذه المؤسسة بسبب سعة ثقافته عمق تفكيره وبعده عن حب الظهور تجرده عن كل أنواع شهوة الحكم[٢].

ومن المهم أن نشير أن رستم حيدر مكث في رئاسة الديوان الملكي مدة سبع سنوات خلال عهد الملك فيصل، كان خلالها كاتم أسراره وأقرب مستشاريه وقد وضع رستم حيدر أطر العمل في هذه المؤسسة بالشكل الذي يكون لها تأثير في الحياة السياسية للدولة العراقية، وتنفيذ سياسة الملك فيصل تجاه مختلف الأحزاب والاتجاهات السياسية[٣].

ومهما يكن من أمر هذه المؤسسة، فأنها وقفت أول الأمر. بعد تتويج الملك فيصل. موقفا متشددا من قيام الأحزاب السياسية خشية أن تؤول الحالة إلى ما كانت عليه الأحزاب السياسية في سوريا ذات الخطط المتضاربة والمقاصد المختلفة. ولكن الوطنيين العراقيين ظلوا يراجعون ويلحون لإنشاء حزب سياسي، إلى أن أصدرت وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية في ٢تموز ١٩٢٢ قانون الجمعيات، وسمحت بتأليف حزبين أحدهما هو الحزب الوطني العراقي وسمي الثاني حزب النهضة العراقية[٤].

جاء إجازة الأحزاب السياسية في ظروف صعبة، كانت خلالها الحركة الوطنية في العراق تغلي للتخلص من نير الانتداب البريطاني. في وقت كان الملك فيصل أكثر تحفظا وحذرا في علاقاته مع الوطنيين خاصة بعد النهاية المأساوية لنظامه في سوريا، ولكنه لم يقطع صلته بالحركة الوطنية، بل كان يشجعها من وراء الستار ويستمع إلى رأي زعمائها ويفتح أبواب بلاطه في وجهها لكي يستخدمهم ورقة ضاغطة ضد البريطانيين وقت الحاجة.

ومن جانبهم كان البريطانيون يمارسون ضغطهم وتأثيرهم على الملك. إذ ظهر اول ضغط عليه، حين طلب تشرشل وزير المستعمرات البريطاني من المندوب السامي البريطاني أن يضمن عدم تدخل الملك بتعيين الموظفين في أية دائرة من دوائر الحكومة بما في ذلك رئيس بلاطه وسكرتيرته الخاص. وعد الملك هذا المقترح

---

[٢] قيس جواد الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٩، ص٨١.

[٣] غازي دحام المرسومي، البلاط الملكي في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص٣٢.

[٤] للتفاصيل عن منهاج الحزبين راجع: فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص ص٦٠-٧٢.

انعكاسا ليس فقط لعدم ثقة الحكومة البريطانية به، بل ولتقييد حركته واتصالاته، لذلك هدد بالاعتزال إذا كانت هذه الثقة غير متوفرة وطالب أن يكون مستقلا بالمسائل الشخصية[٥].

ومن هذا المنطلق وضع الملك في بلاطه رجال يثق بهم جدا ليتصرفوا كما هو يريد فعلا، وأن لم يظهر ذلك عليه، كما لم يتواجد في بلاطه المستشارون البريطانيون ليمارسوا ضغوطهم عليه، وجاء الضغط البريطاني الأخر على الملك فيصل في موضوع البت بالمعاهدة العراقية- البريطانية الأولى، والتي لقيت معارضة شديدة من جانب حزبي النهضة والوطني، وبدعم وتشجيع من البلاط الملكي لنيل معاهدة بشروط مرضية مع بريطانيا وأيضا لتأزيم الموقف على وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية، التي فرضت على البلاط فرضا وبدعم وإسناد من دار الاعتماد البريطاني، بينما ظهر الملك وكأنه أتخذ موقفا وسيطا في النزاع لا طرفا فيه. الأمر الذي دفع الوزارة إلى الاستقالة فقبلها الملك على الفور، إلا أن المعتمد السامي كان يفكر في حمل الملك على رفضها في حين أعتبر الوطنيون استقالة الوزارة انتصارا لموقفهم من الأحداث السياسية التي كانت تتمخض البلاد بها يومئذ وخذلانا للسائرين في ركاب المعاهدة[٦].

أحدثت استقالة الوزارة حماسة قوية في صفوف الحزبين المتآخيين الوطني والنهضة فاستغلا الذكرى الأولى لارتقاء الملك فيصل عرش العراق في ٢٣آب١٩٢٢. فقررا توحيد مساعيهما للمطالبة بحقوق البلاد وإقامة مظاهر صاخبة في اليوم المذكور وحدث أثناء المظاهرة، أن أقبل المعتمد السامي بصحبة أفراد حاشيته ليقدم إلى الملك فيصل مراسيم التبريك بذكرى عيد تتويجه، فسمع منادي ينادي " ليسقط الانتداب، لتسقط إنكلترا " فبعث بإنذار شديد إلى رئيس الديوان الملكي طالبه فيه بمعاقبة المسؤولين عما قيل من أهانه، وإقالة فهمي المدرس-رئيس الأمناء- فقدم الأخير استقالته.

لقد استغلت دار الاعتماد هذه الحادثة للاقتصاص من الحركة الوطنية والتنكيل بقادتها تمهيدا لتمرير مخططاتها وفي مقدمتها إقرار المعاهدة العراقية- البريطانية وبالشكل والصيغة التي تريدها بريطانيا. وهكذا طالب المندوب السامي باعتقال المسؤولين عن التظاهرة. غير أن الملك رفض تنزيل العقوبة بهم، إذ أنه أصيب في هذه الأثناء بالتهاب الزائدة الدودية ورفض التوقيع على العقوبة[٧].

استغل المندوب السامي مرض الملك فلزم زمام السلطة بيده ووجه ضربة قوية للحركة الوطنية. فأبعد بعضهم إلى جزيرة هنجام وأغلق حزبي النهضة والوطني

---

[٥] احمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا، بغداد، ١٩٨٠، ص٦٩.

[٦] فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص٧١.

[٧] عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول، بغداد، ١٩٩١، ص١١٠.

وعطل بعض الصحف الوطنية وأمر الطائرات البريطانية بقصف مضارب عدد من قبائل الفرات الأوسط ومنطقة ديالى، وسارع المندوب السامي من أجل إعادة الكيان للسلطة الحاكمة من جهة ولإرجاع شيء من الاحترام الشعبي لها فأوعز إلى رئيس الوزراء النقيب بتأليف حزب سياسي جديد وبالاتفاق مع "المس بيل" فتكون الحزب الحر العراقي في ٣أيلول ١٩٢٢، برئاسة أكبر أولاد النقيب "محمود النقيب" لتأييد مبادئ الوزارة النقيبية من عقد المعاهدة.

أما الملك فيصل فلم يكن بوسعه الوقوف بوجه إجراءات المندوب السامي وهو في بداية حياته السياسية في العراق، فوافق على إجراءاته التي أدت إلى تجميد الحركة الوطنية لنشاطها[٨].

عاودت الحركة الوطنية نشاطها بعد نشر وزارة النقيب الثانية لبنود المعاهدة والموافقة عليها وشرعت في إجراء انتخابات المجلس التأسيسي الأمر الذي دفع الحركة الوطنية إلى معارضتها ووجدت هذه الحركة تشجيعا من البلاط الذي ساهم في تأزيم الموقف على وزارة النقيب الثالثة، ومن بعدها وزارة عبد المحسن السعدون الأولى، ضمن المناورات البارعة للملك فيصل أن ينفض عن نفسه معارضته للنقيب أو السعدون، ويخرج إلى الساحة مناصرا لهما في الوقت الذي يعمل لأضعاف موقفهما في البلاد، ولذلك لم يحاول البلاط ثني البرلمان عن احتجاجاته والصحافة عن هجومها على قبول المعاهدة والسياسية البريطانية في العراق. بل أن البلاط أخذ يتذمر من تعذر الحصول على مرشح لرئاسة الوزارة بعد استقالة السعدون. ووضع قسط من اللوم على عاتق دار الاعتماد والسياسة البريطانية في زج البلاد إلى حالة عدم الاستقرار.

ولكن الملك فيصل شعر أخيرا إن محاولته بالسعي لنيل معاهدة مرضية تضمن للعراق استقلاله كما أشاعها الوطنيون لا يمكن تحقيقها، فقرر إبعاد الوطنيين من العملية بأي صورة من الصور، وساهم البلاط الملكي في إضعاف الحركة الوطنية. فقد قرر حزب النهضة أن يقف موقف المتفرج من الانتخابات، وأنشطر الحزب الوطني إلى شطرين قال أحدهما بوجوب مقاطعة الانتخابات وقال الأخر بوجوب الاشتراك فيها، مما أضعف الحزب بصورة عامة. وبذلك حقق البلاط هدفه أخيرا إذ تم تصديق المجلس التأسيسي على المعاهدة وبأغلبية ضئيلة في وزارة جعفر العسكري الثانية[٩].

هدأت الحياة السياسية في العراق، بعد أن تم المصادقة على المعاهدة وانتهت أعمال المجلس التأسيسي، وبادرت وزارة ياسين الهاشمي الأولى إلى القيام بانتخابات المجلس النيابي، وقد أتسمت تلك الانتخابات بمداخلات من قبل البلاط والوزارة.

---

[٨] عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٧، ج١، ١٩٨٨، ص١٢٤.

[٩] كاظم نعمة، الملك فيصل الأول، ط٢، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٣٩.

عاودت الأحزاب السياسية نشاطها في عهد وزارة السعدون الثانية، فتألف حزبان سياسيان أحدهما هو حزب التقدم الذي شكله السعدون ليشد أزر وزارته في تمشية اللوائح القانونية ونحوها. وقد أختار لعضويته عددا من النواب الذين كانوا يؤمنون مثله بضرورة التعاون بين العراق وبريطانيا. أما الحزب الأخر فهو حزب الشعب الذي أسسه ياسين الهاشمي وهو حزب معارض لحزب التقدم وتقوم سياسته على أساس "خذ و طالب"[١٠].

برزت في عهد وزارة السعدون الثانية مسألة المفاوضات مع بريطانيا لتعديل معاهدة ١٩٢٢، في وقت كان حزب التقدم مؤيدا لسياسية الحكومة بينما حزب الشعب معارضا لها. أما البلاط فقد كان على اتصال بهذين الحزبين عن طريق بعض أعضائهما، اللذين كانا يقدمان المعلومات للبلاط عن نشاطهما أولا بأول[١١]. أما الملك فقد كان يتوجس خيفة من أتساع نفوذ السعدون لدى دار الاعتماد البريطاني، كما أنه لم يسمح لمعارضة ياسين الهاشمي أن تحوله إلى زعيما وطنيا شعبيا بحيث تطفي شخصيته على شخصية الملك فيصل.

وفي ضوء هذه الأوضاع ارتئ البلاط أن يبحث عن شخصية قوية يستطيع استخدامها للوقوف بوجه هذين السياسيين العتيدين، وهنا جاء الاختيار على رشيد عالي الكيلاني رئيس أول مجلس نيابي في العراق، هذا المنصب الحساس الذي يستطيع البلاط من خلاله تمرير سياسته داخل المجلس فقام صفوت العوا ناضر الخزينة الخاصة بتقديم رئيس المجلس إلى الملك، وأقام بينهم جسور صلات قوية جلبت انتباه توفيق السويدي فقال:"**قربة البلاط، قرب رشيد ضد ياسين والسعدون، وأخذ يستشيره وهو صاحب المعلومات والد ؤوب على العمل.......**". كما أثارت تلك العلاقة انتباه البريطانيين، فتحدثوا عن الولاء الذي لا يقبل النقاش الذي يكنه رشيد عالي للملك فيصل[١٢].

ومهما يكن من أمر هذه العلاقة، فأن الملك فيصل ومن أجل تحجيم نفوذ السعدون والهاشمي وحزبيهما اللذين ألتف حولهما الكثير من شيوخ القبائل، أوصى على ما يبدو لرشيد عالي بتأليف كتلة الوسط بين الحزبين المتنافسين ولتنفيذ سياسة البلاط في مجلس النواب، وفعلا ضمت هذه الكتلة عددا من شيوخ القبائل ونواب المجلس وساهمت في تنفيذ سياسة البلاط ومنها إمرار معاهدة ١٩٢٦داخل المجلس

---

(١٠) للتفاصيل عن منهاج الحزبين أنظر: عبد الرزاق الحسني، الأحزاب السياسية العراقية، ط١، بيروت، ١٩٨٠.

(١١).Air, 3-265-4583,I-8d-35,June6, 1927

(١٢) توفيق السويدي، مخطوطة وجوه عراقية محفوظة لدى خيري العمري.

F.O.,371-12260-4022,Note on the 1927, p.

وبصورة مستعجلة وسرية ودون مناقشة. وساهمت أيضا في عملية انتخاب رئيس جديد لمجلس النواب في تشرين الثاني ١٩٢٦، حيث نفذت منها ما أراد البلاط في تحجيم نفوذ السعدون، الأمر الذي عبر عنه توفيق السويدي خير تعبير حين قال:"أصبح رشيد والبلاط في موضع والسعدون وحكمت سليمان في موضع أخر فتمادت القوى في انتخاب رئيس لمجلس النواب، وبذل البلاط جهده لإقناع النواب بانتخاب رشيد عالي...نكاية بالسعدون".

وعلى الرغم من أن السعدون قد أجتمع بأنصاره من حزب التقدم طالبا منهم دعم نرشح حزب التقدم حكمت سليمان، إلا أنهم ساندوا رشيد عالي بضغط من الملك فيصل، ،وخرجوا بعد انتخابه يهتفون بحياة الملك فيصل، الأمر الذي اغضب السعدون ودفعه إلى الاستقالة في ١ تشرين الثاني ١٩٢٦[١٣].

أما المعتمد السامي البريطاني هنري دوبس فقد كتب تقريرا إلى حكومته مؤكدا أن الملك كان وراء تلك النتيجة، إذ أنه أظهر دعما للمعارضة، كما أنه مارس ضغطا على ممثلي الأحزاب في المجلس من أجل انتخاب رشيد عالي، وأشتكى هنري دوبس من أن الملك قبل استقالة السعدون دون أن يخبره وعندما استوضح منه السبب رفض بيان الأسباب أو أعطاء المبررات التي سمحت بانتخاب رشيد عالي الكيلاني، ولم يكتف المعتمد السامي بذلك بل طلب من الملك فيصل حل مجلس النواب، ألا أن الملك رفض ذلك الاقتراح متذرعا بأن مثل ذلك العمل سيجلب أسوأ النتائج بالنسبة إلى المستقبل. وأقترح استدعاء جعفر العسكري لتأليف وزارة ائتلافية يدخل فيها رؤساء الأحزاب تمهيدا لتفتيت الحياة الحزبية وشخصيات هذه الأحزاب، لكي تبقى شخصية الملك فيصل هي القيادة وهي الموجه السياسي الوحيد في البلد[١٤].

وفي ضوء كل ما تقدم يغدو بالإمكان القول أن الأحزاب السياسية الرئيسية وهي حزب التقدم والشعب والوسط تميزت بالضعف العام والتفكك وغالبا ما يترك العضو الحزب الذي فقد السلطة لينتقل إلى غيره، كما أن رؤساء هذه الأحزاب لم يتمسكوا بالقيود الحزبية، ولم يكونوا سائرين على مبدأ واحد، بل تتغير تصريحاتهم وتتناقض شعاراتهم بتغير الظروف والمصالح الشخصية، ولم يكن الحزب الوطني الذي أعيد تشكيله عام ١٩٢٨ بأحسن حالا من بقية الأحزاب، وينبغي أن لا ننسى دور البلاط الملكي في تفتيت هذه الأحزاب وأضعافها.

ومن المهم أن نشير هنا أن نشاط هذه الأحزاب قد تركز حول موقفها من أهم قضية عراقية تشغل بال العراقيين -آنذاك- ألا وهي العلاقات مع بريطانيا. فقد شهدت الفترة من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٠ مفاوضات صعبة مع الجانب البريطاني لعقد

---

[١٣] قيس جواد الغريري، المصدر السابق، ص ص٥٦-٥٧.

[١٤] فاروق صالح العمر، المصدر، ص ١٧٧.

معاهدة جديدة، وقد لعب البلاط الملكي دورا كبيرا في تأجيج الموقف الوطني وإشراك الحركة الوطنية في عملية المفاوضات باعتراف البريطانيين أنفسهم.

ومن المفيد بمكان أن نلحظ أن البلاط كان يميل إلى حكومة سعدونية كلما تأزمت العلاقات العراقية– البريطانية. بينما كان الوطنيون يساندون السعدون عندما يتجاوب مع مشاعرهم. وهكذا وجد السعدون نفسه وحيدا بين عدة قوى تضغط عليه الحركة الوطنية من جهة، ودار الاعتماد البريطاني من جهة أخرى. فالأولى ذهبت إلى الظن أن السعدون كان على استعداد للتعاون مع دار الاعتماد وأنه أنصاع وراء طموحاته السياسية بينما كانت الأخيرة تعاتبه على تصريحاته المتشددة ضد بريطانيا وسياستها في العراق[15].

دفعت تلك العوامل السعدون إلى الانتحار، وكان لانتحاره أثرا كبيرا في حدوث أزمة وزارية أوصلت المفاوضات مع بريطانيا إلى طريق مسدود، وأدت إلى خروج مظاهرات في بغداد يوم ٢١ آذار ١٩٣٠ تطالب بالاستقلال التام. الأمر الذي دفع البلاط إلى التدخل حتى لا يفلت زمام الأمور من يده ويحد من قدرته على المناورة والمساومة بحرية أكبر، فأخذ يعمل على تحجيم المعارضة الوطنية وكان الشخص المطلوب من هذه الظروف هو نوري السعيد الذي حظي بتأييد البلاط ودار الاعتماد ليعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا.

عقد نوري السعيد بعد مفاوضات سرية معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا بعد أن جاء بمجلس نيابي مطيع للوزارة صادق على هذه المعاهدة في وقت اتجهت المعارضة الوطنية إلى تأليف حزب سياسي جديد هو حزب الإخاء الوطني برئاسة رشيد عالي وياسين الهاشمي عام ١٩٣٠ ليتعاون ويتآخى مع الحزب الوطني للوقوف بوجه حزب العهد العراقي الذي شكله نوري السعيد وجعل له الأكثرية في مجلس النواب[16].

ومن جانبهم قام ممثلي الحزبين المتآخيين رشيد عالي وياسين الهاشمي وجعفر أبو ألتمن بزيارة منطقة الفرات الأوسط وجنوب العراق وعقدوا المؤتمرات القبلية، وابرقوا إلى الملك فيصلَ البرقيات محتجين فيها على تصرفات رجال الإدارة والأمن في المناطق التي زاروها والتمسوا من الملك عدم تصديق المعاهدة.

وغني عن القول، أن الملك فيصل كان على اتصال مباشر بأقطاب المعارضة يشجعهم حتى أن زعيم حزب الإخاء رشيد عالي كان بمثابة مستشار له ووصل التقارب بينهم إلى درجة حتى قيل أن الملك فيصل كان الرئيس الفعلي لحزب الإخاء فترة تولي رشيد عالي رئاسته. ويعزى توفيق السويدي قوة تلك العلاقة إلى أن رشيد

---

(١٥) كاظم نعمة، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(١٦) للتفاصيل عن منهاج هذه الأحزاب راجع: فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ص ٢٢٠-٢٢٤.

عالي كان يطمئن الملك فيصل بأن سياسته معتدلة منصبه على التوفيق بين المقتضيات البريطانية ومصلحة العراق[١٧].

وعموما يمكن القول أن البلاط الملكي لم يسمح لحزب الإخاء أن يأخذ حجما أكبر من حجمه على الصعيد الشعبي، فاختار الملك أحد أكبر زعمائه رشيد عالي لرئاسة البلاط الملكي، وبذلك بدأت عملية تفتيت الحزب على حد قول طه الهاشمي، كما أن الهدف الأخر للبلاط كان النيل من نوري السعيد الذي زاد نفوذه اتساعا باعتراف البريطانيين أنفسهم[١٨]. وفعلا أثمر وجود رشيد عال في البلاط الملكي إلى أبعاد نوري السعيد عن الحكم ومجيء حزب الإخاء إلى السلطة، ولكي لا ينفرد حزب الإخاء وحده في السلطة حرص البلاط على إشراك العناصر المؤيدة له من بقايا حزب العهد العراقي، لكي يستطيع أن ينفذ إلى داخل الوزارة ويحافظ على مبدأ "التوازن بين الساسة"، لذلك جمعت الوزارة النقيضين أشد أنصار المعاهدة وأشد المعارضين لها.

موقف البلاط الملكي من الأحزاب السياسية في عهد الملك غازي.

توفي الملك فيصل في٨ أيلول ١٩٣٣ على حين غرة في سويسرا، وفي ظروف غامضة أثارت التأمل والحدس. كما أحدث غيابه المفاجئ فراغا كبيرا في السياسة العراقية، لم تكن البلاد مهيأة لملئه. وجاء بعده ولده الأمير غازي، الذي توج ملكا وكان لصغر سنه وقلة تجربته، فضلا عن محدودية ذكائه أثر في تسابق معظم الساسة لاحتوائه. وأشتد التنافس بينهم لإدارة رئاسة البلاط من أجل ممارسة تأثيرهم في الملك الشاب.

ويعد علي جودت الأيوبي أول من حقق ذلك. إذ وصف معاون رئيس الديوان الملكي واقع هذه المؤسسة–آنذاك– بقوله"أن الملك غازي كان ضعيفا وبعيدا عن الاهتمام بشؤون الدولة، وأصبحت السلطة بيد رئيس الديوان الملكي الأيوبي، الذي كان صاحب الحظوة الأولى والحائز على ثقة الملك". فاستطاع الأيوبي من خلال منصبه أن يهيمن على الملك في وقت كان شيد عالي الكيلاني رئيسا للوزراء في وزارته الثانية، وعندما طلب الأخير حل مجلس النواب ليسيطر عليه حزب الإخاء، نصح الأيوبي الملك بعدم حله، فأدى ذلك إلى استقالة أقوى وزارة عراقية كانت البلاد بحاجة إليها في تلك الفترة[١٩].

والأكثر من هذا دفع الأيوبي الملك غازي على تكليف صديقه الحميم جميل المدفعي لرئاسة الوزارة، ولم يكن المدفعي بالشخصية القوية القادرة في تلك الظروف

---

[١٧] قيس جواد الغريري، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨٢.

[١٨] طه الهاشمي، المصدر السابق ط١، ص٦٣.

F.O, 371-16049-6061, 96637-32, July 30, 1932

[١٩] خير الدين العمري، مقدمات ونتائج، مطبوع بالآلة الكاتبة، ج٢، ص٢٢.

القلقة على الصمود بوجه العواصف السياسية التي سرعان ما جرفتها بسرعة. وجاء الأيوبي إلى رئاسة الوزارة في ٢٧ آب ١٩٣٤. فأحتفظ لنفسه بالمناصب الرئيسية الثلاث في الدولة العراقية-آنذاك- وهي رئاسة الوزراء ووكالة وزارة الداخلية فضلا عن ذلك رئاسة الديوان الملكي، فكان يقضي في كل منصب ساعتين يوميا. وبذلك صار الملك والبلاط مسايرا للوزارة بحكم خضوع الاثنين لرئيس واحد، بينما كان في عهد الملك فيصل ندا لها ينفذ إلى داخلها ويسقطها عند الضرورة. والانكى من ذلك، ولكي يسيطر الأيوبي على أخر مؤسسة يمكن أن تهدد مركزه القوي ممثلة بمجلس النواب. أقنع الملك غازي بحله وأجرى انتخابات كان التزوير فيها كبيرا جدا. وجاء بمجلس ضم جماعته من حزب جديد ألفه أطلق عليه حزب الوحدة الوطنية، ووزع بعض كراسي المجلس على بعض أصحاب الصحف المحلية ليمنع انتقاداتهم لوزارته، فصار هذا المجلس ليس فقط يسير في فلك الوزارة، وإنما أيضا ضم كثير من الشخصيات غير المعروفة والمؤثرة على الصعيد السياسي والاجتماعي. وأبعد عنه بعض كبار الساسة وشيوخ القبائل[٢٠]، وبذلك أنهار مبدأ "التوازن بين الساسة" الذي كان الملك فيصل حريص عليه، وأخذ الصراع بين الساسة على كراسي الحكم يأخذ منحني جديدا.

جاءت المعارضة الأولى والقوية لوزارة الأيوبي من نوري السعيد الذي أدرك ضرورة الحد من تأثير وسيطرة الأيوبي على الملك، وذلك بأبعاده عن رئاسة الديوان الملكي وتعيين صهره جعفر العسكري بدلا عنه إلا أن محاولته فشلت. ثم واجه الأيوبي معارضة أكثر قوة من أعضاء مجلس الأعيان، الذي صار "خلية نحل" تلسع الوزارة بانتقاداته وكثفت الصحف المعارضة حملتها ضد الحكومة، التي لم يسلم الملك منها أيضا فقد حملته جماعة الأهالي القسط الأكبر من مسؤولية سوء الأوضاع، وذلك عن طريق مناشير وزعتها في ١٨أيلول ١٩٣٤، فاضطرت الحكومة إلى ألقاء القبض على بعض المتهمين ومنهم عبد القادر إسماعيل محرر جريدة الأهالي وحكمت عليهم بالسجن لمدة سنة[٢١].

وأخيرا وبعد فشل تلك الوسائل في إسقاط الوزارة اتجه حزب الإخاء إلى قبائل الفرات الأوسط، تلك القبائل التي ارتبط معظم الساسة معها بعلاقات مصلحيه زادت أهميتها بعد وفاة الملك فيصل على اعتبار أنها كانت أحدى مراكز القوى في الدولة العراقية -آنذاك- وهي وحدها القادرة على ملء الفراغ في الحياة السياسية.

فتحركت هذه القبائل ضد الوزارة. بينما حاول الملك امتصاص نقمة المعارضة بإبعاد الأيوبي عن رئاسة البلاط وتعيين رستم حيدر بدله في ٢٦ تشرين الثاني

---

(٢٠) فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٢١) **F.O., 371-17871, 10-10-1934, No. 596. P.R.O.P,238.**

١٩٣٥، غير أن محاولته هذه جاءت بعد فوات الأوان. فقد استمرت القبائل بحركاتها المسلحة حتى استطاعت إسقاط وزارة الأيوبي ومن ثم وزارة المدفعي الثالثة.

وغني عن القول أن سلطة البلاط الملكي استمرت في التدهور حتى في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية، التي أعقبت وزارة المدفعي الثالثة في ١٧ آذار ١٩٣٥. فقد ثبت من تشكيلة هذه الوزارة تدهور سلطة الملك حين فرض الاخائيون عليه قبول الأمر الواقع بإسناد حقيبة وزارة الداخلية إلى رشيد عالي رغم المعارضة لهذا الاختيار.

والأكثر من هذا أتجه ياسين الهاشمي إلى الحكم الدكتاتوري فحل المجلس النيابي وألغى الأحزاب السياسية بهدف دمجها في هيئة واحدة. وصفى الصحف المعارضة ولاحق أنشطة جماعة الأهالي وذوي الاتجاهات اليسارية وفصلهم من دوائر الدولة[٢٢]. وعلى أثر ذلك توجهت المعارضة لبث شكواها إلى البلاط الملكي الذي كان أضعف من أن يعمل لها شيئا رغم عودة رستم حيدر إلى رئاسته. إلا أن عدم انسجامه مع الملك غازي جعلته لا يستطيع أن يضع حدا لضعف هذه المؤسسة وتدهورها رغم خبرته الطويلة فيها. وبهذا الصدد قال عبد الكريم الأزري:

"كان المالك لا يهتم بنصائح رستم، ولا يحفل بها مثلما كان يحفل بالأيوبي فقد استثقل رستم بسبب رزانة طبعه في حين تجاوب مع الأيوبي لأنه كان يشعر بأنه يمتلك سلطة عليه".

وجاء فرار الأميرة "عزة" أخت الملك غازي مع خادم يوناني ليزيد أوضاع هذه المؤسسة سوءا بعد سوء، فأستغل الهاشمي ذلك وأبعد عن البلاط العناصر التي لا يرغب فيها في محاولة لشل حركة الملك. فأصدر قانون الأسرة ألملكيه رقم ٧٥ لسنة ١٩٣٦، الذي حاول فيه مشاركة الملك في بعض الصلاحيات الملكية، ووضع ياسين الهاشمي الملك تحت المراقبة من قبل البلاط، وجرده عن كل صلاحياته بل وفكر بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية[٢٣].

وإزاء كل ذلك لم تجد المعارضة بدا من استخدام نفس السلاح الذي أسقط الوزارات السابقة، وذلك بتحريك القبائل ضد وزارة الهاشمي. إلا أن هذه الوزارة استطاعت سحق هذه الحركات بقوة الجيش العراقي، الذي ظسهر لأول مرة كقوة جديدة وخطيرة في الميدان يحسب لها حسابا فاتجهت المعارضة السياسية إلى هذه القوة التي غاب تأثير البلاط عليها، فأستطاع حكمت سليمان الذي لم يحصل على منصب في وزارة الهاشمي من أقناع رئيس أركان الجيش بكر صدقي للقيام بأول انقلاب عسكري في العراق أطاح بوزارة الهاشمي.

---

[٢٢] د. ك. و، البلاط الملكي، ف/ ١٧، ٣١١-١٥٣٤، المطبوعات وثيقة رقم(٢٢).

[٢٣] لطفي جعفر فرج، الملك غازي، بغداد، ١٩٨٧، ص ص١٠٦-١٢٠.

وكما يبدو من بعض الوثائق، فأن البلاط الملكي لم يكن أحسن حالا في عهد بكر صدقي منه في عهد الهاشمي. فقد قام بكر صدقي بفصل عدد كبير من موظفي البلاط، حتى أضطر رئيسه رستم حيدر إلى الهرب خارج العراق خوفا من الاغتيال، ووضع مكانه جميل الوادي. وأحاط بالملك بشبكة من الجواسيس تمنعه من الاتصال بأحد[٢٤]، وبذلك تلاشى نفوذ البلاط الملكي كقوة فعالة وموجه في السياسة العراقية وانتقل مركز النفوذ إلى رئيس الوزراء ومن ثم إلى رئيس أركان الجيش كما ظهر واضحا في عهد بكر صدقي.

ولم تضع نهاية بكر صدقي حدا لضعف البلاط أمام الوزارة والجيش فقد حذا جميل المدفعي عام ١٩٣٧ حذو زملائه من الساسة في محاولة السيطرة على البلاط. فأجرى تنقلات بين موظفي البلاط وعين رشيد الخوجة رئيسا لهذه المؤسسة رغم معارضة الملك غازي الذي أراد تعيين الدكتور عبد الله الدملوجي بدله. وأصدرت وزارة جميل المدفعي قرار بتأليف مجلس عرش لإبداء المشورة للملك الشاب. إلا أن هذا القرار لم ينفذ لاعتراض وزارة العدل وناجي السويدي عليه، إذ أعتبره منافيا للدستور[٢٥]. اما الجيش فقد أطاح ضباطه القوميين ببكر صدقي دون علم البلاط ورغما عنه، ثم اسقطوا وزارة المدفعي، وجاءوا بنوري السعيد إلى الحكم رغم معارضة الملك غازي أيضا.

عموما يمكن القول أن بداية عهد الملك غازي شهد غياب تأثير البلاط عن كل القوى البارزة في الحياة السياسية كالأحزاب والبرلمان والقبائل والجيش. ولكن الملك غازي شيئا فشيئا بدأ يقيم علاقات قوية مع بعض القوى الوطنية والقومية، كنادي المثنى الذي شجع الملك نشاطه ووضع إذاعة قصر الزهور في بلاطه لخدمة أهداف النادي وإذاعة خطبه.

ووصل تأثير البلاط الملكي إلى ذروته عام ١٩٣٩، عندما أصبح رشيد عالي رئيسا له. فأرجع فعالية هذه المؤسسة، وبدأ الملك عن طريق رئيس بلاطه بإقامة علاقات أكثر قوة مع بعض رؤساء القبائل وقادة الجيش والقوى الوطنية. وشجع الكيلاني الملك على أن يكون العامل المؤثر والمسيطر في سياسة البلاد، كما وحث الملك على المطالبة بالكويت التي كانت خاضعة للحماية البريطانية. خاصة وأن رشيد عالي قد أرتبط بعلاقات قوية مع بعض رجالات الكويت ومنهم عبد الله الحاج صقر. وفتح أبواب البلاط أيضا للكثير من رجالات سوريا وفلسطين وشجعهم على تحرير بلادهم

---

(٢٤) العراق في الوثائق البريطانية، وثيقة رقم (١٠٨)، ص ٤٢٤.

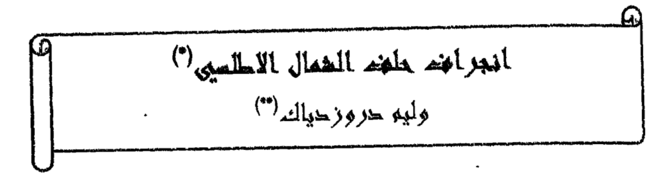
(٢٥) د. ك. و، البلاط الملكي، ط/١/٥/٦-٣١١، وثيقة رقم(٦) والملفة ٦-٣١١، الوثائق رقم ١٢٩، ١٣٣.

من الاحتلال الاجنبي[٢٦]، ومن الطبيعي أن هذه الروح الجديدة للملك غازي في توجهه القومي ومطالبته بالكويت، وفي تحول البلاط الملكي عبر إذاعة قصر الزهور إلى واجهة إعلامية كبيرة تهاجم بريطانيا وسياستها في المنطقة، فضلا عن تحدي الملك لكبار الساسة، الذين أرتبطت مصالحهم مع بريطانيا من أمثال نوري السعيد، الذي فرضت وزارته عليه فرضا عام ١٩٣٩. كل ذلك زاد من نقمة البريطانيين عليه. الذين لم يقتصر رد فعلهم على الاحتجاجات التي قدموها، بل وأصبحوا أكثر قناعة من السابق على ضرورة التخلص من الملك غازي[٢٧]. الذي سرعان ما لقي مصرعه وبصورة غامضة في نيسان ١٩٣٩.

---

[٢٦] **H. Batatu, Old Social classes and the revolutionary Movements of Iraq, 1978, p.208.**

[٢٧] **F.O., 371-23700-E939, No. 35-34-9-39, January 25, 1939. M. Peterson, North sides of the Curtain, London, 1950, p.151.**



انجراف حلف الشمال الاطلسي(*)

وليم دروزدياك(**)

ترجمة

مصطفى نعمان احمد

تحوّل المد

تعد اعادة بناء الشراكة عبر الاطلسي واحدة من اهم التحديات الاستراتيجية التي تواجه الرئيس جورج بوش في ولايته الرئاسية الثانية. فبعد ان بددت التعاطف العالمي الذي تبلور اثر هجمات الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١، ومدت القوات المسلحة الامريكية الى ابعد مما هو متوقع في افغانستان والعراق، واحدثت عجزاً في الميزانية جد هائل بحيث لن يكون بالامكان تفادي تدني في قيمة الدولار الا بضخ دفعات كبيرة من رأس المال الاجنبي، فان واشنطن تتعلم الان درساً قاسياً مفاده ان حتى القوة العظمى الوحيدة في الكون بحاجة الى حلفاء. فكونها تفتقر الى قوات كبيرة واموال هائلة تتمكن بوساطتهما من صياغة العالم كما تريد، فان الولايات المتحدة ستكون بحاجة الى اقناع اخلاقي بدلاً من القوة الوحشية اذا ما ارادت الاستحواذ على القلوب والعقول في الخارج والابقاء على قوتها التي لا نظير لها طوال القرن الواحد والعشرين.

والمكان الذي ينبغي البدء منه هو في الديمقراطية الاربعين المنتشرة على امتداد اوروبا. فخلال السنوات الاربع المنصرمة، عانى حلف الاطلسي من ضرر جسيم. فقد تآكلت الثقة، بين كلا الجانبين، بسبب الخلاف حول حرب العراق والميل الامريكي المتزايد للقيام بعمل احادي، لاسيما مبدأ بوش المتمثل بالحرب الوقائية. وفي الوقت نفسه، فان توسع الناتو والاتحاد الاوروبي انهى صدع الحرب الباردة واوجد

(*) مقال منشور في مجلة "شؤون خارجية" الامريكية ٢٠٠٥.

William Drazadiak The North Atlantic Drift Foreign Affaricrs, January-February 2005, pp.89-98.

(**) وليم دروزدياك الرئيس للمجلس الامريكي الخاص بالمانيا في مدينة نيويورك. وسبق ان شغل منصب المدير التنفيذي للمركز عبر الاطلسي التابع لصندوق مارشال الخاص بالمانيا الذي يتخذ من بروكسل مقراً له.

فرصاً لواشنطن لاعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي-انجع تحالف في التاريخ على الارجح.

ومع شروع الرئيس بوش بولايته الرئاسية الثانية، فسيكون بحاجة الى ان يبرهن لمنتقديه ان بامكانه اعادة اكتشاف قيم الدوليين الجمهوريين. وسيتوجب عليه اعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي وذلك بتحويل الصراع الموحد للحرب الباردة الى تصميم جديد مشترك لمحاربة الارهاب وانتشار اسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن الترحيب بالمبادرات الطرية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وازالة فتيل ازمة محتملة في الطاقة العالمية. فالتوترات بين الولايات المتحدة والدول الاوروبية لن تعمل الا على تفاقم عدم الاستقرار العالمي. ولكن هذه الامم تشكل، معاً، الاساس الوطيد لتحالف فعّال للديمقراطيات التي بامكانها قيادة دعم عالمي النطاق لجملة من المسائل المهمة. ولتحقيق هذا الفهم الاستراتيجي الجديد، يتعين على الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي دعم الجوانب الحاسمة الثلاثة لتحالفهما المتمثلة في شراكتهما الاقتصادية، واستراتيجيتهما الامنية، وسياستها الخارجية.

زواج مصلحة:

ان أي اعادة تقييم للتحالف عبر الاطلسي ينبغي ان يبدأ بمقدمة مهمة بيد انها غالباً ما تكون مهملة: ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي ما انفكا المحركين التوأمين للاقتصاد العالمي ومعاً، ينهضان باعباء اكثر من نصف التجارة والتدفقات الاستثمارية في العالم. فتجارتهما مع بعضهما تتجاوز (٢,٥) تريليون دولار امريكي سنوياً وتوفر وظائف لزهاء (١٢) مليون عامل.

وخلال السنوات الثمان المنصرمة، استثمر الامريكان ما مقداره ضعفين في هولندا والمكسيك وعشرة اضعاف في الصين. وخلال هذه المدة، استثمر الاوروبيون في تكساس اكثر مما استثمر الامريكان في اليابان. واليوم، تستثمر التجارة الامريكية اكثر بمقدار (٦٠%) في اوروبا الشرقية مما تستثمره في الصين: (١٦,٦) بليون دولار مقابل (١٠,٣) بليون دولار، طبقاً لاحدث بيانات صادرة عن وزارة التجارة الامريكية. وعلى العكس، توفر اوروبا (٧٥%) من مجمل خارجي للوظائف في امريكا: فشركة سيمنس الصناعية الالمانية العملاقة توظف لوحدها زهاء (٧٠) الف امريكي.

لقد اثبتت هذه الاستثمارات عبر الاطلسي انها جد مربحة. ففي عام ٢٠٠٣، وبينما اوردت وسائل الاعلام ان الامريكان كانوا يسكبون نبيذ بوردو في البالوعات احتجاجاً على موقف فرنسا من الحرب في العراق، فان شركة امريكا المتحدة وجدت ان الارباح والتدفقات الاستثمارية من فرنسا تصاعدت الى اعلى مستوى لها خلال ما

يقارب عقد: (٢,٤) بليون دولار و(١,٧) بليون دولار على التوالي. فالارباح التي حققتها المؤسسات الامريكية في اوروبا ارتفعت الى (٧٧) بليون دولار، والاستثمارات الامريكية في اوروبا قفزت بنسبة (٣٠%) الى (٧٨) بليون دولار. وشركات التكنولوجيا الامريكية الكبرى، كمايكروسوفت وانتيل، تنبأت ان ضعف عوائدها العالمية ستأتي من اوروبا في ٢٠٠٥.

ولذا يقول قادة القطاع التجاري الامريكي ان مستهلكي الاتحاد الاوروبي الاثرياء مازالوا يشكلون المجموعة الاكبر للقوة الشرائية في العالم. ويقولون ايضاً ان المصلحة الشخصية الاقتصادية ينبغي ان تكون كافية بحد ذاتها لاقناع الديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة اذا ما اراد حماية الشراكة الاطلسية-ذلك ان القوة الاقتصادية المشتركة للولايات المتحدة واوروبا ستمنحها طاقة هائلة للتعامل مع التحديات العالمية الرئيسة.

ورغم بلايين الدولارات المستثمرة فعلياً في كلا الجانبيين، فان الامكانية الكاملة للعلاقة الاقتصادية الامريكية-الاوروبية لم تتحقق بعد. فما زالت ثمة اربعة تحديات كبيرة. يتمثل التحدي الاول في ادارة العالم الغربي لازمة الوظائف المتفاقمة (التي تتسبب بعض الشيء جراء وجود اماكن للاجر الرخيص كالصين والهند) دون اللجوء الى اجراءات حمائية شديدة القسوة كتلك التي احدثت الكساد الكبير. والتحدي الثاني يكمن في ان الولايات المتحدة واوروبا، بوصفهما المستهلكين الرئيسيين للنفط، والفحم، والغاز في العالم، بحاجة ماسة الى دراسة الطاقة المشتركة والاستراتيجيات البيئية لتقليل اعتمادهما على الوقود الاحفوري وتقليل انبعاث الغازات من البيوت الزجاجية. ويتمثل التحدي الثالث في وجوب قيامهما بعقد دورة الدوحة لمفاوضات التجارة العالمية وذلك باتفاقهما على تخفيض المزيد من الـ(٣٠٠) بليون دولار الخاصة باعانات التصدير الحقلي، التي تضر بالمنتجين في الدول النامية وتعمق الانقسام بين الدول الغنية والفقيرة. واخيراً، يتعين عليهما دراسة الاصلاحات المالية العالمية لتجنب ازمة في قيمة الدولار والاخذ بالحسبان الاهمية المتزايدة لليورو.

وبدون شك، فان اوروبا والولايات المتحدة سيختلفان احياناً حول قضايا تجارية، فالتوترات قد تتفاقم جراء الرغبة المتزايدة للاتحاد الاوروبي المتوسع بمواجهة الولايات المتحدة حول الاعانات المالية للطائرات، والانظمة المضادة للتروستات او التجميع لضخم للرساميل، والاغذية المهندسة احيائياً، والاستنساخ. غير ان التجارة جد تعمل على نشر الشراكة عبر المحيط الاطلسي بحيث ان المصالح الفعالة في اوربا والولايات المتحدة ستدفع باتجاه اتخاذ قرار سلمي فيما يخص هذه الامور.

اوجدت حقيقة ان كلتا الشركتين توظفان آلاف العمال في كلا جانبي الاطلسي جماعة ضغط هائلة تبحث عن تسوية للحفاظ على الوظائف والمنافسة السليمة. ولهذا،

ورغم بعض الاختلافات التي لا يمكن تجنبها، فأن قوى العولمة والاسواق التنافسية تقربان الولايات المتحدة واوربا من بعضهما، ولا تجعلهما بعيداً عن الآخر.

الاهداف المتحركة

ستتمثل المهمة الاصعب في تقريب الشقة فيما يخص السياسة الامنية والخارجية التي اتسعت بشكل جد مفاجئ جراء الاختلافات حول الحرب في العراق. وحتى افضل نوايا الطرفين قد لا تكون كافية لتهدئة الخلافات الحالية. وفي الواقع، فأن الاختلافات الجوهرية حول الاحادية ومنع استخدام القوة طرحت سؤالاً مزعجاً: هل بإمكان اوربا والولايات المتحدة تطوير جدول اعمال استراتيجي مشترك للتعامل مع تهديدات القرن الواحد والعشرين، ام هل سيتجاهلان فكرة الدفاع الجماعي مع انتهاء الحرب الباردة ويسيران بطرق منفصلة؟

ان التوترات في هذه المنطقة ليست بالشيء الجديد. فمنذ انشاء الناتو لمواجهة السياسة التوسعية السوفيتية قبل اكثر من نصف قرن، يحاول الامريكان والاوربيون تجنب الازمات التي تتحدى ديمومة الحلف. فهزيمة السويس، وضغينة حرب فيتنام، وطرد شارل ديغول للناتو والجنود الامريكان من فرنسا، والاحتجاجات الجماهيرية في الثمانينيات على نشر معدات نووية وصواريخ كروز في اوربا كلها دعمت التخمين ان الحلفاء الغربيين كانوا على شفا الاطلاق. ومع ذلك فأن النفور الحالي يبدو اشد خطورة. فانهيار الاتحاد السوفيتي وهجمات الحادي عشر من ايلول غيرتا تغييراً جوهريا الاعتقاد بأن لاوربا والولايات المتحدة مصالح امنية خاصة.

وخلال الحرب البادرة، تملك الاوربيون الخوف من ان بلدانهم قد تتحول الى ساحة حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. بيد ان هذا الكابوس بدأ بالتلاشي مع انهيار جدار برلين في التاسع من تشرين الثاني ١٩٨٩ (التاسع من تشرين الثاني هو التاريخ الذي تردد صداه عند الاوربيين بذات القوة التي تردد فيها صدى التاسع من ايلول عند الامريكان تقريباً). والان، وللمرة الاولى منذ اجيال عدة، فأن الاعمال العدائية بين فرنسا والمانيا باتت امراً لا يمكن التفكير فيه. وفي الواقع، فأن الحربين العالميتين الضروستين جعلتا العديد من الاوربيين حذرين من استخدام القوة العسكرية لاي سبب كان. فانهيار الاتحاد السوفيتي، وتفاؤل الصراع الداخلي في البلقان، والتوسع الناجح للناتو والاتحاد الاوربي ليشمل اوربا الوسطى والشرقية ازالت كل التهديدات المنظورة للنظام السلمي للقارة.

منذ الحادي عشر من ايلول والامريكان يشعرون بعدم الارتياح. ونتيجة لذلك، تبلورت لديهم دوافع مادية قوية، مع القليل من الكوابح حسوا استخدام نفوذ بلدهم العسكري المرعب، لاسيما في الحرب على الارهاب. والاوروبيون لا يفهمون الجرح

الامريكي فهماً كاملاً، بعض الشيء لانهم، على الجانب الآخر من الاطلسي، يتمتعون بدرجة لا سابق لها من استتباب الهدوء. ولخشيتهم من تعكير صفو هذا الاستقرار يبدو العديد من الاوربيين الان معارضين للتدخل في صراعات بعيدة وغير شرعية في العراق او ايران ايفاءً لالتزاماتهم العسكرية مع الولايات المتحدة. فالى جانب الازدراء بقيادة بوش، فان الخشية حفزت اوربا على دراسة الحكمة من حشد القوات العسكرية والموارد لصالح اجندة امنية تقودها واشنطن. فما من رئيس امريكي، مهما كان موقفه ودياً تجاه حلفائه الاوربيين، يأمل الامن باستعادة الولاء الاوربي للقيادة الامريكية الذي ساد طوال النصف قرن الذي تلا الحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك، فان الصدع في العلاقات عبر الاطلسي ليس عصياً على الاصلاح. ففي استطلاع حديث للرأي اجراه صندوق مارشال الالماني في الولايات المتحدة في حزيران ٢٠٠٤ وجد، للمرة الاولى منذ ان بدأت استطلاعات كهذه في ٢٠٠١، ان (٥٨%) من مجموع عشرة آلاف اوربي تقريباً استطلعت آراؤهم في تسعة بلدان اعتقدوا انه من غير المرغوب فيه وجود قيادة امريكية قوية في العالم. وفي الوقت نفسه، وجد استطلاع اجرته مؤسسة ترانس اتلانتك تريندس (Transatlantic Trends) ان (٧٩%) من مجموع اربعة آلاف امريكي ارادوا ان يخضع الاتحاد الاوربي لقيادة عالمية. وهذه النتائج عكست زيادة في الغضب الاوربي على ادارة واشنطن للشؤون العالمية وفي الدعم الشعبي الامريكي للمزيد من تأكيد الشراكة مع الاتحاد الاوربي. واعتقدوا ان للادارة الامريكية الجديدة فرصة عظيمة في بناء شراكة اكثر عدلاً تنال رضا كل من المصوتين الامريكان، الذين لم يعودوا راغبين بضبط الامن في العالم لوحدهم، ومن الاوربيين، الذين يرغبون بتقييد القوة الامريكية.

ان التغييرات الدولية الحالية في اوربا قد تعمل على تعقيد مهمة واشنطن. فالمناقشات ضمن الاتحاد الاوربي حول المصادقة على الدستور الاوربي واستمرار التوسع في العضوية قد تؤخر حواراً جديداً حول المسائل العالمية الملحة مع الولايات المتحدة. فالنقاش القديم حول "ماهية اوربا؟"– الذي جعل الفيدراليين يؤيدون نوعاً من الولايات المتحدة لاوربا مقابل القوميين الذين يفضلون اتحاداً طليقاً يعزز السيادة الوطنية– قد جرى تجاوزه جراء الجدل الملتهب حول "اين اوربا؟". فرومانيا وبلغاريا من المزمع ان تنظما الى الاتحاد الاوربي في ٢٠٠٧. ومع تركيا التي تنتظر مفاوضات القبول في عضوية الاتحاد، يشعر الاوربيون بالحاجة الى التأكد فيما لو انهم سيفقدون وسائل الامان التقليدية بانضمام تركيا ذات الـ(٧٥) مليون مسلم وامتداد الاتحاد الاوربي الى حدود الشرق الاوسط.

وزيادة على ذلك، تحركت الناتو ابعد بكثير من مسرح عملياتها الطبيعي، حين اضطلعت بقيادة جهد ضغط السلام الدولي في افغانستان. وكان بامكان تفويضها المتنامي ان يخلق خلافاً، لاسيما بين الناتو والاتحاد الاوربي، رغم ان تسع عشرة دولة اوربية تنتمي الى كلتا المنظمتين. واعضاؤها يناضلون، على سبيل المثال، من اجل ارضاء وجهات النظر الروسية المتعارضة. فجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ودول اوربا الشرقية حذرة من ان تصبح تابعة للمخطط السابق في الكرملين. وفي غضون ذلك، فان حكومتي فرنسا والمانيا تواقتين لكسب ود الرئيس فلاديمير بوتين بغية الوصول الى النفط الروسي وتجهيزات الغاز.

وعلى الرغم من ذلك، قدمت التغييرات الهيكلية لاوربا فرصة نادرة لواشنطن لاعادة صياغة الاجندة الامنية لحلف الاطلسي في هذا القرن. فمعظم فترات نصف القرن المنصرم، انصب التركيز الرئيس للسياسة الامريكية الخارجية على الحيلولة دون غزو الاتحاد السوفيتي وحلفائه لاوربا الغربية وبلورة اوربا معافاة وحرة. وبما ان هذه الاهداف قد تحققت، فأن الولايات المتحدة بحاجة الى اعادة تنظيم مصالحها الامنية الحالية والمستقبلية التي ستكون على افضل حال بجعل اوربا شريك كامل في ادارة الشؤون العالمية.

ورغم الخسارة التي لحقت بصورة واشنطن جراء التمرد في العراق والانتهاكات في ابي غريب وغوانتنامو، اعترف الاوربيون بأنه لا يمكن السماح للولايات المتحدة بالاخفاق في اعادة بناء افغانستان والعراق وفي جلب الديمقراطية الى الشرق الاوسط الكبير. فادارة بوش ما زالت معتمدة على الدعم المهم الذي تتلقاه من المملكة المتحدة، فضلاً عن بولندا، ودول البلقان، والديمقراطيات الجديدة في اوربا الوسطى والشرقية التي ما فتئت ممتنة امتناناً عميقاً ادور امريكا في تحريرها من الديكتاتوريات الشيوعية.

ولكن حتى في هذه الدول، فأن النية بمقدور واشنطن الحفاظ على الدعم الا باعادة سلك الطريق الذي قامت بوساطته بادارة العلاقة عبر الاطلسي، واخذ الحساسيات الجغرافية الاوربية، والاحتياجات الامنية، والمصالح السياسية المتميزة في الحسبان. وفي بعض الحالات، قد تحتاج الولايات المتحدة الى التخلي عن المبادرة فيما يخص بعض الامور الامنية الاقليمية كي تشجع اوربا على انجاز طموحاتها ومسؤولياتها العالمية الابرز.

ويعترف منتقدو الاتحاد الاوربي ان الدول الاوربية قد حققت نجاحاً مذهلاً في اضفاء الاستقرار على قارة عبثت بها الحرب بصورة دائمية- اولاً بالمصالحة الفرنسية الالمانية، وبعدئذ بضم الدول الشيوعية السابقة ضمن سوق موحد والمنطقة الامنية للناتو، ولكن بما ان اوربا بمنائ عن التهديدات التي تستلزم تدخلاً امريكياً

كبيراً، فأن المتشككين الامريكان-لاسيما المحافظين الجدد الذين يعتقدون ان اوربا لـم تعد تشاطر وجهة النظر الامريكية العالمية-يعتقدون ان حلف الاطلسي لا يسـتحق ان يمثل اولوية رئيسة في السياسة الخارجية لواشنطن. ويزعمون ان عدم الاهتمام باوربا له ما يبرره لان اوربا برهنت عل انها معارضة لاظهار قوة سياسية وعسكرية تتناسب ووزنها الاقتصادي لمساعدة الولايات المتحدة في مواجهة التهديد الجديـد للارهـاب الجهادي، وازدراءً باجراءات الاتحاد الاوربي، فان هؤلاء المنتقدين اطلقوا على خافيير سولانا، مفوض الاتحاد الاوربي للسياستين الخارجية والامنية، تسمية "المفوض السامي للمستوى الاقل شيوعاً".

ومع ذلك فان هؤلاء المنتقدين ليسوا محقين تماماً، ولم يعترفوا بأن قلقهم قد اخذ على محمل الجد. فسولانا، الذي بالامكان ان يصبح اول وزير خارجية لاوربا بموجب الدستور، اعترف بأن اوربا بحاجة الى اتخاذ موقف اصلب، واكثر فاعلية ازاء خطـر المتطرفين الاسلاميين، بدلاً من توجيه النقد غير الموجب للسياسة الامريكية. وقال ان الاتحاد الاوربي يكافح من اجل رصف سياسته الخارجية واولوياته الامنية مع مثيلاتها الامريكية. ففي كانون الاول ٢٠٠٣، صادق قادة اوربا على استراتيجية امنية جديـدة تشجع على بسط قوة في الخارج لتعمل كدفاع متقدم ازاء التهديد الذي تشـكله الـدول المخذولة، والارهاب، واسلحة الدمار الشامل. وصادقوا ايضاً على تقاسم المعلومـات الاستخبارية، وتنسيق جهود مناهضة الارهاب، وايجاد امر اعتقال اوربي يسهل تسليم الارهابيين. وكلما حققت اوربا قدرة اكبر على التعامل مع التهديدات العالميـة، فـأن الولايات المتحدة ستجد ان بالامكان استخدام مواردها الخاصة بصورة اكثـر فاعليـة بالترادف مع شريك اوربي اقوى،

شرطي جيد، شرطي رديء

بامكان اوربا والولايات المتحدة الامريكية ان تجدا ايضاً ارضية مشتركة تخص السياسة الخارجية. فرغم الانقسامات العاطفية المترددة ضمن اوربـا حـول التـدخل الامريكي في العراق، فلا يزال ثمة دعم كبير عبر الاتحاد الاوربي لاجـراء تنسـيق اكبر مع واشنطن. فقد واصل سولانا عملية الوثيق مع وزير الخارجية كـولن بـاول للابقاء على جهود حفظ السلام في البلقان والشرق الاوسط. ومع ان وضع كوسوفو لما يزل دون حل و"خارطة الطريق" لاحلال سلام اسرائيلي-فلسطيني وصلت الى طريق مسدود، فأن تقدماً متواضعاً قد تحقق في التعاون عبر الاطلسي فيمـا يتعلـق بكلتـا المسألتين. فخليفة باول، كوندوليزا رايس، بمقدورها بل ويتوجب عليها ان تعتمد على التطورات الجديدة، كاضطلاع اوربا بمهام حفظ السلام في البلقان والقيادة الفلسـطينية الجديدة اثر وفاة ياسر عرفات.

فالموجودات الامريكية والاوربية مكملة لبعضها البعض. والميل الاوربي لتقديم حوافز دبلوماسية ينبغي ان يتوافق مع الميل الامريكي باستخدام تهديد القوة العسكرية. فالدبلوماسية المتناسقة ستساعد على انجاز طموحات اوربا بلعب دور اكثر فاعلية في الشؤون العالمية مما يشجعها على العمل بصورة وثيقة في شراكة مع الولايات المتحدة. وفي الوقت ذاته، فأن اقامة جبهة موحدة سيعيد للاجراء الامريكي الشرعية الدولية التي افتقدتها الاحادية العنيفة لادارة بوش.

وعلى واشنطن السماح لحلفائها في اوربا بتزعم المبادرات السياسية الجديدة في مناطق يتمتعون فيها بنفوذ اكبر او صلات تاريخية. خذ ايران على سبيل المثال. فادارة بوش كانت متشككة حوا اعلان ايران ان انشطتها النووية مكرسة للاغراض السلمية فقط، بيد انها شجعت اوربا على القيام بمحاولة اخيرة لاقناع طهران بايقاف انشطة تخصيب اليورانيوم والتأكيد للعالم انها لا تحاول انتاج اسلحة نووية.

ويقول الدبلوماسيون الاوربيون ان رفض ايران قبول العرض الاوربي، الذي يشمل تعزيز الامكانات التجارية وتأكيد تجهيزات الوقود النووي، سيؤدي قطعاً الى دعم الاتحاد الاوربي لعقوبات الامم المتحدة التي تؤيدها الولايات المتحدة الامريكية. وفي الواقع، فأن توافق الدبلوماسية الاوربية والتهديدات الامريكية بفرض عقوبات اشد قد عززت الآمال من ان ايران ستلتزم في نهاية الامر باتفاقيتها الاخيرة بوقف كل انشطة تخصيب اليورانيوم.

ان دور ناشط لاوربا كان من الممكن ايضاً ان يتمخض عن تأثيرات مفيدة تخص جهود الوساطة بين الاسرائيليين والفلسطينيين. فطالما كان ينظر الى الولايات المتحدة على انها القوة الخارجية الوحيدة القادرة على الحصول على تنازلات من اسرائيل–تشمل تفكيك المستوطنات في غزة والضفة الغربية–بينما انحصر دور اوربا بتقديم المساعدات الانسانية والدعم المالي الى الفلسطينيين. ومع ذلك فأن دوراً ناشطاً للاتحاد الاوربي يتم من خلاله تقديم الحوافز التجارية والمساعدات الى اسرائيل من الممكن ان يساعد في اعادة الطرفين الى طاولة المفاوضات. اذن، ورغم العلاقات الامنية الوثيقة مع الولايات المتحدة الامريكية، فأن اسرائيل ما انفكت تعد الاتحاد الاوربي شريكها الاقتصادي الاهم.

ان دبلوماسية اقتسام الجهد ستخفف من عبء الولايات المتحدة التي تحمل حصة الاسد من مسؤوليات حفظ السلام الاقليمي. ويقول المحللون انها ستساعد على دحض سمعة "التهرب" التي اكتسبها الاوربيون جراء تهربهم احياناً من المهمات العسكرية الصعبة علماً بأن الولايات المتحدة هي التي كانت تعوض هذا التهرب في اداء الواجب. ففي البلقان، حيث سرعان ما سيضطلع الاتحاد الاوربي بالسيطرة على حفظ السلام الدولي، فأن نوعاً كهذا من اعادة التقييم جارياً فعلياً.

وقد يكون ثمة تغيير اكبر في الواجبات. وفي الحقيقة، فأن الحلفاء الاوربيين قد كيفوا قواتهم العسكرية لبيئة ما بعد الحرب الباردة بشكل افضل مما يعتقد المنتقدون في امريكا. فالقوات المسلحة الامريكية تضم حوالي (١,٤) مليون رجل وامرأة، مع حوال (٤٠٠) الف جندي في قوات الانتشار الخارجي. ولدول الاتحاد الاوربي الخمس والعشرين (١,٩) مليون عسكري في قواتهم المسلحة، ومع ان (٥٠) الف منهم فقط بالامكان ارسالهم الى الخارج، فان هذا الرقم من المتوقع ان يصل الى (٢٠٠) الف خلال العقد القادم. والميزانية السنوية لاعضاء الاتحاد الاوربي البالغة (١٧٥) بليون دولار الخاصة بشؤون الدفاع قد تبدو ضئيلة قياساً بميزانية الولايات المتحدة التي تبلغ (٥٠٠) بليون دولار للسنة المالية الجارية، لكنها تتجاوز الميزانيات العسكرية للصين، واليابان، وروسيا مجتمعة.

وعلاوة على ذلك، جرى تنفيذ عدد من المشاريع الرئيسة لاصلاح النواقص العسكرية لاوربا وتجهيزها باسطول نقل جوي طويل المدى، ومنظومة استطلاع مستقلة ذاتياً للاقمار الصناعية، واسلحة جديدة دقيقة التوجيه، ومئات الطائرات السمتية الخفيفة المستعملة في النقل. وهناك الان (١٩) الف جندي من خمس عشرة دولة اوربية من اعضاء الناتو في العراق وسبعة آلاف جندي اوربي في قوات حفظ السلام التابعة للناتو في افغانستان.

وفي البلقان، فان القوات الاوربية البالغ عددها (٣٠) الف جندي والتي تضطلع بقيادة قوات حفظ السلام في كل المواقع الساخنة للمنطقة تقريباً، وتشمل البانيا، البوسنة، وكوسوفو، ومقدونيا، يفوق عددها عدد القوات الامريكية. ولتوقعها ان المهام المستقبلية ستستلزم دوريات شوارع بدلاً من قوة نارية، فقد تم انشاء قوة شرطة جديدة يبلغ تعدادها (٥٠٠) جندي تابعة للاتحاد الاوربي للقيام بواجبات حفظ السلام في الخارج. وثلاث مهام من هذا النوع اجريت تحت علم الاتحاد الاوربي في ٢٠٠٣، في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والبوسنة، ومقدونيا.

نزعة ثانية

"اذا اردت الحصول على وجبة رخيصة من احياء معينة في امريكا، فكل ما يتعين عليك عمله هو ان تعنف الامم المتحدة، او الفرنسيين، او الفكرة القائلة ان الحلفاء مؤهلون لبلورة افكارهم الخاصة" هذا ما قاله جريس باتين، مفوض الاتحاد الاوربي آنذاك امام البرلمان الاوربي في شهر ايلول. ومضى قائلاً ان الاوربيين يعتقدون ان اثارة واشنطن للحروب سيجعلهم في حل من وجوب قيامهم بتحديد سياستهم الخارجية. ومضى محذراً "ان العالم يستحق افضل من التهرب من المسؤولية في جانب والاستكبار في جانب آخر".

ورغم ان الخلافات الحادة في الرأي ستستمر، لاسباب تتعلق بالوضع السياسي، فانها ينبغي ان لا تعوق التزامات الحلفاء بالعمل معاً. فاوربا ستبقى تدين عقوبة الاعدام واقحام القومية الدينية في السياسة الامريكية، والامريكان سينتقدون البرامج السخية للرعاية في اوربا وانظمة السوق الابوية فيها. ولكن بسبب مواردها الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية الهائلة، فأن الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي بحاجة الى انتهاز الازمة الحالية كفرصة لتجديد تحالفهما. فلكي تنال الشراكة الاطلسية فرصة حياة جديدة، يتعين على الحلفاء اعادة اكتشاف الاحترام والتسامح المتبادلين والسعي، وفقاً للتقاليد الديمقراطية، الى تسوية خلافاتهما بدلاً من توجيه النقد لدوافع بعضهما البعض.

تلك الادارات الجديدة تتسلم الان السلطة في واشنطن وبروكسل وبحوزتها جداول اعمال دسمة تمثل فرصة غير متوقعة لاعادة الاهمية للشراكة الامريكية-الاوربية. وحين يقيم اولوياته ويدقق في اختيار فريقه للامن القومي، فان الرئيس بوش يبدأ ولايته الجديدة وصورة امريكا في العالم اكثر قتامه من أي وقت مضى في التاريخ الحديث. ورغم ان معظم الاوربيين يساورهم الشك من التزام بوش بالتحالف، فلما يزل بامكانه الاعتماد على الدعم من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ووجهات النظر الاطلسية لمفوض تنفيذي جديد للاتحاد الاوربي يرأسه رئيس الوزراء البرتغالي السابق، جوس مانويل باروسو. ومعاً، بامكانهم مساعدة القادة الامريكان والاوربيين كي يضعوا نصب اعينهم ان الحلف الاطلسي سيبقى مؤسسة حاسمة للنظام العالمي، والذي بالامكان بل يجب الحفاظ عليه بتوافق القوة العسكرية الامريكية والشرعية الدبلوماسية للديمقراطيات الاوربية المتعددة. وقد زعم احد هذه الشعارات التي رفعها بوش في ادارته الاولى إن المهمة تحدد الائتلاف. وبما انه يبحث عن مكان له في التاريخ-وليس مجرد الرئاسة-فأن بوش سيفعل ما بوسعه لتعديل هذا الشعار. وولايته الرئاسية الثانية ستكون اكثر نجاحاً بكثير اذا ما تمكن من الاعتراف باهمية ضمان الدعم بين حلفاء الولايات المتحدة الامريكية التقليديين قبل الشروع بمهام في الخارج.

قصف العقول

الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي

تأليف: فيليب تايلور

ترجمة سامي خشبة

عرض: أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور

السلطة السياسية والاعلام قوتان لكل منهما
كيان معنوي وشخصية اعتبارية ودور اساسي

لم يكن الاعلام بكل مفاهيمه والنظريات التي عالجته، غير تلك الاداة التي يتم من خلالها الاتصال ما بين السلطة والشعب. الا ان الشيء اللافت للانتباه، هو ان هناك دائماً تفاعلاً بين السلطة السياسية والاعلام كقوتين لكل منهما كيان معنوي وشخصية اعتبارية ودور اساسي، مما يجعلها يتناقضان بحكم طبيعة تكوينهما واهدافهما، حسب النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة. وهذا التناقض القائم، هو ان السلطة السياسية احياناً تطوع الاعلام كاداة اتصال و"تثوير" لصالح أهدافها السياسية، من خلال ترسيخ وعي سياسي يتناسب، ليس فقط مع مصادر سلطاتها، وانما بالشكل الذي تستطيع ان تكون ممارستها للسلطة وآلية صنع قراراتها السياسية تحظى بالاقناع والقبول الشعبي، وخاصة تكريس نزعاتها الحربية والقرارات التي تتخذ بهذا الصدد. اذ ان الدعاية للحرب تشكل في تلك اللحظة من أهم اولويات القرارات السياسية والعسكرية التي تتخذها السلطة مستندة الى الاجماع الوطني-القومي الذي لا يمكن الحصول عليه بدون إعلام مدروس ودعاية منسقة آخذة بنظر اعتبارها كل الجوانب السياسية، الإيديولوجية النفسية، وفي إطار ظروف تاريخية، اجتماعية وسياسية وثقافية محددة.

وهذه الحالة لم تتغير منذ برز الى الوجود اول تكوين جنيني للسلطة السياسية، وحتى الوقت الحاضر حيث التقدم التكنولوجي اعطى لسلطة وسائل ذات قوة رهيبة وجبارة لكي تمارس عملية غسل الدماغ او ترويج افكار واراء معينة، او عقائد، او

تسويغ مبررات قد توصف من قبل الآخرين بأنها غير عملية، او غير موضوعية، او لا متوازنة، الا انها تصب في الهدف النهائي الذي تنتظره السلطة وخصوصاً في دعايتها الاعلامية للحرب التي لم تكن حسب تعبير كلاوفيتز غير "امتداداً للسياسة بوسائل مختلفة".

والكتاب الذي نعرضه للقارئ العزيز يقدم لنا صورة بانورامية مترامية الابعاد عن كيفية صياغة الدعاية عن الحرب في اطارها السياسي، الثقافي والاجتماعي والتكنولوجي، وعلى مر العصور الانسانية، حتى ان هناك من امن ما للدعاية من قوة بحيث يجعلها قادرة على تغيير مسار التاريخ، وهناك من يعتقد بالمقابل بأنها عامل مساعد للعوامل الاهلية المكونة للحركة الفعلية للتاريخ.

تهاجم الحرب الجسد وتنقض الدعاية على العقل

ويؤكد الاستاذ سامي خشبة في مقدمة ترجمته للكتاب، بأنه على الرغم من الموضوع الذي يحدده العنوان للكتاب وتخصص مؤلفه يضعان الكتاب في دائرة العلوم السياسية، فأن موضوع الدعاية ذاته يضع الكتاب بقوة في "خانة" العلوم الاعلامية الحديثة، ولكنه يضع داخل هذه "الخانة" في مكان لابد ان يكون من-ناحية-قريب اشد القرب من دائرة العلوم النفسية، وعلم النفس الاجتماعي وعلم نفس الحشود او الجماهير بشكل خاص، وقريباً من دائرة العلوم العسكرية: علوم التعبئة الاجتماعية/النفسية للحرب، وعلوم او فنون القيادة، اضافة على علم تاريخ الجيوش شديد الارتباط بالتاريخ السياسي الاجتماعي وتاريخ كل من الاسلحة والجندية، وشديد الارتباط بتاريخ التطور التكنولوجي والتعليم، وانه كتاب في علم تاريخ وسائل الاتصال ووسائل توظيفها لخدمة الهدف الذي تحدده السلطة.

وعلى ضوء ذلك، فان كتاب الاستاذ تايلور، "قصف العقول، الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصور النووي"، ضم خمسة اقسام عالجت اربعة وعشرين موضوعاً اضافة الى التمهيد والمقدمة التي تناولت الحرب والدعاية والعمليات النفسية، حيث وصفت الحرب بأنها لم تكن في جوهرها غير تبادل منظم للعنف. والدعاية في جوهرها عملية اقناع منظمة. وبينما تهاجم الاولى الجسد، فان الثانية تنقض على العقل. (ص٢٣)، ويؤكد مؤلف الكتاب بأنه على الرغم من ان الدعاية للحرب قد ازدادت-تعقيداً واتساعاً-زيادة مثيرة في القرن الحالي، فأنها نشاط يرجع الزمن الذي التقط فيه انسان ما، للمرة الاولى، عصا غليظة في سورة الغضب. والكتاب كرس

لتحدي الفرضية القائلة بان الدعاية شيء مختلف تماماً بوصفها عملية مرفوضة رفضاً كلياً، لأنها الوضع لكي تنسف ارادة الاشتراك في فن الحرب المقبول، كونها نشاطاً انسانياً وطبيعياً ومجيداً. اذ يقول بأن الدعاية ذاتها ليست عملاً خبيثاً ولا شريراً. انها في الحقيقة ليست اكثر من تنظيم الوسائل التي تصمم لاقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بطريقة معينة. وان هدفه في ذلك ابعاد أي نقد اخلاقي عن الدعاية ذاتها ص٢٤.

وبعد ان يعطي تعريفاً للدعاية وعلاقاتها بنجاح الحرب وفشلها، وبالتاريخ الانساني، يؤكد على ان الدعاية-اذن-في زمن الحرب هي عملية ترسم خططها لاقناع الناس بأن يخوضوا القتال.. والحرب النفسية-من الجانب الاخر-هي الدعاية المخططة لاقناع الطرف المقابل الا يخوض القتال (ص٢٦).

امدتنا الامبراطورية الآشورية بمصدر اكثر ثراء للدعاية للحرب من الامبراطورية البابلية

فقد كرس القسم الاول لتسليط الضوء على الدعاية للحرب في العالم القديم، حيث البداية التي عاشها الانسان في العصر الحجري القديم كانت بداية عنيفة، وان البيئة كانت اكبر اعدائه الامر الذي اختلف فيه العلماء الانثروبولوجيون حول "عدائية" او "سلمية" الانسان القديم، وما هي الاسباب التي دفعته الى ان ينظم نفسه لخوض الحرب من خلال ابتكار اقنعة وصيحات الحرب واشارات التهديد، سواء كان لكي يخيف اعداءه، او لكي يؤثر في اصدقائه (ص٣٣). ويشير الاستاذ تايلور بأنه مع وصول "الحضارة" قد ادى الى تطوير منظمات اجتماعية منظمة ومؤسساته وبنى طبقية وهندسية معمارية وتجارة ودين، وان ذلك اول ما حصل في دلتا الفرات حوالي ٥ الآف ق.م، حيث اشرق ظهور اسلحة ثورية كالمقلاع والقوس والسهم والخنجر، اضافة الى ما كانت تطوق به المدن المنشأة نفسها بأبراج عالية وحصينة دفعاً للاخطار. وقد وصل طول الجدار حول مدينة اوروك الى ما يقرب من ستة اميال مع اكثر من ٩٠٠ برج، وهذا يدفع الى الاستنتاج بان وجود مثل هذه الجدران يوحي بأن العمليات الحربية المنتظمة كانت قد تطورت الى درجة لا بأس بها مع بداية العصر الحجري الحديث، ولا نستطيع ان نبدأ الحديث الصائب عن العمليات الحربية وعن الدعاية للحرب الا مع تنظيم العنف (ص٣٥).

ومن خلال استعراض المؤلف للامبراطوريات التي برزت في حضارة وادي الرافدين، يؤكد بان الامبراطورية الآشورية امدتنا بمصدر اكثر ثراء بكثير-للدعاية للحرب-مما امدتنا به الامبراطورية البابلية، حيث ان هناك دوراً كبيراً للكهنة في تأليف وحبك الدعاية الحربية، وكانت النذور والتنبوءات والكهانات اشكالاً من الاقناع

الاجتماعي، وكان الدين-مبدئياً-هو المصدر الذي استمدت منه الدعاية المتعلقة بالنتائج المتوقعة للحروب الوشيكة. وكان استحضار الآلهة وسيلة مثلى للمحافظة على سلطة ومكانة الكهان في مجتمع تحكمه الخرافات، ولكنه ايضاً وسيلة مناسبة لرفع المعنويات قبل القتال اذا ما كان الكهنة على رأي واحد.(ص٣٦).

ويؤكد تايلور بأن التحول التدريجي من الحرب التي شنها اصحابها بأسم الاله الى الحرب التي تشن باسم الملك، يرجع جزئياً الى تأثير الملوك المصريين الذين طوروا اشكال الدعاية الخاصة بهم، وخاصة الابنية والنصب العامة مثل الاهرام وابي الهول. (ص٤٠).

حصان طروادة: اقدم امثلة الخداع في الحرب

اما في اليونان القديمة فقد اعتبر جميع غير اليونانيين "برابرة"، أي الناس الذين لا يتكلمون اليونانية. ومن بين اشهر الحروب التي قدمت واحداً من اقدم امثلة الخداع في الحرب، هي حصان طروادة، بين الروايات المحلية مثل الالياذة وغيرها قدمت الكثير من الادلة على توضيح النظرات المتعمقة على مفاهيم الاغريق عن اساليب الدعاية للحرب. اذ يشير تايلور الى ان اليونانيين خاضوا حروبهم كما لو كانت مبارزات جماعية، حيث الحملات كانت قصيرة المدى، وعادة ما كانت المعارك حاسمة، وكان مدى تكتيكاتهم محدوداً نسبياً، وتعكس تطور نظام المدينة-الدولة، وهم يتصدرون لخصومهم مواجهة كتلة واحدة، الا انها تحتاج الى الكثير من جهود رفع المعنويات كان القتال واجباً ينبغي اداؤه للدولة، ولكنه كان ايضاً عملاً مرعباً. ودائماً ما خطب القادة اليونانيون في قواتهم قبل المعارك في محاولة لرفع الروح المعنوية. (ص٤٦).

وقد كان للدين في الحروب اليونانية اهمية نفسية، فالبشائر والنذور والخوارق كانت تستخدم في الاستعدادات النفسية للمعارك بوصفها علامات من الارباب.

وقد ارسل اليونانيون طبقاً لما يقوله هيرودوتس سفينة لتعود بآله الحرب عندهم قبل معركة سالاميس. وتشير الحكايات المعاصرة للمعركة نفسها الى ظهور بعض الارباب ظهوراً فعلياً وسط القتال، الامر الذي ادى الى ان يعتقد المحاربون انهم يقاتلون جنباً الى جنب ابطالهم وارباب‌هم، بل ان الاسكندر الاكبر قد استغل مدرباً مزوداً برأس انساني مصنوع من القماش لكي يثبت لجنوده ان الاله اسكلبيوس الذي كان يرسم عادة على شكل افعى يقف الى جانبهم. فلقد كان الخداع وتشويه المعلومات او

نقصها ملامح رئيسية عضوية في اعمال الحرب اليونانية التي حظيت بدراسات وافية من قبل الفيلسوف شيشرون، وآخرون. واذا كان افلاطون في كتابه "الجمهورية" قد نصح بالزام الصدق على الاقل وتحريم الاوصاف الكئيبة التي تثبط العزائم، فان ارسطو فقد وضع في كتابه "الخطابة" اسس ارشادات الخطباء الذين يجب ان يقيموا حججهم على الحقيقة: "الحقيقة تهزم الزيف" حيث ارسى بذلك احدى الدعائم الاساسية للدعاية الناجحة بالشكل الذي استخدمتها به النظم الديمقراطية الحديثة. غير ان اكسينوفون تلميذ سقراط هو من يستطيع ان يدعي لنفسه وضع اول دراسة تفصيلية لدور المعنويات في الحرب، حيث كتب يقوله في كتابه "الزحف"، انني لعلي ثقة من انه لا كثرة العدد ولا القوة هي ما يجلب النصر في الحرب، وانما الجيش الذي يزحف الى المعركة امضى-عزماً واقوى روحاً فأن اعداءه-عموماً-لا يستطيعون الصمود امامه" (ص٥٠). ومن هنا، فأنه وعلى يد الاغريق بلغت الدعاية للحرب سن الرشد، وبدأت توجه منذ ذلك الحين بقدر متزايد من الاتقان والتدبير. وحسب الاغريق انفسهم فأن الدعاية عنصر اساسي من عناصر قيام وبقاء مجتمع منظم وفعال.

الحرب هي دماء الحياة القادرة على توفير الوجاهة السياسية والعسكرية لاي ارستقراطي روماني

اما الموضوع الثالث من القسم الاول الذي وضع تحت عنوان: ما كان لروما من المجد (ص٥٥)، فقد انصب على توضيح الحالة التي كانت تعيشها روما التي كانت تفتقر الى المصادر الاسطورية مما دفعها الى اختلاق الاساطير، حتى انهم اضحوا مبدعين لا نظير لهم للدعاية الاسطورية. غير ان قصة صعودهم كانت قصة عنيفة، فلقد شيد "ما كان لروما من المجد" وبقي بواسطة العنف. حيث كانت الحرب جزءاً اصيلاً من الحياة الرومانية الباكرة وكانت هي مفتاح التوسع الروماني الذي امتد الى كل الاصقاع ومن بينها الخليج العربي، وبحر قزوين في الشرق. وكان اداء الخدمة العسكرية من المؤهلات الاساسية للحصول على منصب سياسي على مدى تاريخ الجمهورية الرومانية، أي ان الحرب هي دماء الحياة القادرة على توفير الوجاهة السياسية العسكرية لاي ارستقراطي روماني. فقد كان الشعب مشبعاً بالعقلية الحربية ذاتها بحيث ان مجلس الشيوخ لم يواجه أي معارضة في قرارات الحرب الت اتخذها، حيث ان الرومان وعلى حد ما قاله الكاتب الاغريقي بوليبيوس، كانوا من الحكمة بحيث "اتخذوا سبيل اثارة الشعور الديني لمصلحة اعوام الناس" ص٥٥. اذ قال شيشرون بأنه "يجب ان نقنع مواطنينا بأن الالهة هم سادة وحكام كل شيء.. لانه من

المؤكد ان العقول المشبعة بمثل تلك الافكار لن تعجز عن ان تشكل اراء صائقة ونافعة".

وقد كانت روما تعلن دائماً في حروبها على الاهداف المهمة للدعاية في القول بأن الحق كان دائماً الى جانب روما وذلك من خلال انتصاراتها التي تعبر عن الشعور بالكبرياء القومية والانجاز التاريخي. (ص٥٧).

ان مفتاح النجاح الحربي الروماني يكمن في تدريب الجيوش وتنظيمها

وتوضح المصادر الرومانية الاكثر (حصافة)، كما يشير المؤلف، ان مفتاح النجاح الحربي الروماني يكمن في تدريب الجيوش وتنظيمها. وكثيراً ما منحت هذه الحقيقة للجيوش الرومانية ميزة نفسية على خصومها. فقد كان الانضباط والمعنويات العالية عنصرين اساسيين فيما يتعلق باسلوب شن الرومان للحرب. اذ قاتل الرومان بالعكس من الكتيبة الاغريقية، في خطوط اقل كثافة، او في موجات، مما جعل جميع الجنود يشتبكون في القتال. وكانت تلك وسيلة اكثر فاعلية لنشر اكبر عدد من الجنود في الخط الامامي، ولكنها تطلب ايضاً اهتماماً اكبر بتفاصيل كيفية قتال الرجال ولماذا يقاتلون (٦١). وكان الذعر اذا ثار لدى الاغريقي يثور في مؤخرة الكتيبة الاغريقية، ولكن لم يكن ثمة مكان لذوي القلوب الواهنة في الفيلق الروماني. وكانت المعارك الرومانية تتطلب عملية تعبئة (استراتيجية) اكثر تفصيلاً واطول امداً، الامر الذي يجعل من الضروري تنظيم حملة دعائية اكثر كثافة واطول زمناً توجه الى "روح الجنود" في القوات الرومانية.

ولقد كان يوليوس قيصر واحداً من اعظم القادة العسكريين في التاريخ، وكان، مثل القادة العظام، مدركاً تماماً الدور الذي تستطيع المعنويات ان تلعبه قبل المعركة وفي اثنائها وبعدها. وكذلك الامر بالنسبة الى الامبراطور اوكتافيان ابن اخت قيصر فقد كان رجل الدعاية اكثر نجاحاً من حيث تمكنه من البقاء الى ان مات ميتة طبيعية (ص٦٤).

وقد ارسى اوكتافيان الذي اصبح الامبراطور اغسطس تقليداً امبراطوريا قدر له ان يبقى قروناً عدة. وكان نجاح القوة الرومانية العسكرية في حد ذاته دعاية ممتازة، استخدمت لاخافة الخصوم المحتملين. كما جرى تثبيت ذلك النجاح العسكري وتخليده بغرس الاعتقاد في القوة التي لا تقهر بالشكل الذي نراه في الاعمال الفنية والاحتفالات ومباريات الالعاب والعملات المعدنية. وكانت ذروة اية حملة من حملات الدعاية الحربية الرومانية تأتي مع موكب النصر الذي يشل روما عقب كل نصر عسكري

لهم. وعلى الرغم من ان اقامة مثل هذه المواكب لم يكن كثير التكرار، فان شعبيتها وسط الجماهير كانت هائلة، وخاصة في عصر الجمهورية، حيث وظيفتها السياسية من حيث اثباتها اهلية الامبراطور للحكم، وبهدف شحن الجماهير الفقيرة بمعان محددة. (ص٦٨).

وفي القسم الثاني من الكتاب الذي كرس لتناول الدعاية للحرب في العصور الوسطى، فقد انبرى في كشف هذه الدعاية خلال العصور المظلمة، والفن الفورماندي، وفي قانون الفروسية، والحروب الصليبية ثم لينتهي الى حرب المائة عام. ويشير الاستاذ تايلور بان الانهيار البطيء الشاق للامبراطورية الرومانية في الغرب على ايدي الغزاة الجرمان شهد اختفاء الفيلق الروماني بوصفه الاداة الرئيسية للعمليات الحربية، واختفى معه ذلك النوع من التنظيم والانضباط الذي كان، باشكال مختلفة بديلاً لعملية رفع العضويات، وامتد الاسلام نحو الغرب من الجزيرة العربية حتى اسبانيا (ص٧٥). ويؤكد الاستاذ تايلور بأنه في العصور المظلمة سوف يكون خطأ بالقدر نفسه ان نزعم ان الدعاية ايضاً اصبحت عاملاً اقل اهمية، سواء في سواء في المجتمع او في العمليات الحربية بعد سقوط روما. لقد ظلت الحرب تجربة مرعبة، وبالقدر نفسه ظل الاقناع مكوناً رئيسياً في اعمال التجنيد، ورفع المعنويات والتحضير للقتال، بل ان الدعاية اصبحت اداة اكثر اهمية لتحقيق السيطرة الاجتماعية وفي المحافظة على النظام الاجتماعي والسياسي والديني السائد وبدأ ظهور مبدأ "حكم القساوسة مع بداية الكفاح للسيطرة ليس فقط على الكنيسة، بل ايضاً على الدول التي خلفت روما. فقد وفرت الدعاية التماسك المطلوب، في شكل مجموعة من الاجابات في عالم مضطرب ومحير (ص٧٧).

ولكي يضمن القساوسة والوعاظ سلامة القصيدة واصوليتها فيحفظوا بذلك وحدة الكنيسة ومكانتها، عمدوا على اقامة "خدمات"–او صلوات–منتظمة، ساعد فيها كل السلوك الطقسي، والصور المرئية والشعائر على تدعيم الولاء وعلى هداية من لم يكن نور الهداية قد دخل قلوبهم بعد (ص٧٨)، وخصوصاً في "تحويل الكفار على المسيحية بدلاً من استرقاقهم، حيث ان الكنيسة في ذلك استلهمت تعاليم القديس او غسطين الذي امن بان السلام على الارض مستحيل، وان الحرب باسم العقيدة الصحيحة هي نتيجة للخطيئة وعلاج لها (ص٨٢).

وبالنسبة للامبراطور شارلمان، فانه ادرك اهمية الدعاية في الحرب، وكان متحمسا حماسة جنوبية لرياضة الصيد، وانه كان يشن الحرب بالقدر نفسه من الحماسة.

ادرك الامبراطور شارلمان اهمية الدعاية في الحرب وكان متحمساً حماسة جنونية لرياضة الصيد وانه كان يشن الحرب بالقدر نفسه من الحماسة

وان جيوشه كانت تعد لخوض المعارك باداء الصلاة (ص٨٤)، اضافة الى الاحتفال بالانتصارات الكبرى من اجل رفع المعنويات بين قواته، وتقرأ الخطب او تنشد الاغاني-وتحث الرجال على ان يسلكوا سلوكاً مسيحياً. حيث انه فرض الصيام والصلوات على قواته، أي انه هيأ الرجال للقتال بينما كانت الصلبان والرايات تسير بين ايديهم وفي مقدمتهم-وهم في الطريق الى المعركة. فقد كان شارلمان في كل سنوات حكمه وحروبه مرتدياً وحاملاً دروعه واسلحته الثقيلة كاملة بكل بهاء مجده العسكري، الامر الذي جعل عهد شارلمان موضوعاً لقدر كبير من الدعاية بعد موته في العام ٨١٤م. (ص٨٦).

وبخصوص الغزو النورماندي لانجلترا في العام ١٠٦٦، حيث تم تأشير الدور القيم للدعاية في العمليات الحربية في العصور الوسطى، حيث ان الحرب ترجحها الشجاعة لا عدد الجنود، وكذلك الحيل النفسية التي استخدمها وليام الفاتح من خلال الصلوات والنذور والهدايا. وربط الدوق نفسه، في ثقة مطلقة-بأدارة السماء، ودعاء بالحق في شريعة الحكم والناتج (ص٩٠). ولقد ظل الغزو النورماندي موضوعا للخلاف والجدل طوال العصور الوسطى! ومن ذلك فقد شكل المؤرخون المحدثون في الشهادة عن خدعة الفرار الكاذب، حيث تم وضع تسجيل فريد للمعركة في لوحة بايو النسيجية لكاتدرائية مدينة بايو، والتي صممت لكي تعرض على الجمهور، حيث أن الغرض منها اثبات شرعية مطالبة ويليام لعرش انجلترا أمام الشعوب التي أصبحت شعوبا محتلة، وتكشف عن مقدار، ما حظي به مشروع الغزو من تأييد من جانب الكنيسة والعائلة معا. ولذلك فأن اللوحة تهدف الى استخدامها كوسيلة دعائية لنظام احتلال يحاول أن يرسخ مشروعيته في بلد كان تعاونه أمرا اساسيا. لقد كانت اللوحة وسيلة لدفع معنويات امة مهزومة ولكنها ذات كبرياء. (ص٩٢).

الدين والحرب والفروسية كلمات ثلاث لا يمكن فهم عقل العصور الوسطى المتأخرة من دونها

وفيما يتعلق بقانون الفروسية، فان الاستاذ تايلور يؤكد بـان الـدين والحـرب والفروسية كلمات ثلاث لا يمكن فهم عقل العصور الوسطى المتأخرة من دونها. وربما كانت الفروسية بعد الدين (عي الاقوى بين جميع المفاهيم الاخلاقية التي سيطرت على عقل وقلب) انسان العصور الوسطى المتأخرة (ص٩٥). لقد كان علـى الفـارس ان يظهر البسالة والشجاعة في الالتحام. وكانت هذه واحدة من طرق قليلة لحيازة الشرف والمجد في المجتمع، ولكسب المكافات المالية والترقي الاجتماعي، وكان للفروسـية، على الرغم أن هذه المبادئ كانت أكثر ارتباطا–في العادة–بالاثرياء مـن الفرسـان. وبتعبير فيليب كمونتامين فان الحرب عدت (ظاهرة ثقافية) وتحدد الطريقة التي تخاض بها الحرب تحديدا دقيقا من خلال مجموعة التعابير الخلقية السائدة التـي تـؤثر فـي الافراد المشاركين في الجرب. وقد لعب الادب دورا مهما في تحديد العقلية الفروسـية وصياغتها بين اعضاء طبقة النبلاء الستقراطية. وقد نصح أحد النبلاء ابنة بأن يقـرأ النصوص الكلاسيكية لكي يكشف معنى الشرف (ص٩٨). ولقـد مزقـت الحـروب القرنين الحادي عشر والثاني عشر اللذين زودهمت بنيران الحرب قـانون الفروسـية التي كثيرا ما ادى الى الولع بالحرب للحرب في ذاتها، والـى نـوع مـن التمجيـد الرومانتيكي لمهارات القتال (ص١٠٠).

وبصدد الحروب الصليبية فان مؤلف الكتاب يشير الى انه مه هـذه الحـروب تحصل دراسة الدعاية على اكثر الادلة خصوصية حتى زمن بداية تلك الحروب . ولم تكن لدى فرسان الحملة الصليبية الأولى التي دعا اليها أوربا الثاني في موعظـة لـه بمدينة كليرمون عام ١٠٩٥، ولم تكن لديهم من معرفة عن خصومهم المسلين سـوى اتهم (كفار). وكانت الحرب الصليبية حربا مقدسة افتى بها البابا باسم المسيح ، وبذلك كانت عنفا مشروعا او مبررا وذلك من خللا التذكير كدعاية في احتراق كنيسة القبـر المقدسة بهدف الهاب مشاعر الناس (ص١٠٢). وكذلك ركزت الدعاية الصليبية علـى "وحشية المسلمين" في تدمير الكنائس وأجبار النصارى على الختان، وشق البطـون، وانتهاك النساء. ويؤكد الاستاذ تايلو (ص١٠٣) بان الحروب الصليبية لعب فيها الطمع والجشع دورا أكثر أهمية من عملية حشد النصراني العالمي ولا تلك الأهمية النفسـية التي تحتلها القدس في العالم المسيحي.

ومع امتلاء قلوب الصليبين بالحماسة الدينية فقد عرفوا أيضا المكاسب الماليـة للقتال في الشرق الاوسط الثري... اذ نجد في (اغنية أنطاكية) الكلمات التالية (هنالـك

على الارض المعشبة اما أن نفقد رؤوسنا واما أن نصبح أثرياء بالفضة والذهب البراق).

هنالك على الارض المعشبة اما ان نفقد رؤوسنا
واما ان نصبح اثرياء بالفضة والذهب والبراق

وبعد ان اوقع صلاح الدين الهزيمة بالصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧ واعاد فتح القدس شنت الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩–١١٩٢ لاستعادة الارض المقدسة، اذ ان اباب جريجوري الثامن حرض العالم المسيحي للثأر لضحايا (البرابرة المتوحشين) وتعين ان تصبح الحجج الدينية اكثر عنفا وقوة . وبدلا من (الخلاص الابدي) راحت الكنيسة تعرض حمايتها للاراضي والممتلكات والسلع التجارية . وبدا تبرير العنف بالرجوع الى العهد القديم والى كتابات القديس أوغسطين. ومن هنا جاء التبرير القائل (اننا لا نبغي السلام لكي نشن الحرب ولكننا نشن الحرب لكي نحصل على السلام (ص١٠٧).

وفي الحرب المائة عام (١٣٢٧ و١٤٥٣) كانت صراعا بين الملوك الأنجلترا والفرنسيين. ولم تكن سوى واحدة من صراعات عدة اجتاحت أوربا في القرون: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. انها حرب المائة عام، حيث الصراع الذي يصور بشكل جيد الكثير من التغيرات التي لحقت بالفنون الحربية، والتي أولاها الأستاذ تايلور اهتمام دراسته حيث ان كل امة أوربية أولت الاسلحة والتشكيلات الجنود اهتمام خاصا، وخصوصا وان السويسريين هم أول من نبهوا اوروبا الى القيمة المشاة، والانجليز الى القوس الطويل، وكذلك الحراب الطويلة، والفرسان المعتلين صهوات خيولهم (ص١١٣). ولكن ظهور البارود جعل الحرب باردة غير شخصية، للنقيض الكامل للمثل الفروسية التي سيطرت على الفنون الحرب والاعمال الحربية الاوربية طوال ما لا يقل عن أربعمائة عام.. وقد صنعت المدفعية في البداية كجزء من سباق التسلح الانجليزي–الفرنسي خلال حرب المائة عام لتحسين فنون الحصار والاسراع بعمليات الاقتحام ولكن المدفعية، ثم الاسلحة الشخصية ازدادت شيوعا بالتدريج في العمليات الحربية منذ اواخر القرن الرابع عشر. أن النقطة الاساسية وضعها في الاعتبار من وجهة النظر النفسية فيما يتعلق بالمدفع حيث انة زاد من المسافة بين الجندي وبين العدو وبالنتيجة قلل من الحاجة الى رفع معنويات الجنود (ص١١٦). الا ان الانتصار الانجليزي (في حرب المائة عام) في المعركة أجينكورت (١٤١٥) ابقت على الموضوعات المتعددة للدعاية الحربية في القرون الوسطى فقد ظل الدين والخرافة والبشائر كلها عوامل نفسية مهمة.

في القسم الثالث من الكتاب الذي جاء تحت عنوان: "الدعاية للحرب في عصر البارود والطباعة"، فقد تناول سبعة مواضيع حيث الاول كان سديم جوتنبرج والذي تمثل في اختراع يوهان جونتبرج للمطبعة حيث فتح البوابات أمام فيضان النمو الهائل لكل انواع الاقناع المكتوبة، والتي لم تكن الدعاية للحرب اقلها اهمية. ويعود الى الكتب الفضل في ان اصبحت (حقائق) الحرب اقرب منالاً للناس الذين لم يكونوا قد الفوا الحرب كحقيقة فعلية. فقد انتشرت الصور المكتوبة للحرب وللعمليات الحربية بين جموع عريضة من القراء لكي تؤثر في الخيال الجمعي بدرجة لم يكن ابداً في مقدرة النصب التذكارية او الرسوم الجامدة الساكنة في الزمان والمكان ان تحققها (ص١٢٢).

وهذا انسحب بالتأكيد على الفنون الحربية في عصر النهضة، حيث تزامن ظهور المطبعة وكما يشير تايلور، مع تطورات مهمة اخرى في النشاط البشري وخاصة في مجال ادارة العمليات الحربية التي نفي منها الطابع الشخصي (كما كان يجري) للقتال وزادت من البعد المادي بين القوات المتحاربة بعد اكتشاف البارود، والمدفع والاسلحة التي تحمل باليد، وازداد حجم الجيوش وظهور تكتيكات جديدة لعمليات خوض المعارك وعمليات الحصار. ان افضل ما يذكر الانسانية بالدول، المدن الايطالية التي ازدهرت فيها النهضة في القرن الخامس عشر، هو متجزاتها الفنية. غير ان نظرة سريعة الى الفن سوف تؤدي الى تذكيرنا بأن فكرة الحرب والعنف كانت ما تزال حية وفي خير حال. لقد تجسد الاقناع من الصور في الفن وفي الكتابة حيث القابلية للتصديق والمعقولية ضرورية للنجاح. ومن هنا انشغل عصر النهضة بالاسلوب والمشروعية التاريخية (التي هيأت للعقل اراء وصوراً للماضي اقل واقعية ولكنها اكثر مصداقية) (ص١٢٤). لقد كان وعلى مر العصور من هم على استعداد للتأثر بالدعاية للحرب. هؤلاء هم الناس (من لم تغسلهم حياة البحر ابداً) (ص١٣٣)، الذين كانوا قد حرموا حتى من التعليم الاساسي الذي كان يمكن ان يعلمهم كيف يفكرون لأنفسهم، فاصبحوا الاكثر قابلية لأن يتأثروا بالقيم الاجتماعية والثقافية السائدة، سواء من خلال الخرافة او من خلال السلطة وهم بهذا الشكل هيأوا تربة خصبة لرجال الدعاية.

كان الاصلاح الديني اول حركة دينية تحظى بمساعدة المطبعة

لا بل، أنهم هيأوا لحركة الاصلاح الديني ومهدوا السبيل لحروب الافكار الدينية التي سلط عليها الاستاذ تايلور الضوء بشكل ساطع والتي ميزت عصر النهضة الاوروبية بأفكارها وطروحاتها التي أحدثت تغييراً جذرياً في العقلية الاوروبية اساساً. فقد كتب فرانسيس بيكون يقول ان الطباعة والبارود والبوصلة (قد غيرت صورة العالم

كله وحالته) فمن المؤكد ان المطبعة قد وفرت للمدفعية ما ساعد على حشد الصفوف وتخطيطها في حرب دينية بين الافكار لم يكن لها مثيل من قبل. ويكتب احد المؤرخين قائلاً: (كان الاصلاح الديني اول حركة دينية تحظى بمساعدة المطبعة) (ص١٣٤) حيث ان مؤلفات مارتن لوثر اصبحت اكثر الكتب مبيعاً، وتستخدم الدعاية المكشوفة والاثارة ضد مؤسسة مستقرة الا وهي كنيسة روما وضد الكاثوليكية وسلطتها البابوية والذي اطلق عليه (الوباء اللوثري) (ص١٣٩).

وفي انجلترا، فان الدعاية كانت موجهة لدعم اسرة تيودور (ص١٤١)، حيث كانت قوانين الاصلاح الديني التي اصدرها هنري الثامن في ثلاثينات القرن السادس عشر قد استأصلت الكنيسة الكاثوليكية واجتثتها من جذورها، حتى قبل ان تومس كروميل وزير هنري الثامن قد شن اول حملة على الاطلاق تطلقها حكومة في أي دولة في اوروبا لكي تستغل امكانات المطبعة الدعائية. وكان هنري السابع مؤسس اسرة الثيودور مدركاً ادراكاً قوياً لاهمية الدعاية بوصفها وسيلة لتدعيم سلطته. وكان هنري مصمماً على اضفاء المشروعية على اسرته امام الرب واوروبا. حيث اراد ان يولد الانطباع عن انجلترا يجعلها قوة اوروبية اكبر بكثير مما كانت بالفعل، وتحدي نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتأثيرها على المجتمع الاوروبي من خلال ما طرحه لوثر من افكار جديدة الهبت مشاعر الناس، الى تكثيف هائل للحرب الدعائية التي قادها هنري ومن بعده توماس كروموئل الذي استمر على ايمانه بالدعاية المطبوعة واعتماده عليها (ص١٤٦). الا ان قوة حملة الدعاية التي شنها كروموئل ضد البابوية لم تستمر بعد وفاته، الا ان اسرة ثيودور بقيت من بعده خمسة واربعين عاماً اخرى وذلك استناداً الى اسلوب الدعاية الذي انتهجته اسرة ثيودور كوسيلة لتنمية وعي قومي انكليزي (ص١٤٨).

الا انه في الواقع، فان هذه الدعاية قد اشعلت الحماسة الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت التي اشعلت سلسلة من الصراعات الدينية بين تدخل عدد من الدول الاجنبية مثل الدنمارك واسبانيا والسويد، فعصفت باوروبا طوال الثلاثين عاماً التالية (١٦١٨-١٦٤٨). وبذلك تحولت حرب اهلية المانيا الى صراع ضار بين الدول الكبرى. ولكن حرب الثلاثين عاماً كانت من بعض وجهات النظر المختلفة، سلسلة من الحروب المفضلة بقدر ما كانت صراعاً اوروبيا بواسعاء بدافع من الولاءات الدينية والدنيوية كما باي دافع اخر. ولا يمكن المبالغة في تقدير دور هذه الحرب في نمو النزعة القومية وظهور الدولة القومية، كما لا يمكن التقليل من تأثيرها التدميري في اوروبا مع مصرع ما يقدر بربع سكان اوروبا في المعارك (ص١٥٢).

ومن خلال ما عاشته اوروبا خلال هذه الفترة من حروب طاحنة، فان الاستاذ تايلور يؤكد بأنه على ضوء هذه الخلفية ينبغي ان ننظر الى الدعاية الحربية في حرب

الثلاثين عاماً. فاذا كانت اهداف الحرب قد طرحت وراء القناع القديم للدين، فلابد ان يذهب الكثير من (الفضل) في ذلك الى الشعراء وكتاب الاغاني ومؤلفي الكتيبات والرسامين الذين وصلت اعمالهم الى كل طبقة من طبقات المجتمع (ص١٥٦). اذ يقول الاستاذ كامين بأن (القرن التاسع عشر كان قرناً من التجديد والابتكار بسبب حجم الدعاية الضخمة فيه). ولقد كانت حرب الثلاثين عاماً خطاً فاصلاً في التاريخ بسبب ما شهد من تهويل الدعاية.

القرن التاسع عشر كان قرناً من التجديد والابتكار بسبب حجم الدعاية الضخمة فيه

وبخصوص الحرب الاهلية الانجليزية (١٦٤٢-١٦٤٦)، فان الدعاية الثورية حسب ما صرح به الاستاذ كامين، كانت اكثر من مجرد تمرين في الاقناع، حيث ازاء هاذ (التمرد الكبير)، فانها كثيراً ما كانت تعكس مواقف شعبية حقيقية، ووضعت السلطة موضع المسألة والشك وفتحت ابواب الرقابة المتحكمة (ص١٦٠) وقد سبق ذلك حينما قام خصوم الملك تشارلس الاول بشن الهجوم ضده حيث كان اعتقادهم بأنه كان يحاول ان يدمر وضعهم الدستوري، فانهم بدفاعهم عن حقوقهم كانوا ايضاً يطورون الدعاية بوصفها قوة تحرير جديدة. وخلال الحرب الاهلية التي ادت الى انهيار نظام الرقابة والترخيص، اعقبها تدفق كميات هائلة من الدعاية المعتمدة على النشرات المطبوعة للانباء، واصدرت كل الاطراف المتصارعة الصحف الخاصة بكل منهما، حيث صحيفة الملكيين، والبرلمانيين ولكن في الحرب الاهلية يكون تحديد العدو ورسم صورته مهمة بالغة الصعوبة بالنسبة لرجل الدعاية، وخاصة في حرب بدأت دون اصرار شديد وفي تردد قوي (ص١٦٣).

كان لويس ينظر الى الحرب باعتبارها وسيلة يمكن بواسطتها ان يستعرض مجده

اما بالنسبة للملك لويس الرابع عشر الذي توج وهو ذو الاعوام الخمسة من العمر (حكم فيما بين ١٦٤٣-١٧١٥) واصبحت فرنسا خلالها في قبضة الكاردينال مازاران. وفي عهده تم توقيع معاهدة وستفاليا التي انهت حرب الثلاثين عاماً في ١٦٤٨، فان هذا الملك قد تأثر تأثراً عميقاً في صباه بتجربته مع جماعة الفروند التي بدأت في شكل احتجاج ارستقراطي ضد تآكل الامتيازات الطبقية، والتي سرعان ما

ضمت غوغاء باريس وجنود الجيش الفرنسي الذي تم تسريحه، التي اصدرت العديد من الكتيبات ضد مازاران الذي مات في عام ١٦٦١، وتسلم لويس الرابع عشر -في الثانية والعشرين من عمره- مسؤولية فرنسا شخصياً، وقرر ان ينقل بلاطه الى قلعة فرساي ليرمز الى عظمة لويس الرابع عشر ومجد حكمه لفرنسا التي كانت في ذلك الوقت القوة الكبرى في اوروبا. اذ كتب جوزيف كليتس بوصفه مؤرخ دعاية لويس الرابع عشر يقول: كان على الرجل الذي وضع التاج على رأسه ان يقوم بدور نصف الاله وقد قام لويس الرابع عشر بهذا الدور ببراعة خير قيام (ص١٦٩).

وكان على الحرب ان تبين حقيقة تأثير هذه الدعاية وفاعليتها. واكن لويس ينظر الى الحرب بالنظرة نفسها التي كان ينظر بها الى بلاطه الزخرفي او الاحتفالي، ولكنه لم ينظر اليها باعتبارها مجرد شيء ترفي، وانما باعتبارها وسيلة يمكن بواسطتها ان يستعرض مجده، وان يوسع نطاقه، الا ان هذه الملكية المطلقة سرعان ما سقطت في النهاية ضحية للثوار الفرنسيين عام ١٧٨٩.

في الواقع، فقد انصب القسم الرابع من الكتاب على تناول موضوع الدعاية في عصر الحروب الثورية، حي المطبعة او الصحافة بوصفها اداة للحرية، من خلال الثورة الامريكية، والثورة الفرنسية، ليعرج الاستاذ تايلور في تناول موضوع الحرب والرأي العام في القرن التاسع عشر. وقبل هذا القسم قدم تايلور صوراً عن الدعاية من اشور الى فوكلاند (ص١٧٥-١٩٤).

لقد شهد القرن الثامن عشر زيادة في درجة استخدام الصحافة بوصفها اداة سياسية. وسارعت حكومات عدة الى ادراك مغزى هذا الوضع الجديد الذي سوف يهز كل قوانين الحظر والرقابة التي سنتها بخصوص تنظيم عملية تدفق الافكار. ففي انكلترا ادى ظهور الحرية البرلمانية والتسامح الديني اللذين اعقبا ثورة ١٦٨٨ الى ايجاد متنفس للاختلاف الايديولوجي، واصبحت الصحافة جزءاً اساسياً من العملية السياسية الانجليزية. (ص١٩٥).

اما في فرنسا، فعلى الرغم من ازدهار حركة التنوير بعد لويس الرابع عشر في عام ١٧١٥، فلم يمكن السماح بمثل ذلك المتنفس للتعبير الشعبي. وان التسليم بمبدأ حرية الصحافة لم يكن الا ثمرة جهود مضنية ومحاولات عديدة كانت في مجملها دروساً كان على حكومات اوروبية عدة ان تتعلمه وتقر به باسلوب صعب. الا انه بالمقابل، وكما يؤكد تايلور (ص١٩٨) فانه لا شيء يشجع توزيع الصحف اكثر من الحرب، التي اصبحت اداة اكثر اهمية بكثير مما يتخيله الناس. الا ان اللورد كامسدين قال ان الصحف محملة بالكثير من سموم الزيف الى الدرجة التي تجعلني عاجزاً تماماً عن تمييز الحقيقة ومعرفتها. ولكن، فان (التاريخ الحقيقي لدولة ما يوجد في صحفها) (ص١٩٩).

ومن هنا، فان سكان المستعمرات الامريكية كانوا واعين تماماً باهمية الرأي العام والدعاية في عدم قضيتهم ضد البريطانيين، وضد قوانين الضرائب، ولذلك بدأت حرب الشعارات بالشعار المشهور (لا ضرائب دون تمثيل نيابي). واصبحت بوسطن هي المركز العصبي لدعاية الثورة من خلال جريدة (بوسطن جازيت). لعب صامويل ادامز على اوتار الرأي العام المعادي للبريطانيين والهبة. غير ان المستوطنين الامريكيين الذين قاموا في عام ١٧٧٤ بتنظيم المؤتمر القاري الاول واصدروا اعلان الحقوق والمظالم، قاموا في حملاتهم الدعائية بتكثيف النداءات الداعية الى الاستقلال (ص٢٠٢).

ولاشك في ان رجال الدعاية الامريكيين كانوا من بين اكثر نظرائهم فصاحة وقدرة على التعبير في التاريخ، مثلما اوضحت لنا السطور التي جاءت في بيان واشنطن. ولقد ضرب انطلاقهم في عصر العقل، باسم حقوق الانسان-على الوتر الصحيح في عقول محبي الحرية. ويعد اعلان الاستقلال الذي صدر في ٤ تموز ١٧٧٦ تجسيداً لامتزاج الايديولوجيا او الفكر العقيدي-السياسي الثابت، وبالكلام الدعائي. وقد لعبت الدعاية دوراً كبيراً في الثورة الأمريكية، وكانت من موادها التي تتمتع باهمية ومغزى بعيد المدى، كتابات جون لوك وخاصة كتابه: مقالات في الحكم، الذي نشر في العام ١٦٩٠ والذي دحض فيه مبدأ حق الملوك الالهي المقدس والحكومة الاستبدادية والحكم المطلق (ص٢٠٧).

مدام دي بيناي: ما يحصل عليه الشعب من معرفة لابد ان يؤدي الى الثورة عاجلاً او آجلاً

وفيما يتعلق بالثورة الفرنسية والحروب النابوليونية، فان الاستاذ تايلور يشر بان غياب التحول (الديمقراطي) في فرنسا قد ساهم في انفجار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، بالعكس عما حصل في انكلترا حيث اصبحت الصحافة حرة نسبياً. الا ان المصادر اشارت بأنه على الرغم من الرقابة فان صحافة القرن الثامن عشر الفرنسية كانت اكثر نشاطاً وفاعلية في نقل الافكار السياسية واشاعتها مما كان معروفاً من قبل (ص٢١٥). ولقد صحح ما تنبأت به مدام دي بيناي في عام ١٧٧١ من ان (ما يحصل عليه الشعب من معرفة، لابد ان يؤدي الى الثورة عاجلاً او آجلاً). ولكن الثوريين الفرنسيين لم يكونوا مجرد خطباء غلاظ وسط الغوغاء، وانما كانوا مؤمنين كباراً باستخدام الرموز وسيلة لنقل وتوصيل الافكار المعقدة في شكل بسيط، حيث ان العلم الثلاثي الالوان من الاحمر والابيض والازرق جاء لكي يمثل مختلف التكتلات الثورية، وان ارتداء

البعض له كوشاح لكي يمثل الدعوة الى (الحرية والمساواة والاخاء، كما عرف الثوريون منذ البداية اهمية الرموز بوصفها وسائل للدعاية (ص٢١٩).

وبتأسيس جمهورية تحل محل الملكية في العام ١٧٩٢، وجد الثوريون انه يتعين عليهم ان يتبعوا اساليب الدعاية الثورية قد افضت الى انضمام الغالبية الساحقة من الجيش الفرنسي الى الجموع الثائرة، الامر الذي ادى، وبهذه الوحدة المنصهرة التي ضمت الامة وجيشها ان امتزجت الدعاية الحربية بالدعاية المدنية، حيث حملات تجنيد الجنود للقتال في الحرب لمقاومة الغزو البروسي-النمساوي والانتصار عليه في فالي. ولهذا فان ظهور نابليون بونابرت في هذه الفترة مثل بروزاً بوصفه قائداً لثورة ظلت طريقها وللجيش الثوري معاً، وخصوصاً عام ١٧٩٨ (ص٢٢٦). وقد كانت المعنويات الجدية بالنسبة لنابليون هي جوهر النجاح. فهو القائل (في الا الربع الباقي). فقد كان رجل دعاية لا يقهر ومضخماً للغاية من انتصاراته وقادراً على التهوين من هزائمه. وفي ظله اصبحت فرنسا اول دولة حديثة تقوم بالفعل على الدعاية (ص٢٢٧).

وبهزيمة نابليون اطلقت اوروبا انفاس الارتياح الطويلة لعودة السلام، بعد جيل كامل من الحرب. وبدأت اوروبا تتكيف مع قوى التغيير التي اسرعت الحرب بتطورها، والتي لم يكن الرأي العام والدعاية اقلها اهمية، والتي عالجها الاستاذ تايلور في النقطة الاخيرة من القسم الرابع (ص٢٣٣). وقد استند في الدلالة على هذا التغيير الى كلمات الاستاذ كوالتر الذي قال: حتى اولئك الذين لم يتغير موقفهم تجاه الرأي العام في السياسة قد وجدوا انه من الضروري ان يتعلموا آليات الاقناع السلمي بواسطة الدعاية. ومع امتداد الحقوق والامتيازات السياسية وتزايد عدد السكان اصبح القيام باي شيء آخر مكلفاً للغاية وفادح الثمن، فبينما كان بالامكان شراء اصوات الناخبين، اصبح من الضروري الان اقناعهم. ولذلك فلقد اصبح على السياسيين ان يهتموا بالدعاية (ص٢٣٤)، اذ برزت بريطانيا بوصفها الدولة الرائدة التي لا تبارى في ميدان الدعاية السياسية. وفي القرن العشرين، اصبحت هي الاستاذ الذي لا يجادل في مجال الدعاية للحرب (ص٢٣٦).

وقد وجدت الدعاية، بوصفها اداة للسيطرة الاجتماعية، ولضمان ان تفكر الجماهير، وان تسلك بالشكل الذي تريده لها النخبة الحاكمة، وجدت الدعاية-بوصفها هذا-في النزعة الاستعمارية (او الامبريالية) التعبير المثالي عنها. فقد احتوت هذه النزعة على كل المكونات الصالحة للدعاية: المغامرة العسكرية، والتفوق العرقي والاماكن الغريبة البعيدة، حيث "مسؤولية الرجل الابيض"، ووسام "صليب فيكتوريا" بوصفه اسمى رموز الشجاعة العسكرية (ص٢٤٤) وفي الولايات المتحدة التي عرفت في الحرب الاهلية عام ١٨٦١، فقد اصبحت امريكا امة من قراء الصحف الذين يعتمدون على ما يبعثه المراسلون الحربيون من تقارير وابناء الذين غاب عن قسم

الموضوعية، وكذلك في حرب القرم. ومن هنا، وكما يخلص اليه الاستاذ تايلور، فانه اذا كانت تجربة كلاً من حرب القرم والحرب الاهلية الامريكية قد علمت السلطات ان تبدأ معالجة جادة لمسألة الرقابة علمتا الصحافة، انها يجب ان تلتزم بالمعايير المهنية في تغطيتها للحرب. (ص٢٤٩). واذا كانت السلطات العسكرية قد ابطأت في تقدير الدور الذي يمكن للصحافة ان تلعبه لتمجيد "رياضتهم" فان السياسيين لم يبطئوا في ذلك لمعرفتهم الكاملة باحتياجهم الى التأييد الجماهيري لساساتهم. ان السياسيين في اواخر القرن التاسع عشر عرفوا انهم كانوا يعملون في عالم من نوع جديد: عالم اصبح للرأي العام فيه اهمية متزايدة، وفي مجتمع جماهيري صناعي. لقد اصبحت السياسة بالفعل شأناً عاماً، ولم يعد ممكناً ان تظل السياسة ولا الحرب على ما كانتا عليه من قبل (ص٢٥٠).

في القسم الاخير-الخامس، من كتاب قصف العقول للاستاذ فيليب تايلور، فانه كرس لموضوع الدعاية في عصر الحرب الشاملة، الذي تطرق فيه المؤلف الى الحرب وثورة الاتصالات، والحرب العالمية الاولى، والثورة البلشفية وحرب الايديولوجيات، والحرب العالمية الثانية، ومن ثم الدعاية والحرب الباردة وعصر التلفزيون.

اذ يشير المؤلف الى ان القرن العشرين شهد ظهور نوع من مختلف اختلافاً اساسياً من الاعمال الحربي: "الحرب الشاملة". وعلى الرغم من ان الحروب النابولونية وحرب الاستقلال الامريكية كانتا نذيراً بوصول هذه الظاهرة بسبب حجم ومستوى المشاركة الشعبية، فان الحروب العالمية في القرن العشرين اختلفت بقدر ملحوظ عن الصراعات السياسية، ليس فقط في مدى اتساعها وانما في درجة تأثر المدنيين بها ومساهماتهم المباشرة في احداث خطها الاول (ص٢٥٣). ومن خلال ما جاءت به فنون الحرب الحديثة بالمعارك، والتجنيد الاجباري، والانذار من الغارات الجوية، وتقنين الطعام، حتى انه يمكن القول بأنه اصبح الناس انفسهم هم جبهة القتال الجديدة، الامر الذي جعل من غير الممكن ابداً النظر ثانية الى الحرب باعتبارها رياضة الملوك والنبلاء.

وفضلاً عن ذلك فقد شهدت القرن ظهور وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة، وخصوصاً التصوير السينمائي لجبهات القتال، والصحافة الصفراء في الولايات المتحدة، ناهيك عن الارسال البرقي اللاسلكي الذي غير وجه القرن من خلال ثورة الاتصالات، الامر الذي اعطى الدعاية الحديثة للحرب اهميتها وتأثيرها في القرن العشرين، وخصوصاً للحرب العالمية الاولى، حيث انطلقت قاطرة التغيير التاريخي بكامل سرعتها بالنسبة لكل من الحرب والدعاية. لقد كانت حرباً بجيوش المتطوعين التقليدية لتنتهي بفرض التجنيد الاجباري وسقوط اربع امبراطوريات اوروبية-هي:

الروسية-الالمانية، النمساوية-المجرية والعثمانية. لكنها شهدت تأسيس دول عدة جديدة مستقلة، ولكنها لا تملك الامان ولا تعيش آمنة: رومانيا، يوغسلافيا تشيكوسلوفايكا بولندا، وهي الدول التي قدر لها ان تكون غرساً لبذور الصراع التالي (ص٢٥٦). فالحرب العالمية الاولى لم تكن حرباً بين شعوب اوروبا بأسرها، وانما كانت حرباً بين مكاتب الدعاية السرية البريطانية والالمانية بوجه التحديد، حيث استطاع مكتب الدعاية الحربية السري البريطاني في ويلنجتون هاوس ان يكسب تعاطف الامريكيين بكل سهولة، والاتيان بهم الى الحرب وتثبيتهم بقوة الى جانب الحلفاء، حيث ان نشر برقية زيمرمان يمثل اعظم انجاز توجته حملة الدعاية البريطانية في امريكا، وهي البرقية التي بعثها وزير الخارجية الالماني زيمرمان الى سفيره في واشنطن يعلمه ببدء اطلاق حرب الغواصات ويقترح اقامة تحالف مع المكسيك في حالة بدء تدخل امريكي (ص٢٦٤).

لقد كان البريطانيون قد اظهروا للعالم قوة للدعاية الهائلة في الحرب العالمية الاولى، الى درجة ان اللورد بوتسوني كتب في عام ١٩٢٦ عن الدعاية يقول: "ان دس سم الكراهية في عقول البشر عن طريق التزييف والتزوير لشر اعظم في زمن الحرب من الخسائر الفعلية في الارواح، وان تدنيس النفس الانسانية لاسوأ من تدمير الجسد الانساني" (ص٢٨٤).

لم تكن الحرب العالمية الاولى، الحرب التي انهت كل الحروب، اذ لم يجف بعد حبر معاهدة السلام في قصر فرساي حتى بدأت حروب من نوع جديد، الا وهي حرب الايديولوجيات، مما جعل الوضع الدولي في حالة من الصراع غير المستقر، وحيث لعبت الدعاية في ذلك دوراً محورياً، اذ اصبحت الدعاية حقيقة من حقائق الحياة اليومية، واصبحت لدى القادة البلاشفة مكوناً اساسياً في الحرب الايديولوجية ضد الرأسمالية (ص٢٨٥). وجاء الكساد الاقتصادي العالمي ليؤدي الى ضعضعة الكتلة الرأسمالية التي تتزعمها بريطانيا وانهيار سوق الاوراق المالية الامريكي، لتسرع بتحطيم تفاؤل اواخر العشرينات قصير العمر، الامر الذي سهل في المانيا ليبدأ هتلر صعوده السريع الى السلطة وعين مستشاراً في العام ١٩٣٢، وتأسيس الدولة الشمولية الالمانية مستخدماً الكثير من الاساليب في العام ١٩٣٢، وتأسيس الدولة الشمولية الالمانية مستخدماً الكثير من الاساليب الدعائية التي كان روادها هم البريطانيين، في الوقت الذي قرر فيه اليابانيون الذين ضربهم الكساد بعنف ان يتخلوا عن أي افكار تتعلق بالامن الدولي الجماعي ليزحفوا نحو منشوريا عام ١٩٣١، ولم تفعل عصبة الامم شيئاً لمعاقبة المعتدى، وانسحب هتلر من كل من المؤتمر العالمي لنزع السلاح وعصبة الامم، وشرع في اعادة تسليح المانيا، في الوقت الذي قام موسوليني بمهاجمة اثيوبيا، وسقطت فرنسا وسط ازمة سياسية واقتصادية. اما بريطانيا التي كانت القوة

العالمية الوحيدة ذات المصالح الممتدة من اوروبا عبر البحر المتوسط الى الشرق الاقصى، فقد وجدت نفسها في مواجهة ثلاثة اعداء محتملين لكنها عاجزة عن مواجهة القوة بالقوة لوحدها. وقدر للصراع الايديولوجي بين قوى اليسار وقى اليمين، ان يصبح اكثر حدة حينما انفجرت الحرب الاهلية الاسبانية في تموز ١٩٣٦ (ص٢٩٦). لقد توقع الكل ان تكون الحرب الاهلية الاسبانية مقدمة لحرب عالمية ثانية، ولكن هذه المرة كانت بولندا، لا اسبانيا، السبب المباشر، بعد ان تم تطويق الحرب الاسبانية ضمن اطارها المحدد. الا ان اوروبا تحولت الى ساحة قتال كبرى في حرب الدعاية الدولية التي اصبحت حقيقة راسخة، الا انَ الحقيقة اصبحت ضحية كبرى قبل ان يبدأ القتال الفعلي بوقت طويل.

يبدو ان موضوع الحرب العالمية الثانية احتل اكثر الصفحات في كتاب الاستاذ تايلور من بقية الموضوعات الاخرى، والسبب في ذلك هو ان هذه الحرب شهدت اكبر المعارك الدعائية في تاريخ الحروب. فطوال ست سنوات استخدم جميع الاطراف المشاركة في الحرب الدعاية على نطاق تتضاءل بالمقارنة معه جميع الصراعات الاخرى (ص٢٩٨). لقد كانت حرباً بين امم بكاملها. وكانت معركة بين نوعين من الانظمة السياسية يتصارعان في سبيل السيادة فيما بينهما، وفي معكسرة من اجل المستقبل، وحيث الدعاية كانت بديلاً للدبلوماسية. وكانت نتيجتها انتصاراً للدعاية البريطانية اكثر ما تكون للتحالف الكبير، حيث ان من الامور ذات المغزى الكبير للمعركة الدعائية هو ان الحرب بدأت على (الراديو) من الخطاب الذي القاه رئيس الوزراء صباح الاحد الثالث من ايلول ١٩٣٩، حيث كانت كلمات تشمبرلن خطاباً دعائياً بارعاً القاه السياسي حاذق لم تكن صورته الشعبية، بوصفه "رجل ميونيخ المذنب" متطابقة مع الحقيقة التاريخية، وتعبيراً آخر، كما يؤكد تايلور، كان ذلك هو الخطاب الذي اسس التبرير الاخلاقي والمعنوي الرئيسي لخوض بريطانيا القتال، وسبب اعلانها مع فرنسا، الحرب على المانيا بدلاً من ان تعلن المانيا الحرب عليهما، الامر الذي ترتب عليه بناء جهاز دعاية يمكن الوثوق به حيث اصبح واضحاً ان المعنويات ستكون عنصراً حاسماً، ويتعين على وزارة الاعلام التي انشئت لدى انفجار الحرب ان تتنافس مع جهاز الدعاية الالمانية الذي يقوده جوزيف غوبلز (ص٣٠٢).

واول ما اثار انتباه البريطانيين هو موضوع الرقابة، وهو ما يكاد يكون خاصية يتميز بها البريطانيون، حيث انها بوصفها دعاية سلبية لا تفرض فقط لغرض منع وصول المعلومات المهمة الى العدو، وانما تفرض ايضاً بهدف منع الاخبار التي قد تضر بالمعنويات، وهو ما تحقق الاقرار به منذ وقت طويل بوصفه عاملاً مهماً في توجيه الرأي العام وتوظيفه. ومن هنا كان التركيز على السيطرة الاجتماعية او اداتها الرئيسية، أي الرقابة. لقد كان مبدأ غوبلز في الدعاية هو: اكذب، ثم اكذب حتى

يصدقك الناس. ثم اكذب واكذب، واكذب، حتى تصدق انت نفسك. اما الشعار الذي رفعته وزارة الاعلام البريطانية فهو: الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، وبقدر الامكان، كل الحقيقة. (ص٣٠٤).

اما بخصوص الدعاية والحرب الباردة وعصر التلفزيون وهو الموضوع الاخير في الكتاب، فقد اكد بأنه مع هزيمة دول المحور، تحلل "الاسمنت" الذي كان يربط حلفاء زمن الحرب بعضهم ببعض. وسرعان ما تحول العداء المتبادل بين الدولتين العظميين الى "الحرب الباردة": حرب ايديولوجيات، حيث اصبحت الاسلحة فيها اقل اهمية من الكلمات، وعادت الى السطح الخلافات الايديولوجية الجذرية العميقة بسبب التخلص من العدو المشترك، حيث الهيمنة السوفيتية على الشرق الاوروبي وبسبب عملية "امركة" اوروبا الغربية بواسطة مشروع مارشال (ص٣٥٦).

فقد اسفرت الاسلحة النووية عن نشوء موقف جديد تماماً لم تعد معه مخاطر شن الحرب مساوية بوضوح للمكاسب المحتملة، ففي صراع نووي، لا يحتمل ان يخرج احد الاطراف منتصراً فائزاً بشكل واضح. وتعبر الحروف الاولى للكلمات (الانجليزية) التي سميت بها نظرية (الدمار المؤكد المتبادل-(Mad) أي Assured 1 ertSuction Mutua) (التي تعني: مجنون) تعبر عما اسفرت عنه تلك الاسلحة النووية. وفي مثل هذه الظروف برزت الدعاية بوصفها بديلاً للحرب الحقيقية، أي انها تعتبر تهديداً للسلام. والدعاية لا تعمل في فراغ منفصل عن الحقائق الاجتماعية او السياسية انها وسيلة اساسية يحاول القادة بواسطتها ان يكسبوا التأييد العام من الجمهور لسياستهم.

وفي الحرب الباردة اصبحت الدعاية استمراراً للسياسة بوسائل اخرى. وفي العصر النووي اصبحت الحرب بواسطة الكلمات بدلاً من الحرب المادية حيث المحافظة على (التوازن النووي) بهدف ردع الطرف الاخر عن بدء الحرب (ص٣٥٨). وفي الحرب الباردة حيث اتضحت خطوط القتال، فقد برز (التهديد الاحمر) يحتل مساحة كبيرة من على شاشات التلفزيون، والكتب والمجلات وجماعات المراقبة حيث لجنة النشاط المعادي لامريكا في مجلس النواب لا يمكن ان تتسامح مع أي تعاطف مع (العدو)، هذه النشاطات التي كان يمولها ويشجعها مكتب التحقيقات الفيدرالية، حيث التركيز على (الاعداء) الذين لا يهددون فقط اوروبا وجنوب شرق اسيا وانما كانوا يهددون اسلوب الحياة الامريكية (ص٣٦٠). وهكذا شنت (الحرب الصليبية من اجل الحرية) بدافع ظاهري هو تدعيم قدرة شعوب شرق اوروبا على التخلص من النير العسكري السوفيتي، حيث لعبت اذاعة (راديو اوروبا الحرة) الجديدة ثم اذاعة (راديو التحرير) التي تغير اسمها الى (راديو الحرب). ولكن رغم ذلك، فان التلفزيون لعب دوراً كبيراً في التسبب في اول واكبر هزيمة عسكرية بالغة ودائمة

الاثر في التاريخ الامريكي (ص٣٦٧)، خاصة الحرب الفيتنامية، عندما كشف حقيقة الحرب المرعبة، الامر الذي ادى الى دفع الامريكيين الى رفض هذه الحرب. ان التلفزيون بطبيعته ذاتها وسيط قادر على الاقناع. وتكمن قوته في انه يسبك الرأي ويقولبه حسب صياغة خاصة سواء كان في حرب فيتنام، او في مظاهرات السلم التي احتاجت اوروبا ضد الصواريخ، اوفي حرب الفوكلاند وغيرها من الحروب الاخرى حيث الدعاية ليس الا عملية اقناع، وان الاقناع وسيلة ضرورية. ان وسائل الاتصالات بعيدة المدى وتكنولوجيا الاقمار الصناعية تمدنا بالفعل من الانباء والآراء بدرجة تفوق أي عصر سابق، وسوف تستمر هذه العملية في القرن الحادي والعشرين حيث الانترنيت الذي دخل كل بيت ولم يعد هناك حاجة للقرابة او مجال لحجب الكلمة المحظورة.

في الواقع، ان هذا الكتاب يحتل لوحة واسعة مختلفة الالوان التي تعددت تعدد انواع واساليب الدعاية التي ابتكرها العقل الانساني منذ القدم وحتى الان، وتتطور بتطور المجتمع والتكنولوجيا، حيث هدفها المركزي هو العقل البشري لا غير.

Ministry Of Higher Education
And Scientific Research
Al-mustansiriyah University
College Of Political Science

